

فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكره على تسيير ولده

الحمد لله الذي نصر الدين بأهله وعجل بأنصاره جمع شمله .
ووفق اسد عرين الملك ان يحمي حوزة الاسلام بشبله . وللمجاس في
طوله اليد الطولى . والمنة الثانية التي اربت على الاولى . حيث حث
همته العليا . وحض لحظ بينه عزمته الماضية المضية . وشرف بولده
علاء الدين من تقلد بوروبه أوفى منه . وتعجل من وفوده أقوى منه .
وأوفى جنة . فلقد ورد الى الساحل بحرا . وطلع في ليل القسائل
بدرا . واصفر لمرقبي صباح النصر فجرا . وجلا وجوه المؤمنين
ببشاه بشرى . وملا صدر الاسلام أمنا . وقلب الكفر ذعرا . ثم
وصل زين الدين ويوسف بن زين الدين علي كوجك صاحب إربل يوم
الاربعاء في العشر الاخر من جمادى الاول . ذو السماح المؤمل و
المجد المؤتل . بجيش كالسحاب للمسيل . فدوت اخلاف النصر
بحقول ذلك الحقل . وورد بكل ورد هني . وجدسني . وقدم بكل
مقدام . وزار خيس الجيش بكل ضرغام . وزار بكل اهتمام بالمذون
همام . ووصل بكل واصل لسبب النصر . قاطع دابر الكفر . ووفد
بكل وافد باليمن الوافي . والنحج الكافي . والعز الصافي . والعزم
الشافي . وطلع بكل طالع بالسنى . جامع للمنى . فارع بالغنى .
فارك للخنى . سافك دم الشرك بالظبا والقنا . وكان هذا اول يوم لقائه
للسلطان . واحسن اليه بالاكرام وزاد في الاحسان . وكان يجمع
بين الحماسة والسماحة . والبشاشة والرجاحة . والتوهد الى الناس .
والتشدد بالباس . والتواضع مع الكرم . وبنو الود مع علو
الهمم . ماله مبذول . وذواله مأمول . وسيفه على الكفر مسلول . وامره
بالطاعة في رعيته ومن في جملة مقبول . وهو مرجو مخشي . وكريم
ه شي . ومهييب مرجو . ومحسن بسنى الحمد مجلوب . وكان معه خالق
كثير . في سلك الاتساق ومسالك الاتساع تنظيم نثير . وانزل بقرب
اخيه مظفر الدين في الميسرة . وتمكن الرعب بما تم من الجمع في
قلوب الكفرة .

ذكر وصول الاسطول من مصر

كان السلطان قد امر بتعمير اسطول آخر من مصر تصل فيه النخيرة والميره . والعدد الكثيرة . فلما كان ظهر يوم الخميس ثامن جمادى الاولى ظهر الاسطول . وتم بظهوره النصر المأمول . فركب السلطان في جافله . وسدد سهام الردى الى العدو ومقاتله . واحدق به حول خنادقه . ليوسع عليه الهلاك في مضايقه . وليشغل الفرنج عن قتال الاسطول . ويسهل عليه بذشاغلهم طريق الوصول . فعمر الفرنج اسطولا . وصف شوانيه على البحر عرضا وطولا . وقدر أنه يلاقي الاسطول المنصور . ويخطر بسد الطرق عليه وصدها العبور . فجاءت مراكبنا . ونطحت مراكبهم وطحنتها . واوهت منتها وأوهنتها . واخذنا لهم مركبا واخذوا منا مركبا . وكان تقصير الرؤوساء في حفظه لأخذه سببا . واتصل الحرب في البر الى حين غروب الشمس . وعاد المسلمون بحبور القلب وسرور النفس وقتل من الفرنج عدة وافية . وكلاءة الله لنا ولأصحابنا وافية .

ووصفت هذه الحالة في مكاتبة كتبها لتعرف منها
وتكشف القضية المستورة وهي :

هذه المكاتبة مبشرة بما سناه الله من النصر الهني . وهناه من النجح السني . واجنى المسلمين من ثمر الظفر الجني . وذلك بوصول الاسطول الثاني المصري المنصور . ظهر يوم الخميس متظاهرا بامداد الظهور . متوافرا بوفود الوفود . وبخوله سالما غانما الى ثغر عكا المحروس المعمور . فآثر البلد بعد انفاضه . واجتمع اليه مدد القوة بعد انفضاضه . واستجد جنة وافيه . وعصمة وافيه . ونخيرة كافية . وكان الفرنج عند وصول اسطولنا المنصور قد جهزت مراكبها . وبرزت مناكبها . وحمت بالرجال

والعدد جوانبها وسنمت غواربها ورفعت هضابها وهواضبها .
وسحبت على شبيح البحر سحائبها وادبت الى عقبان اساطيلنا
الحلقة بعقابها وثعابينها وعقاربها . وظنت انها تستطيل على
رواسي اساطيلنا بسواربها وانها تواجه عرائسها الحلوة بحور
جواربها . فلما جاء الحق زهق الباطل ، وصال الواصل ، وحاص
العدو من الحاصل . وانحل تركيب تلك المراكب . وحطت تلك المناكب
بما احاط بها من الذواكب . وتفرقت سفن العدو شذر مذر . وعذر
حين زعر فحذر . وكسبت شوانينا ست بطس لهم فكسرتها . ووجدت
فيها عدة من الرجال المقدمين والنساء فأسرتهم . وكانت الفرنج
حملت فيها تجائر ونخائر تطلب ربحها فخرتها .

وصل الاسطول ظهر يوم الخميس ظاهرا خميسه . نائرا بالاسد
عريسه . في شوان للعدو شوائن . وشانديت لشله وفله
ضوامن . وحراريق لاهل النار بنارها محرقة . وعقبان مراكب في
مطار العقاب على المجرمين محلقة . وسواري هواضب كرواسي
هضاب . وسحاب بوائق كبوارق سحاب . ومن كل مركب للنصر
مركب . ومفرد من الشدة والبأس مركب . وقطعة لنياط قلب العدو
قاطعة . وقلعة لاساس اهل الكفر قالعة . وتلعة في نزوة العزة
تليعة . وذرورة في مرقى الهدى راقية منيعة ، وجاءت في البحر
أمواج في الأمواج . وبخلت الى الثغرافواج بعد الأفواج . وكان
العدو قد أبرز أساطيله . وجهز أساطيله . وشب عوايه
ودواعيه . وأدب عقاربه وأفاعيه . واسمى مناكب مراكبه . وجد في
امهاء غروبه وتسليم غواربه . ولما وصل الاسطول طال
وصال . ولاح للعدو صده بحيلة حال فحال . وامتنع مراده
واستحال . وأخذ الاسطول من مراكبه الكبار ست قطع قطعت
اسبابها . وقصمت من عبدة الصليب اصلابها . وخيب حسابها .

فصل

وصل الاسطول الى البلد مستطيلا بالجلاد والجلد . وأثري به
الثغر بعد الانفاض . واجتمع به شمل الرجاء بعد الانفضاض . وبخل
اليه ماخرج عن حد الحصر . من نخيرة وميرة توجب كثرتها قلة
المبالاة بالحصر . فان الرايات المنصورة علت فجلت في الآفاق
رياضا . والمراكب الاسلامية انقضت ففضت للمسلمين
أغراضا . ووافت ووفت فأعدت جواهرها مراكب العدو
أعراضا . وجاءت سواريتها كالرواسي . وجواريتها محكمة
المراسي . ومن شيمة حراريقها شيم بوارق البوائق لاحراق أهل
النار في الماء . ومن عمل مراكبها الحاف مناكب الكفار رداء
الارداء . من كل جبل يمر مر السحاب . وضامر يشد شد
العراب . وعقاب محلوق على الشرك في مطار العقاب . وغراب ناعب
في اعداء الله بين الأحباب . وهضبة موفية على الهضاب . وقطعة
وافية من الكافرين بقطع الرقاب . وما أحسنها وقد زفت
عرائس . وجلت أوانس . وطلعت بأهل الايمان بواشر وعلى أهل
الكفر عوايس . وعادت بها رسوم مراكب القرنج دوارس . وخلا
وجه البحر من سفن الضلال وتقلص مالها من الضلال . ولما شوهد
الاسطول ساطيا . وجيد النصر منه عاطيا . وأخذ البحر من
الاعداء بحقه . وأشرق سنا النجح في أفقه . ركب العسكر المنصور
للقتال وأخذ أهبة النزال . وزحف الرجال الى الرجال . والتقى
الأبطال بالأبطال . وشفيت بدم الكفر غلة المناصل
والنصال . وأحمرت البيض الظامئات ورويت من نجيع
الزرق . وبشرت جياح العواسل من اليراع العاسل بعاجل
الرزق . وظل أهل الضلال وقد كفهم الكفاح . وفكهم القتل
والجراح . وأقوى الأقوى من الثبات . وبطل بطلهم بما أثخنه من
الجراحات . وبات المسلمون واثقين من الله بأن جمع الكفر قريب
الشتات . وأدرك المشركين ماقاتهم من الآفات .

ذكر قصة ملك الألمان وصحة الخبر المتواتر بوصوله

صح الخبر ان ملك الألمان عبر من قسطنطينية الخليج . وخطب في تلك المروج بمروجه الخطب المريج . وأنه وصل بجمعه الى مضايق صعب عليه منها العبور . وعمهم في نهضاتهم العثور . فقبل انهم أقاموا في قفار ومواضع شهرا . عدموا فيها الطعام ولم يجدوا بها إلاضرا . وكان التركمان الأوجيه (٤٦) على طريقهم . يمتعون بغربهم (٤٧) من تشريقهم . فاضطروا الى المقام بغير زاد . وهم في جهد وضر واجتهاد . فصاروا يذبحون خيلهم ويأكلونها . ويكسرون قنطارياتهم لفقدان الحطب ويشعلونها . فترجلت منهم الوف . ورغمت أنوف ، وكان ذلك في البرد الشديد . وزمان الثلج والجليد . فجمدوا وخمدوا . وتجلدوا وتبدلوا . وعدموا دواب لحمل الأثقال . ونقل عدد الرجال . فدفنوا وأحرقوا منها . وتركوها وسلوا عنها . وكان ذلك من الله لطفا . وأمست قوتهم ضعفا . وكانوا في خلق لايعد . وجمع لايحذ ، فما أثر فيهم ذلك النصب . ولاصدهم عن مقصدهم ذلك التعب . ومازالوا يسيرون والأوجية تبدي لهم للوبال في أوجها أوجها . والأفرنجية لاتنتهي حتى تبلغ الي مالها من منتهى . حتى بلغوا الى بلاد قليج ارسلان بن مسعود . ومسلكها دونهم غير مصدود ولامسدود . وقليج ارسلان محكوم عليه من ولده قطب الدين ملكشاه . وهو يدبر امره ويتولاه . ويسومه الاكراه ، فعارضهم لما قربوا وتعرض لقتالهم . وطاردهم ليضيق عليهم سعة مجالهم . ثم اندفع من بين ايديهم . وتعدى عن جانب تعديهم . وبخلوا قونية دار ملك المسعودية . واعتصم قليج ارسلان بقلعتها المحمية . وتراسل وهو ملك الألمان واتفقا في الباطن على ماكان بينهما من الدواثيق والايمان . وحمل ملك الألمان له وفرا وفرا . واشبه المسلم بالكف عن الكافر كافرا . ووافق على العبور الى الاقاليم الشامية . والبلاد الاسلامية . وعلى انه يسير في بلده الى بلد ابن لاون . واعطاه عشرين مقدما من اكابر امرائه ليكونوا معه حتى يصل الى المؤمن

رهائن . وامر الناس بمبايعتهم على ما يسومونه . وان يعاوضوهم من الخيل والعدة بما يرومونه . واقام لهم الاسواق وعرض عليهم الامتعة والاعلاق . فساروا في رقة ورفق وتقوبلا توق . فلما وصل الملعون الى بلاد الارمن غدر بالرهائن . وساقهم محمولين مع الظعائن . وتأول عليهم بان التركمان سرقوا منهم في طريقه . ونكث جميع موثيقه ، ووصل ليفون بن اصطفائه بن لاون مقدم الارمن الى خدمته . وبخل في طاعته ، وكان بمفرده خاليا من عسكره بمجرد . وذلك في طرسوس . فتمكثوا بها ليريدوا بها النفوس ، وقيل عن لكلب الالمان ان يسبح في النهر . ويميط عنه ماعراه من الوضر والضر . وكان شيخا مسنا قد عاد لكبر سنة شنا . وحسب انه اذا سبح سحب نيل الاستراحة فكان موته في تلك الراحة . وهلكه في تلك السباحة . فانه عام في الماء البارد . وتورط منه في اصعب الموارد . وخرج وبقي مريضا الى ان خرج من ثوب البقاء وتحول الى فناء الفناء . وتلقاه مالك بالزيانية . وحملوه الى نار الله الحامية . وسمعت نصرانيا يقول في معناه : كنت معه لما سلك فهلك واعجله مالك النار عما ملك . وذلك ان النهر ما كان فيه الا عبر واحد والعسكر فيه متزاحم متوارد . فقال ملك الالمان هل تعرفون موضعا يمكن فيه العبور ويؤمن فيه العثور فقال له واحد:ههنا مخاضة ضيقة من احترز فيها عن التيامن والقياسر عبر ولا يعبر فيها الا واحد بعد واحد اذا تثبت واستظهر . فبدر الى تلك المخاضة ذات الجرية الفياضة . وبخل الماء فطغى على ذلك الناري الطاغي . واعجل ذلك الباغي عن المباغي . ورماه في جريانه الى شجرة شجت جبينه وجبنت جاشه . وعثرته بحيث لم يؤمل انتعاشه فتعبوا في اخراجه . وايسوا من عالجة . ومات عدو الله شر ميتة وبلي شمله بتشتيته وحبله بتبتيته . وخلفه ولده على خلف من اصحابه واجناده . لكان الولد الذي خلفه في بلاده وقيل انهم سلقوا ذلك الهالك في قدر حتى تخلص عظمه . وتهرى لحمه . ثم جمعوا في كيس عظامه . وراموا بذلك اكرامه واعظامه ليحملوه الى كنيسةتهم بالقدس قمامة . ويدفوه على ما كان اوصى به . ولما عرف ابن لاون بهلاكه . وسكون حراكه ، وما جرى من الاختلال والاختلاف بموته . وانه لاتلاني لما

فرط من تلقه وفوته فارقهم الى بعض قلاعه . واتصل الضربهم لانقطاعه . ووصل كتاب من الكايا غيكوس صاحب قلعه الروم يرغب ويرهب ويبرق ويرعد . ويقول ويعدد ويدهده ويهدد . ويرى انه ناصح . وللقصة شارح . وان الامر واضح . وان الخطب فظيع فاضح . وان هذا الملعون اول ما خرج من بلده اوصى فيه الى ولده . ثم جاء الى بلد الهنكر فدخله غصبا واوسعه نهبا . حتى اذعن له وانقاد . وبلغ بطاعته المراده وانه اخذ من ماله ورجاله ما اختار ، وتزود من عنده وامتار ، ثم وطىء ارض ملك الروم وداسها . وتوسط ديارها وجاسها وفتح بلادها وملك قيادها . واحوج ملك الروم الى طاعته والزمه بما بذل في استطاعته .

واخذ منه من الذهب خمسين قنطارا ومن الفضة خمسين . ومن الثياب الطلاس المعدنية ما بلغ الألوف وتجاوز عن المثين ، وأخذ على سبيل الرهائن أربعين من خلصائه . ومعروفي كبرائه . وأخذ كل سفينة غصبا ، وسحب على ذلك البحر في التعدية . من مراكبه سحب . وأنه لما عبر وفرغ من الخروج . تلقاه بالخيل والدواب والأبقار والأغنام تركمان الأوج . ثم وقع بين التركمان وبينهم ، وجالوا حولهم ثلاثة وثلاثين يوما يرومون حينهم . وهم في طريقهم سائرون . وعلى مقاتلتهم صابرون . حتى قربوا من قونية فاعترضه قطب الدين ولد قليج ارسلان . والتقى الأقران بالأقران . وهزمه ملك الألمان . ولما أشرف على قونية خرج اليه جموعها . وطالت اليه بالحرب بوعها . ثم اندفعت حيث ضم على الروع روعها . وأنه هجم على قونية عنوة . ونال منها حظوة . وأقام خمسة أيام حتى استقرت بينه وبين قليج ارسلان قاعدة اكية . وحصلت لكل منهما فائدة مهيبة ، وأخذ منه رهائن عشرين . ومن أكابر دولته المتميزين . وقدم كتابه الى ابن لاون بالجواز في بلاده ، فتلقاه بما أعده لارفاه . ونزل حين وصوله الى طرسوس على بعض الأنهار ونام ساعة بعد تناول الطعام . ثم انتبه وتشوق الى الاستحمام . فحرك عليه الماء البارد مرضا . وتشكى اياما قلائل مضضا . ثم قضى . وانقرض اربه وانقضى . وخلفه

ولده بعده . واستمال جنده . وكان ابن لاون قد سار قاصدا للقاء
ابيه . فلما عرف موته وجلوس ولده اضرب عن تلقيه . وعرض
عسكره في اثنين وأربعين ألف مجفف . من كل سرحان أهرت
وذئب اغضف . وأما الرجالة فلكثرتهم تعذر العرض . وغص بهم
طول الأرض والعرض . وقد لبسوا الحديد للحداد على البيت المقدس
وهجروا الثياب . ولزموا المصاب . وداوموا الاكتئاب ، وهم
صابرون على الشقاء والتعب . لأمل الظفر بالطلب .

ولما بلغت هذه الأخبار . اضطربت الديار . وارتفعت الانجاد
والاغوار . وقالوا هذا جانب لا يطاق . واي جانب قصده عنه لا
يعاق . ولا شك انه يتوسط بلاد الشام . ويدلهم ثغور
الاسلام . ويشغلنا عما نحن فيه من هذا الاهتمام . وعزم السلطان
على استقبالهم بالردى والرد . وصددهم عن القصد . ثم ثبت على
رأي الثبات . وتتنظر الاوقات بما يتجدد من الحادثات . وتقلقت
عزائم النين بلادهم على طريق القادم . وانه يعود كل منهم الى
مكانه أخذا بحكم الحازم . فأول من سار ناصر الدين محمد ولد
الملك المظفر صاحب منبج ، ليجمع على طريق العدو ويزعج
ويرهج . ثم عز الدين بن المقدم . الباسل المعلم . ثم مجد الدين
بهرام شاه صاحب بعلبك . ليجمع ويأخذ على العدر المساك . ثم
سابق الدين عثمان صاحب شيزر . الليث الهمام القصور . ثم اليار
وقية اسد الهياج . ونجوم ليل العجاج . ثم رحل الملك الأفضل وقد
عرض له ألم . ثم بدر الدين والي دمشق وقد ألم به سقم . ثم سار
الملك الظاهر صاحب حلب لاضطرابها بغيبته وبهذا الخبر . ولخوف
الناس فيه انهم على الخطر . حتى غلت الاسعار واستعرت
الغله . وخلت الاماكن وتمكنت الخلة . ثم رحل الملك المظفر تقى
الدين لحفظ ثغر اللاذقية وجبله . ويثبت بقدمه عليها الرعية
الخائفة المجفلة . وكان هو آخر من سار ليلة السبت التاسع من
جمادى الآخرة . ورتب السلطان منازل العساكر الحاضرة . وخفت
المسيمة برحيل معظم من كان فيها مقيما . ولحفظ الثوب في اليذك
مستقيما . فانتقل الملك العادل اليها . وجاء الى منزلة الملك المظفر

ونزل عليها . واستقام الترتيب وترتب المقام . واعتز الصادقون
وصدق الاعتزام . ثم مرض اكثر العسكر وخام للوخم . والم بالبعد
للألم . وكان بحمد الله المرض سليم العاقبة قـريب
العافية . مستعقبا لألطاف الله الواقية الوافية ، ووقع المرض في
الفرنج وكان المبيد المبير . والمدني لأصحاب السعير السعير . وعم
فيهم الموت والوبا . وكثر عن ذبواتهم النبا . وتقدم السلطان بهدم
سور طبرية . وهدم ياقا وارسوف وقيسارية . وهدم سور صيدا
وجبيل ونقل اهلها الى بيروت .

عاد حديث ملك الالمان

واما ولد ملك الالمان فانتحس . ومرض اياما في بلد الأرمن
واحتبس . وهلك اصحابه جوعا ومنهم من عزم رجوعا ووقع الموت
في خيلهم ، فانن ذلهم بقلوص نيلهم ، وقدم الملك لرضه . والتياث
جوهره بعرضه جموعه قدامه . وساروا امامه . وخرجوا لكثرتهم
في ثلاث نوب ، في بيض وسمر وبيض ويلب . ومعظم رجالهم حملة
عصا وركاب حمير . غير عارفين بطريق ولا متحفظين في
مسير . والناس يلتقطونهم ويتخطفونهم . ويتألفون على مسالكهم
ويتلفونهم . ووصلوا الى انطاكية ووصل اليها الملك . بعد ان ضاق
به وبجمعه اليها المسلك . وضاق به الابردنس صاحب انطاكية
زرعا ، ولم يجد لهم عنده مطعما ولا مرعى . وطلب منه القلعة
فاخلاها له . ونقل اليها ماله واثقاله . وسأله ان يجعل طريقه على
حلب فخاف . وابدى له الخلاف . وقبل وصوله الى انطاكية قلت
جموعه وجنوده . وبليت بحشد التركمان حشوده . واجتازت الفرقة
الأولى منهم تحت قلعة بغراس . فلقيت البوس والباس . وخرج
رجالها عليهم على قلتها ، وصدمتهم ببسالتها ، واسرت منهم زائدا
على مائتين ، وطمعت فيمن وراءهم من الفتتين ، وقيل انهم حسبوا
ان بغراس باقية بحالهما مع الداوية . فجاؤوا اليها سحرا بأحمالهم
واموالهم السنية . فلم يشعر واليها الا بالبغال على البساب

واقفه . والجني دان يرقب ان يكون له ايد قاطفه . فخرج اليها
وتسلمها بغير طعن ولا ضرب ، وتخلي عنها اصحابها لما عرفوا
الحال ولم يعرجوا على حرب . فاستغنى الوالي من ذلك اليوم . من
مال القوم . ثم انكر حتى لا يطالب بشيء منه . وغفلت الايام
عنه . وذكر الامير علم الدين سليمان بن جندر في كتابه . انه
انهض جماعة من اصحاب امراء حلب واصحابه . ليقتفوا
آثارهم . ويكشفوا اخبارهم فوقعوا على خلق عظيم منهم
فخالطوهم ولم يرجعوا عنهم . وانقضوا عليهم انقضاض البزاة
على الحج . وزاروا فيهم زئير الاسد في النقاد . وزاروهم
بالاجل . واسر كل واحد من اصحابنا ثلاثة واربعه . وتركوهم
متمزقة متمزعه . وعادوا بالاسارى الى حلب وباعوهم في
الاسواق . وامتلات بالاسلاب منهم والاعلاق . فطابت قلوب
الرعايا . وانست من الله بما ظهر من الطافه الخفايا . وطمع فيهم
اهل القرى . والتقطوهم من الوهاد والذرى . وما صدقوا بالسلامة
حتى آواهم الابرذس الى انطساكية . وراح من الامهسا
الالمانية . وذابوا في هذه الطرقات ذوبا . وصب عليهم العذاب صبا
اذا اخذوا صوبا . وهلك بانطاكية الكند الكبير مقدم
العسكر . وتبعه الى سقر كبير من ذلك المعشر . وحصل الابرذس
بتلك الاموال المجتمعه . والنخائر المودعه . حتى قيل انه انما رغب
في الوصول الى بلده . ليحصل على سبده ولبده .
فأخلى له قلعه . لينقل اليها خزانته . ففعل ومارجع اليها .
واحتوت يد الابرذس عليها . ثم ساروا على طريق
الساحل . بالفارس والراجل ، وخرجت عليهم خيل جبلة
واللاذقية . وسقتهم كؤوس المنية ، واقتهم على البوس
والبلية . فأغذوا في السير حتى وصلوا الى طرابلس وقد نقص
نصفهم . وتم بعواصف البلاء نسفهم . وبلغ امدهم وانتهى
مددهم . وجبن الملك عن المسير على الطريق . لما لقيت جموعه في
طرقاتها من التفريق . فركب البحر في عدد يسير لا يزيد على
الف . برعب قلب وقصور يد ورغم انف . واختلط مع الفرنج على
عكا فسقط اسمه . وسخط حكمه . وهلك بعد قليل . ولم يحظ

بنقع غليل ، وسألم بذكر حالاته في مواضعها . وذكر مصارف
جماعته ومصارعها .

وكتبت الى الديوان العزيز فصلا بخبر ملك الالمان عند ارجاب الارجاف به

قد وصل الخبر بالداهية الدهياء . والغمة الغماء . والنكبة
النكباء . والشدة الدهماء والليلة الليلاء . وهي ان ملك الالمان ومعه
ملوك الافرنجية وحشودها . وقوامصها وكنودها . واحزاب
الشياطين وجنودها ، والوية اللأواء وبنودها . وصل جارا على
السماء نيدول قتامه . مجريا في الأرض سيول لهامه . ثائرا بأطلابه
لطلاب ثاره . سائرا بخيله ورجله كالسيل الى قراره . وانه في
عصائب صلبان في عصيبتها متصلبه . واتباع شياطين لارضائها
متغضبة . واسراب سراحين على سرح الاسلام متوثبة . وانه في
مئين من الالاف الالاف للمذون . واقطاب الاعطاب الدائرة لدوائر
سوتها رحى الحرب الزبون . وقد اوقدوا للشر شرارا . وأضرموا
للشرك الداعي الى النار نارا . فإن حسرتهم على قسامتهم
دائمة . وقيامتهم قائمة . والموت يدعوهم الى المقبرة التي
يدعونها ، والأجال تليهم لناياهم التي يدعونها . وكان خبر
وصوله متداولاً على السنة الارجيف . وتشيعه اعداء الله من قبل
للترهيب والتخويف . واستعدت العساكر الاسلامية للتوجه الى بلاد
الروم في الربيع . ليقع التساعد مع عساكرها على دفع تلك الجموع
باتفاق الجميع . وانتظر ورود خبر صحيح . ويقين نبأ بامر
صريح . حتى اذا صح الخبر . سار العسكر ، ثم انقطعت
الاخبار ، وتمادى الانتظار ، ومضت شهور الربيع اذار . ونيسان
مايار . وكانت كتب سلطان الروم قليج ارسلان واولاده ورسالهم
متواصلة بما ينبئ عن التعاضد . ويبني امر الوفاء والوفاق منه
على التعاون والتعاقد ، وهم بانهاء ما يصح عندهم
واعدون . ويزعمون انهم في رد الواردين واردائهم

مساعدين ، فأخلف ذلك الوعد . وضيع ذلك العهد ، ووصلت كتبهم بفتة في هذا الاوان ، بما تأخر به الخبر عن العيان ، وقالوا: انهم قد توسطوا بلاد الاسلام . وانهم على قصد الشام . ثم ورد الخبر بانهم صالحوهم وصالنوعوهم ، واخذوا لهم الطـريـق ووادعوهم . ووسعوا لهم في المضايق . وسعوا في أمن طرقهم من الطوارق . وهذا حادث كارث ، وباغت فاجيء فاجع لاهل الحمية في الدين باعث . وناكب لعقود العقول في تعاضم ضروره وتفاقم خطره ناكث . وقد تعين الجهاد على كل مسلم . وما في الوجود مؤمن يكون له هذا الملم غير مؤلم . والاهتمام بدفعه من افرض المهام واهم الفروض ، والخادم منفردي حمل عبء هذا الفداح الباهظ بالنهوض . وهو واثق بان بركات الدار العزيزة تدركه ولا تتركه . وان الذي يستبعد من النصر القريب يتساق ويتسع به سلكه ومسلكه . إن شاء الله .

فصل فيه في جواب امير

عرفنا خبر العدو المشؤوم ، الواصل من جانب الروم ، وهذه هديه اهداها الله الينا ، وفضيلة خصنا الله بها حيث اقامنا في مقابلة اعدى اعدائه ، واقدردنا على مقاتلة من نازعه في كبريائه ، وقد ساقهم الموت الى المقبرة التي يدعونها ، ولبتهم المنايا التي يدعونها ولا يدعونها ، ومعاقلنا بحمد الله قوية . وصوارمنا من دماء اعداء الله روية ، فيجب ان يكون في جميع اموره محتاطا ، ويظهر بما يغنمه الله من اسلابهم واشلائهم اغتباطا

فصل من كتاب الاستنفار

قد عرف ان العدو الالمانى المخذول قد وصل فما لعوده عن هذا المقام معنى ، وما لمن تأخر عن نصره الاسلام من ثمرة السعادة

مجنى ، وهذا وقت نهوضه بجميع أهل بلاده واوان بذل وسعه وجده واجتهاده ، فانه محضر لا يغيب عنه الا من ليس له عند الله خلاق ، وموقف يفى بعهد الله فيه من سبق له ، معه في السعادة ميثاق ، وانها لغنيمة اوفدها الله علينا . وهدية اهداها الله اليينا وفضيلة خصنا الله بها واسعدنا بسببها ، بل هي بلية جلاوجه النعمة فيها ، بل قضية وفي الله في النجاح بموعد توافيها ، بل ملمة اختارنا الله لدفعها . وطاغية استدعى اوليائه لقمعها . وثائرة كلفنا الله باطفاء جمرها . وارداء جمعها . فلينهض نهوض الكريم الى مساعدة الكرام . وليخطب اهتمام العظيم بملايسة الخطوب العظام . وليثب واثوب الاسد على الفريسة . ولينتخ للاسلام انتحاء ذوي الانفس الالبية والهمم العلية الذفيسة . وليكن اول سابق في مضمار الجد . واسعد طالع في افق الجلد . فان الاسلام في انتظاره . والمطالع مستشرقة الى اشراق انواره . لازالت الاقدار جارية في اسعاد الدين والدولة باقداره .

فصل من كتاب

قد احاط العلم بما عرا من الملم . وعرض من الخطب المدلهم ، ووصل من العدو السائر . ونزل من النازلة التي هي ام النوازل . والدائرة التي هي ام الدوائر . وقد أن للإسلام ان يسلم . وللإيمان ان يعدم . وللتذليل ان يعلن . وللتوحيد ان يكتم . وللكفر ان يقدم . وللهدى ان يحجم . فقد قذف البحر من الفرنج بزبده . والبرأتى آتية من كل بلد للكفر بسببه ولبده . ووصل الالماني المخذول بعده وعدده . وهذا خطب قد دمهم . وعدو قد هجم . وشرقد نجم . وجمر داهية قد وقد . وجمع طاغية قد وقد . في جيوش جادشة . وجموع طائشة وجنود محشوره . وبنود مذشورة . وخيول مجفجه . وسيول مجدفه ، وهذا اوان تحرك ذوي الحمية . ونهوض أهل الهمم الالبية العلية . فان القوم في كثرة ولايقاتلون الا بالكثرة .

وهم مغتربون . بعلوهم . معتزون بعثورهم . مستنون في طريق العثرة
والسيل اذا وصل الى الجبل الراسي وقف . والليل اذا بلغ الى
الصبح المسفر انكشف . والمجلس اولى من تولى تفريج هذه
الغمة . وكشف هذه الملمة حتى تخلف اماني الالمانى . وتبطش
ايمان الايماني . وتخذل انصار النصراني . وتجنبي وتبر رؤوس
الجنوبي والبيزاني . فاين المؤدون فرض الجهاد المتعين . واين
المهتدون في نهج الرشاد المتبين . واين المسلمون وحاشي ان يكونوا
للاسلام مسلمين . واين المقدمون في الدين ومعاذ الله ان يكونوا في
نصرته على الموت مقدمين . ولولا التقيد بهذا العدو الرابض .
لأطلقت اعنه النهضة الى العدو الناهض . ولا بد من لقائه قبل تالفق
الجمعين ، وارة الملاعين وجوه حدوفهم ملء العين .

فصل فيه

قد سد طريق الفلق فيلقه الطارق . وزحف الى الحق الثابت باطله
الزاهق . وجال بالوجل وجاء بالوجيب . وثار لثار الصليب
السليب . وقد جمر جمعه . ورتق فتق الصبح رقع نعه .
وماض القضاء ختام قتامة . حتى ختم على ضوء نهار الهدى ليل
الضلال بظلامه . والرجاء محقق ان الالمانى مخفف بالمامه .
والاسلام مشفق من اسلامه . والدين موفق بنصرة امامه . وعصمة
الله الواقية الوافية من ورائه وامامه . والله الكافل باعلاء اعلامه .
واحكام احكامه .

ذكر الواقعة العادلة

كان الفرنج لما صح عندهم وصول ملك الالمان الى البلاد . وانه ملا
احشاء الربا والوهاد بالاحشاد . قالوا انه اذا جاء لايقى لنا
حكما . والصواب ان نشيع لنا قبل شيوع اسمه اسما . لاسيما وقد

خفت عساكر الاسلام . وقفل اكثرها الى الشام . فحن ننتهز
الفرصة . ونحرز الحصنة . ونهتيل الغره . ونهجم عليهم هذه
الكره . ونذيقهم المرة المرة . ونفرغ من شغلهم قبل مجيء القادم .
ونمت بعز العزائم ونقل حدودهم بحدود الصوارم . فخرجوا ظهر
يوم الاربعاء العشرين من جمادى الاخرة . في حشر يذكر بحشر
الساهره . واسود بياض النهار من سوادهم . وتراءت الاجام لنا
متوافية باسادهم . وامتدوا الى الخيم العادلية ، واشتدوا بما
استصحبوه من البلية . في كل نذب امعط . وسيد قد تورط .
وسرحان سرح . وافعوان كلح ، وجهنمي تجهم فهجم ، وجحيمي
أقدم وما احجم ، وسعيري ناري استعار خدمة النار . وسقري
قسوري عاد بعادة الاقتسار . وباروني طالب للبووار . واسبتاري
راغب في التبار ، وداوي معضل الداء . وتركبولي غير تارك للبلاء .
وسرجندي كزار . وفريري غير فرار . وفارس يفرس الرجال .
وراجزيرجز الفرسان الابطال . وازرق رزقه الموت الاحمر . وانمشي
يمشي واليوم اغبر . واشقر وهو اشقى . وابقع انا غوى في الوغى
ماترك ولابقى . وبخلوا الخيم العادلية وتجاوزوها . وقد كانت
اخليت قبل ان يجتا زوها . ووقف الملك العادل بطلبه . وعن يمينه
ويساره امراء الميمنه النين بقربه . مثل صارم الدين قايماز النجمي
وعز الدين جريدك الذوري . وجماعة من المعروفين بالشهامة .
والموصوفين بالصرامة . ولبث الملك العادل لبث المخادع المخاتل .
حتى يطلع من العدو على المقاتل . فقادتهم الاطماع الى الانتشار .
واقضى بهم الاعتزاز الى الاغترار . فحينئذ بدأ بالحملة ولده الاكبر
شمس الدين مودود . وهو في كل وقعة يحضرها جاد مجدود .
فعضده والده وولده مساعده وساعده . وحمل معه العسكر الحاضر
قبل ان تتصل به العساكر . فكسر الفرنج كسرة فرشهم على
الارض وذكرت الواقعة العارضة بوقوعهم في النار يوم العرض .
وكانوا قد بعدوا اكثر من فرسخ . واجفلوا ولم يلتفت اخ الى اخ .
وركبت العادلية اكتسافهم . وفلوا فيهم اسسيفهم .
وعقروهم وعرقوهم وبعجوهم وبعجوهم . وحكموا في الرقاب
الغلاظ منهم الرقاق . وضربوا ممن اعنقوا اليهم الاعناق . واشبعوا

الذوبة بلا نائبة . والغزوة بلا شائبة . وقتل منهم زهاء عشرة الاف . ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشرة . فاغتنمها تجارة رابحة وغنيمة ميسره . ولما عرفت بالواقعة . والنصرة الجامعة . صدرت ثلاثين اربعين كتابا بالبشارات . بابلغ المعاني وابرع العبارات . وقلت اذا نزل السلطان وجد الكتب حاضره . ولأرى البشائر شائره . وركبت انا والقاضي بهاء الدين بن شداد . لمشاهدة ما هناك من اشلاء صرعي واجساد . فما اعجل ماسلبوا وعروا . وفروا وفروا . وقد بقرت بطونهم . وفقئت عيونهم . ورأينا امرأة مقتولة لكونها مقاتلة . وسمعناها وهي خادمة بالعبرة قائلة . ومازلنا نطوف عليهم ونعبر . ونفكر فيهم ونعتبر . حتى ارتدى العشاء بالظلام . فعدنا الى الخيام . واخذت الكتب التي نمقتها . بالبشائر التي حقتها . وجئت واذا السلطان قد استبطاني . وعدم اجابتي لما دعاني . فما صبر ولاانتظر . ولاترقبني ان احضر . ولاامهل ان اعطي البشارة حقها . واجلوا بانوار المعاني افقها . وابلغ بالبلاغة مداها . واسبغ بتقليص الضلالة ثوب هداها وأصف بحدود الاقلام ما صنعته حدود السيوف . واروج نقودي عند السلطان واغنية عن الزيوف . فابصرت عنده مشرفي المطابخ والايات . ومدوني الجرائد بالانبات . وقد كتبوا تلك البشارة الثقيلة الجلية في رقاع خفيفة . بعبارات سخيقة . وقد عطلت الحسناء من حليتها . وعروها من بزتها . وشوهوا جمالها . واحالوا حالها . فذهب بها المبشرون . وسار القاصدون . فما كان لتلك الواقعة عند من وقف عليها وقع . ولاتم لغليل من رام الاطلاع على حقيقتها ذقع . وارادوا بدمشق قراءتها على المنبر فما استحسوها . ولو وردتهم بزينة عبارتي وبراعتي زيونها . وفي تلك الحالة التفت السلطان الي وقال اكتب بهذه البشارة الى بغداد . وعجل بها الانفاذ . فقلت على سبيل العتب انتم ماتريدون ما اكتبه . ولاترغبون فيما ارتبه واهذه . فقال كاذك كتبت البشائر فهاتها . حتى تهدي الى طرقاتها . فقلت ما فات فات . وهيهات هيهات . واخرجت له ما بقي من بشارات البلاد التي انشأتها . بالالفاظ والمعاني التي ابتدعتها وابتدأتها . فسارت فسرت البعيد والقريب .

وخصت من جدها بالخصب الجيب . وصدحت باسجاعها المناير .
وصحت بسماعها المفاخر . وظهرت بعباراتها العبير . وبهرت
بزبرها الزبر . وعمرت بمعانيها المعاني . وعمت مباهجها مناهج
الاقاصي والاداني فما اصحها كسره . وما اسحها نصره . وما بينها
محجه . وما اثبتها حجه . وما افرجها مسرة . وما اسرها فرجه .
وما ابرحها بالكفر صرعه . وما اوضحها للاسلام شرعه .

فصل في ذكر حالهم

لما عرف الفرنج انفصال جماعة من الاكابر . ومفارقة عدة كثيرة
من العساكر . خرجوا متجاسرين . وامتدوا متقاطرين . وانتشروا
متغاورين . واغاروا للواء اللاواء ناشرين . ووصلوا في الميمنة الى
الخيم العادلية فاخليت حتى بذلوها . وتفرقوا فيها بجموعهم
وتخللوا فركبنا اليهم . وحملنا اليهم . وتركناهم صرعي بالعراء .
فوضى بالفضاء . فما بكت عليهم الارض ولا السماء . ورويت
السيوف من دمائهم . قبل ان تشبع الوحوش من اشلائهم . وظهرت
لنا نعمة الله في بلانهم وحيي الاسلام بهلاكهم . وضمتهم اشراك
الردى برداء اشراكهم . وانجلت المعركة عن اكثر من عشرة الاف
قتيل كافر . وثبت حكم ادالة الاسلام وظهوره باوضح دليل ظاهر .
ولو اتفق خروجهم من مراكزهم باسرههم . لكننا فرغنا من شغلهم
واخلينا بالننا بتأييد الله من امرهم . والآن قمع انطفاء جمرتهم .
وصحة امزجة العزائم بكسرتهم . وتطرق القلة الى كثرتهم . نرجو
من الله ان يسهل امرهم العسير . ويهون خطبهم الخطير . وان
ظهورنا عليهم قطع ظهورهم . وعثور هذه الواقعة بهم حقق
عثورهم والله تعالى يحقق تبارهم ووجورهم .

فصل فيه

وصلوا الى الخيم العادلية في الميمة الميمونة . واشتغلوا باستباحة
احوالها المصونة . فاطلقنا عليهم الاعنة . وشرعنا الى نحوهم
الاسنة . وبعنا النفوس لنتسلم ثمنها الجنة . وقرشناهم على
الارض . واديننا بارداً لهم بعض الفرض . وانجلت المعركة عن عشرة
الاف قتيل مشرك . وشملتهم المذون فكانهم جاؤوا على موعدهم
مهلك . وارويننا من دمائهم ظمأ السيوف . وجعلنا اشلاءهم قرى
الودحوش لالضيوف . وامن الاسلام بحمد الله من المخوف . وادرك
الله باخذ ارواحهم رمق الدين الملهوف . وهذا دليل ظاهر على ركود
ريحهم . وخمود مصاييحهم .

فصل

حملت عساكرنا عليهم . واحاطت بهم من حوالهم . ورضتهم
بالدبابيس واللوت . وتركتهم سرعى بتلك المروت . وساحت بتلك
الساحة دأماء الدماء . واكتسى عربى العراء بتلك الاشلاء . وافضى
بذلك الفضاء جمرهم الى الانطفاء . وامرهم الى الانقضاء ورتعت
ثعالب الرماح من كلاء كلاءهم في المرعى . وانجلت المعركة عن مهلكة
عشرة الاف . فترى القوم فيها سرعى . وطابت من نتن جيوفهم
رييح النصر . وحنث من سماجة مراهم وجوه الدهر . والآن الان
الله شدة شككتهم . وقط شوك شوكتهم . وهبت نكباء نكبتهم .
ونرجو أن يسهل من امرهم ما تصعب ويؤلف بصدعهم من الاسلام
ما تشعب .

فصل

وصلوا الى الخيم العادلية فدخلوها • وتفرقوا فيها بجمعهم
وتخللوا • وكان ذلك قبل تكامل ركوب العساكر • وتموج بحارها
الزواجر • فحمل الملك العادل ومن هو قريب منه من الامراء
والماليك كولندا الحسام بن لاجين وصارم الدين قايمان النجمي
وبشارة وجريدك وعطفوا عليهم عطفه صددتهم عن
الانعطاف • وصرفتهم عن الانصراف • وثارت اثارهم بواتر
البواتر • واحتوت عليهم الضوامر احتواء الضمائر على الاسرار
بالحوافر الحوافر • وفضتهم بالقضاء وعرتهم من كسوة الحياة
بالعراء • ولو لحقت الميسرة لتكمل قطع دابرتهم • واتى القتل على
اولهم وآخرهم • وانجلت المعركة من الكفار عن عشرة الاف
قتيل • ملأت كل واد وسدت كل سبيل • وقد نلت عزتهم وضعفت
قوتهم • وعجزت قدرتهم • ولما انقضت هذه الواقعة • وثم
للهاضين الينا الرجعه • رأيت احد مماليكي ونصله قد
خضب • وعزمه قد رضي بعد ما غضب • فسألته كم قتل • والى
اين وصل فقال: اما انا فما أبقيت . وخضت البحر وما
توقيت . وهذا غلامي قتل تسعة • وشام من عارض نجيعهم
نجعة . وكان النين حملوا وهزموا وقتلوا اقل من الف فقتلوا
اضعافا مضاعفة • وعدموا ممن وراءهم مساعدا
ومساعفة • وحكي من نوادر هذه الوقعه ان فرنجيا عقر فجئنا
للضرع • فعثر به راكب برزون • بغير رفيق ولا عون • فعرقب
الفرنجي فرسه بسيف في يده . فنزل بجده مستنا في جده . وقتل
ذلك الفرنجي وروى من دمه الهندي . وحل من وسطه ثمانين
دينارا • فانقلب ربحا ماعده خسارا . وامتلات الايدي بالاسلاب
والاكساب . وحصل من العمد ما لم يكن في الحساب . وبيعت
الزربيات ذوات الاثمان بالرخص ، وزادت ارباح اهل السوق بذلك
النقص

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الآخرة ورد في عصره نجاب من حلب بعد خمسة ايام . بكتاب يتضمن نجاح كل مرام . وبخبر بان عسكريا مجرا من الكفار خرج للفارة على الأطراف والاقطار . فخرج اليه العسكر واخذ عليه الطريق ، وطلب ذلك الجمع في الهزيمة المضيق . فلم يصح لهم رشد في منهاج . ولم ينج منهم ناج . فعضد ذلك الخبر هذا العيان . وقاموا بهوان الكفرة البرهان . وسر الخواص والعوام وخص وعم السرور . وانارت المطالع وطلع النور . وشرع الفرنج في الخداع . والمراسلة في امر للجانيين عام الانتفاع . وسألوا في الصلح . والخروج من ليل الحرب في السلم الى الصبح . وانن لهم السلطان في الخروج . للنظر الى اولئك الصرعى بتلك المروج . وهي قد تورمت وأنتنت وجافت ، وحميت الشمس على جيفها وحافت . وضافتها القشاعم والخوامع وعليها اطافت ، فساءهم ما سرنا ، ونفرهم ما اقرنا .

ذكر ما تجدد للفرنج من الانتعاش بوصول الكندهري
بالمال والرياش وما اعتمده السلطان من الاحتياط
اشفاقا من التفريط والافراط

وما زال الفرنج في وهن وضعف ، وتوزع بينهم وخلف ، حتى وصل في البحر . كند يقال له هري . وهو عندهم عظيم القدر . فكممل بمن وصل معه نقصهم . واحيا بعد موت نفوسهم حرصهم . وافاض عليهم بالاموال . وحلى منهم بعد عطائها الاحوال . ورضع بالرجال مراكز من صرع . وقرع السن ندامة على من قلع وقرع . وانفسخ عزمنا عما كان فيه شرع . فقد كان العزم بل الحزم ان نبادرهم على ضعفهم . قبل ان يمددهم البحر بضعفهم . فكان من تقدير الله تأخير ما وجب تقديمه والتواني فيما تعين تميمه . ولما وصل هذا الكند وتمكن . وقوى اهل الكفر بكل ما امكن . اظهر انه يكبس عسكريا ليلا على غره . وبدت منه امارات

كل شره وشره . وشاع هذا الخبر على السنة الجواسيس
والمستأمنين . فاحضر السلطان أمراءه وخواصه المؤمنين
الميامين . واستشارهم فيما يقدمه من الصواب . ويفتحه في
المصالح الراجحة من الأبواب . فاشاروا بإسراع الحلقة . وادارتها
كالمنطقة . والتنفيس عن العدو بالتأخر عن قربه . حتى يؤنس الى
الخروج لحربه . فوافقهم السلطان على هذا الرأي وحسن في
قلبه . فرحل يوم الاربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة الى
منزله الاول بالخروبة . واشتغل بالتدبير في الفوز بالنصرة . ونزل
العسكر على تلك الهضاب وحوالي سفوحها . واحتوت كل جثة
خيمة ممن حل فيها على روحها . ورتب اليك في المنزلة الاولى كل
الف فارس بالنوبة في يومين . وضويق بأهل الصدق منهم اهل
المين . وتدبر الترتيب وترتب التدبير . وعرف في اليك اوقات نوبته
واوبته الصغير والكبير . واما عكا فالكتب مترددة اليها ومنها
السباح . والحمام اليها ومنها تحمل البطاقات على
الجناح ، والمراكب تدخل اليها وتخرج ، واليها عنها تعرج
وتعرج . واخبار ملك الالمان متواصلة . بأن انصاره له
خاذلة . وانه ضعف ووهى . وانه الى انطاكية انتهى . وانه تعوق
هناك . وتوقع من مرامه الادراك . وتوقف عن المسير . واعتاض
التعسير من التيسير . ووقع الفناء في جمعه . وتعجل قمعه قبل ان
يصل الى محل قمعه . وانه قد اشتغل بالانفاق في رجال الاستجناد
والاستنجد . والاحتشاء والاحتشاد . وان اصحابنا يأسرونهم
ويتلفونهم ويتلقونهم . من الطرقات ويتخطفونهم . ووصل من ملك
قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا واستسعافا . ويجمع قطافا
ونطافا والطافا . ويذكر تمكينه من اقامة الجمعة في جامع المسلمين
بقسطنطينية والخطبة . وانه مستمر على المودة راغب في المحبة .
ويعتذر عن عبور الالمانى . وانه قد فجع في طريقه بالالمانى . وانه
لاقى من الشدة . ونقص العدة . ووصل المشقة . وقطع الشقه . ما
أضعفه وأوهاه . وألهبه وألهاء . وأنه لا يصل الى بلادكم فينتفع
بذفسه أو يذفع . ويكون مصرعه هناك ولا يرجع . ويمت بمابه
كاده . وأنه بلغ في اذاه اجتهاده . ويطلب رسولا . يدرك به من

السلطان سولا، فأجيب في ذلك الى مراده . ووقع الاعتماد بما ذكره من اعتداده .

ذكر حريق المنجنيقات

وفي رجب من السنة اذفق الكندهرى بعد وصوله ما وصل معه من المال والرجال . فأعطى عشرة آلاف راجل في يوم واحد ليجدوا معه في القتال . وضايق مدينة عكا اشد مضايقة . واخذ القومص والكودون بذلك . موافقه . ونصب عليها كل منجنيق . من الرمي غير مفيق . رجومه للشهب بالشياطين . ونجوم الحجارة تنقض من أرض الكافر الى سماء الدين . فهي مجانيق مجانيين . وميادين ثعابين . ومسارح سراحين . فاشتد على اصحابنا بالبلد وقعها . واحتد على صدقهم صدقها . وقالوا كيف نجد من مناصبها المناص . وهل نلقى من شؤم خصائلها الخلاص . فأجمعوا على الاقدام وأقدموا على الاجتماع . وأخذوا بالارتياء في ترك الارتياح . وخرجوا بالفارس والراجل . وأما بالحق أمة الباطل . وجاوزوا تلك المجانيق المنصوبة والستائر المضروبة الى خيامهم . وخافوها من ورائهم واللقاء من قدامهم . فلما خلت المنجنيقات ممن يحميها . خرج الزراقون من البلد ورموا النار فيها . فاحترق جميعها . وغرق في بحر النار صريعها . وقتل في ذلك اليوم من الفرنج سبعون فارسا في اللقاء . وقطع الواصلون اليهم طريق البقاء . واسر منهم خالق كثير . من جملتهم اربعة من المعروفين فيهم فارس كبير . فما أمهلوه حين أخذوه . حتى قتلوه ونبذوه فطلبه منهم الفرنج بالأموال . ولم يعرفوا بالحال . فأخرجوه اليهم قتيلا . فأكثر الفرنج عليه بعد التعويل عويلا . فباتوا يندبونه زوحا ، وينيعون سر تقدمه فيهم بوحا . فخدموا بعد ذلك الضرام . وركدوا بعد هبوب ريح المرام . وضربت عليهم الذلة . وشجتهم عقودهم المنحلة وعقولهم المعتلة . وطمع فيهم الناس . وعرا طمعهم الياس . وصارت الخنادق تهجم . والستائر تهتك وتضرم والحدود بالاصال تذلّم .

والخدود بالنصال تلثم الى ليلة شعبان من السنة . فأبنت بالحالة الحسنة . فان اصحابنا خرجوا على غرة . ومضوا الى القوم بانكاء مضره . وأحرقوا منجنيقين كبيرين قد نصبوا بعد كل استظهار . وانفق على أحدهما كند هري ألفا وخمسمائة دينار . وكانت الليلة الاولى من شعبان مباركة . ونعم الله لنا ونقم الله على العدو فيها متدركة .

ذكر وصول بطسة بيروت في العشر الآخر من رجب

قد تواربت الشكوى من البلد أن النخيرة قد فنيت . وأن الافكار باستدعائها عنيت . وأن الأجسام لفقدان قوتها ضنيت . وأبطأ على السلطان وصول البطس المستدعاة . من مصر بالفلات . فرأى ان ذلك من تقصير الولاة . وأفكر فيما يعجل به قوة وقوتا . ويجعل له اجلا موقوتا . فكتب الى والي بيروت عز الدين سامة . ان يهجر في كل مابه عز الدين السامة . ويعطي ويتزكى ويحتال في انفاذ ميرة الى عكا . فعمر بطسة كبيرة وأعدھا . وأجد من عزيمته الماضية فيها جدھا . وتولاھا بخلق سمح . وملاھا بأربعمائة غرارة قمح . ونقل اليھا أنواع الطعام . واصناف الأدام . وقطيعا من الأغانم . وهذه بطسة من الفرنج مأخوذة . وهي بساحل بيروت منبونة فأمر السلطان بترميمها وتتميمها . واخفاء البغية منها وتكتمها . وأزيحت منها العلة . ونقلت اليھا الغلة . ومائت بالشحوم واللحوم . وبكل ماتدعو اليه الحاجة من المشروب والمطعم . وحمل فيها من أحمال النشاب والذفط ما جمع به فيها بين القوة والقوت . ورتب فيها رجال مسلمون ونصارى من أهل بيروت . وأرادوا ان تشدبه ببطس العدو في البحر . وأن لا يذكشف للفرنج مالها من الستر فتصوروا رهبانا . وصوروا صليانا . ومسحوا لحاهم ومسحوا حلاههم . وتملطوا وتكوفوا . وتشبهوا بهم في كل بزة لئلا يتخوفوا وشدوا زنانير واستصحبوا خنازير وساروا بها في البحر بمراكب الفرنج مختلطين . والى محادثتهم ومجازبتهم منبسطين . والقوم

لجهلهم لا يشكون انهم من اهلهم وذنسوا الحادث واذنسوا بالحديث .
وتصور الطيب بصورة الخبيث . ولما حاذوا بها عكا صوبوها
نحوها والريح تسوقها . والفرنج تدعوهم من مراكبها وتقول ماهذه
طريقها . وهي كالسهم النافذ قد سد فوقها . وقد عقت رفقتهما .
وهي تكاد تعوقها . وقد دخلت الثغر وأدخلت اليه كل خير . وعجب
الناس منها ومما تم لها من حيلة في سرها . واجتزا البلد بها
شهرًا . ووجد منها لكل كسر جبرًا . يالها من لطيفة قضينا منها
الارب ولم نقض منها العجب .

ذكر وصول بطس الغلة من مصر الى عكا ظهر يوم الاثنين رابع عشر شعبان

كان السلطان قد كتب الى النواب بالاسكندرية على وجه
الاستظهار بأن يشرعوا في تجهيز البطس الكبار . ويملاوها بالغلات
واصناف الاقوات . ويعمروها بالكماة الحماة الرماة . ويرسلوها
عند موافقة الريح الى الثغر . فان خلصت اليه ولو واحدة منها أغنته
بعد الفقر . وتمادت الأيام على هذا الأمر . واستبعد وصولها مع
امتلاء البحر بمراكب الكفر . وكاد اليأس يغلب . والرجاء
يضطرب . ووردت كتب اصحابنا بعكا انه لا يبقى لنا ليلة نصف
شعبان قوت . ولا شك ان كتاب اجلنا الى هذا الأمد
موقوت . فاشفقت النفوس واستشعر البوس . وامت القلوب وامت
الكروب . ولجأنا الى الله الذي يجيب المضطر اذا دعاه . ولا يخيب
من رجاه . ولا يضيع من استرعاها . فلما كان ظهر يوم الاثنين رابع
عشر شعبان ظهرت من أقصى اللجة تلك بطس كأنهن الاعلام
واستبشر بظهورها الاسلام . وقد زفت عرائس جواربها الحسان
وخفت رواصي سواربها الثقال . وذكرت بقوله تعالى: (وهي تجري
بهم في موج كالجبال) (هود ٤٢) والريح تطردها طرد النعام .
والماء يرسلها على رغم أهل النار الذين هم اضل من الانعام . فما

تراعت حتى استقبلتها مراكب الفرنج وشوانيتها . واحاطت بها
تقاتلها من اقصاها . وأدانيتها . وهي تشق عليها وتشققها .
وتعوقها عنها وتعيقها . حتى برت منها البر الإيمان الأيمان .
وهزات بتلك الأكمات المطيفة بها جبالها الرعان . وعبرت والكفر
خزيان ينظر ، ونهضت بالعز والعدو في نيل الذل يعثر . ووصلت
الثلاث وهي سالمة ، والمثلثة راغمة والموحدة غانمة . وقد فرج الله بها
غمة الثغر . ودفع ما ألم به من الضر . وحمدنا الله على الموهبة التي
أدركت الأرماق . وأدرت الأرزاق . وتلافت الأرواح من التلاف .
وحملت عن الذفوس المشفية مشاق الكلف .

فصل من كتاب الى سيف الاسلام في هذا المعنى

كان كتب الينا اصحابنا بعكا اننا حسبنا وإلى ليلة نصف شعبان
لايبقى لنا شيء نقاته . وبقاؤنا ببقاء القوت وفواتنا فواته . فبينما
نحن في هذا المهم مفكرون . ومن هذا الهم متذكرون . اذ ظهرت
العيون بالقرة . ولالقلوب بالقرار والمسرة ثلاث بطس على ثبج البحر
مستقرة . يبعثها لطف الله بعثا . وتحثها الريح القوية حثا . كأنها
جبال باقبالها تروع ونسور اجنحتها القلوع . وشعر الفرنج بها
فضاقت مذاهبها . وبرزت مراكبها . ودبت عقاربها وقربت من
البطس شوانيتها . وقويت في البطش أمانيتها . وحمى مافيا من فيها
من الرجال . وهي تجري بهم في موج كالجبال . وكأن جواربها
عرائس يزففن بما لهن من الجهاز ، وكأن البحر المتموج ثوب بتلك
الأعلام المنشئات معلم الطراز . بل كأنها تجار تحمل الصدقات الى
ذوي الاعواز . فجاءت فجأة متسقة موسقة . وأتى الآتي بها موافقة
موفقة . فلم يقدر على مقاربتها ومقارنتها شيني شانيء . وكانت
كلاءة الله وعصمته لها خيرا من كل كاليء . وجازت والكفر خزيان
ينظر . وفازت بالعز والعدو بنيل الذل يعثر . وكان وصولها أوان
انفضاض الأزواد وانفادها . فملات المدينة بغلاتها . وأزوادها .
وعصمت أرماقها . ودسمت امراقها . وقسمت ارزاقها . واشبعت

جوعها . وشبعت صدوعها، وأنالت آرابها . وأزالت اجدابها .
وخصنتها بخصبها وصحت لها بسحبها . فأفاقت من الفاقة وأفرقت
من الفرق . وسكنت بعد القلق .
وعاد اليها بعد الغسق اسفار الفلق . والحمد لله المغني بعد
الاعدام . المنني السني بعد الاظلام . المنفي باوليائه اعداء الاسلام

ذكر عيسى العوام وما تم عليه في العشر الاخر من رجب

وكان رجل يعرف بعيسى العوام . وقد تردد بالكتب والذفقات الى عكا
ومنها في ذلك العام . وكان ناصحا امينا . بحفظ الاسرار ضمينا .
يسبح ليلا في البحر . ويعبر على مراكب اهل الكفر ويصل بما معه
الى الثغر . ولكم خاطر بنفسه فسلم . واعتورته اسباب المتالف
والالام فما الم . واتفق انه عام ذات ليلة غير مكترث بما في طريقه
من اخطار . وعلى وسطه ثلاثة اكياس فيها الف دينار ومعها من
ذفقات الاجناد وبائع . ومحقرات بضائع . فعدم ولم يسمح له خبر .
ولم يظهر له اثر . فظننت به الظنون . وماتتقنت المنون . وكانت له
لاشك عند الله منزلة . فلم يرد ان تبقى حاله وهي مجملة محتمله .
فوجد في ميناء عكا ميتا قد رماه البحر الى ساحلها . وانهب حق
اليقين من الظنون بباطلها . وبراه الله مما قالوا . واحال الذي عليه
احالوا . فقد وجدت على وسطه تلك الاكياس . وتعجب من حاله
الناس . فلم ينهب بنهايه الذهب الذي صحبه . وطهره الله من
الرجس وعنه انهب .

ذكر وصول ولد ملك الالمان الذي قام مقام ابيه الى
الفرنج بعكا

ذكرنا حديث الالمانى ولم حادثه ، ومااداه اليه من دواعي كفره
وبواعثه . وكان مسيره من انطاكية يوم الاربعاء خامس عشري

رجب . ولقي في طريقه على اللاذقية الشجى والشجن والشجب . وانن ضعف خيلهم . بضعف ويلهم . ووجدت لهم ما بين اللاذقية وجبله ستون سبعون فرسا قد عطبت . وعلى اعواد عظامها سواد الغرابيب خطبت . وقد استقبله المريكس . وقصده التانيس . وان يهديه بضلاله الى الطريق التي تؤمن طوارقها . ويتسع عليه مجال الامن وان سلكت مضايقتها . فوصل به الى طرابلس في العشر الاول من شعبان . ووصل خبر وصولهم في سادسه الى السلطان . وحزهم من شاهدتهم في الطريق بخمسة عشر الفا . وسمعنا في حزمهم بالقليل والكثير خلفا . ثم انتقل في البحر . الى عكا في موضع الحصر . ووصل اخر النهار سادس شهر رمضان . بعد ان عاين في البحر من اختلاف الهواء الهوان . فلم يبق له وقع . ولم يحصل لخرق القوم به رقع . واقام بين جذودهم . كأحد كنودهم . وقال الفرنج: ليته لم يصل الينا ولم يقدم علينا . فانه لو اقام في موضعه . وامدنا بفيضه من منبعه . لهيبت عظمته . وعظمت هيبتة . وارعب روعه وراع رعبه ورجي منا وخشي من المسلمين قربه . وقد قطع بنا منذ وصل . وحص لنا جناح نجاح حصل . ووصل في البحر وحده . ولم يستصحب جنده . ثم وصل اليه الاصحاب . وتقطعت بهم الاسباب . ثم رام ان يظهر لمجيئه وقعا . ويبيدي له نفعا . ويثير لنفع غلة ثاره نفعا . فقال الام القعود عن القوم . وما بقي الا النهوض اليهم من اليوم . ولا بد من ضرب المصاف معهم . واني على الخروج اليهم لادفعهم . فقالوا له انت ما ارثت وهج قتالهم . ولا اثرت نهج نصالهم . ولا حربت بحربهم . ولا كربت بكربهم . ولو حزبت بحزبهم . لاصح جمادك لجماح صحبهم . فأبى ونبا . وشب الشبا . فلما عرفوا جهله . وان صعب الامر عنده ساوى سهله . قالوا له: نبتديء بالخروج الى اليزك . فلعلنا نوقعهم عند الاحاطة بهم في الشرك . فدبوا في راجل كرجل النبي . وخيل اغصت الوهاد والربا . ومرجوا في المرج . وطووا تلك المدارج طي الدرج . واشعلوا الخرصان في ليل النقع عوض السر . وقربوا من تل العياضية . وعليه خيم اليزكيه . والنوبة فيها للحلقة المنصورة الناصرية . والعصبة الموصلية . فلما

بصرت بهم ثارت اليهم . ودارت عليهم . وانهضت بنات الحنايا من
خدودهم الى الجذور . واوردت ظماء الظبي منهم ماء التامور .
وانبعت بالنبع من عيونهم العيون . واستخرجت بالضرب من
اعناقهم الديون . وطيرت ياطارة السهام الى الاحداق بهم
الاحداق . وخاطت الاماق وماخطات الارماق . وصار كل سهم
شهم . وخطر في محل خاطر اسرع من وهم . وركب السلطان من
خيمته وتقدم الى تل كيسان . ووقف ينهض بعد الفرسان الفرسان .
فلم تزل وجوه البيض تحمر . وثنايا السمرة تفتت . ونيول الذق تنجر
وصفحات الجو تغبر . وارجاء رجاء النصر تخضر . الى ان جن
الظلام . وكف الكفر وسلم الاسلام . وكانت الدائرة على الكفره .
فاعرضت بالوجوه المتنكرة . وابنا بالانوار المسفرة . ومر الالمانى
متأنا . ومن ظلمة حاله متظلما . ويكلوم قلبه متكلما . وقد عين
ماعناه من العناء . وشق عليه ماشق مرآثره من الشقاء . وبلي مما
بلي به من البلاء . وعلم ماجهله . واستصعب مااستهله . وذاق
ماضاق به ذرعه . وكاد يتم في القتلى رصعه لو تم صرعه . لكنه
تجرع من الغصص ماسهل عليه الموت جرعه . وتاب وماثاب . وابى
الرجوع الى اللقاء لما أب . وحينئذ جدوا في قتال البلد وحصاره .
واتباع ليل الجد فيه بنهاره .

ذكر برج الذبان

وعند ميناء عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان . وهو في حراسة
المينا عظيم الشأن . وهو منفرد عن البلد . محمي بالرجال والعدد .
وقصد الفرنج حصاره قبل مجيء ملك الالمان في الثاني والعشرين
من شعبان ببطس كبار جهزوها ومراكب عظام واليات ابرزوها .
ومكر مكروه ودبر دبروه . وبغي غي بلغوا غاياته وريب رأي رفعوا
راياته . وشرك الهبوا شراره . وايد كيد ارفهوا غراره . وعنان
عناد اطلقوه ولسان ضرام اذلقوه . ويدي بطش بسطوها وعقله
معالقة انشطوها . واحد تلك المراكب قد ركب برج على رأس

صاريه . لا يطاوله طود ولا يباريه . وقد حشي حشاه بالذفت والحطب . وضيق عطنه لسعة العطب . حتى اذا قرب من برج الذبان والتصق بشرافاته . أعدى اليه بأفاته . ورميت فيه النار فاحترق . واحترق من الستائر والابخشاب ما به التصق وتسدولي النار على مواقف المقاتلة فتباعدوا عنها . ولم يقربوا منها . فسهل عليهم فيه التسلق . ولم يصعب به التعلق . وملأوا بطسه اخرى بأحطاب يسري فيها الذفت ويسرع بالهاب . حتى يوقدوها . وعلى السفن التي لنا بالمينا وردوها . فتعدي عدوانها . وتثير وتسدي فيها نيرانها وهم في مراكب من ورائها للحرب مستعدون . وللشر مستمدون . حتى اذا تم برجائهم في البرج والمينا مناهم . نالوا من الاستيلاء والاستعلاء غناهم فلما قدموا البطسة ذات البرج المعمور . وصار الصاري ملاصق السور . جاء الامر بعكس ماقدروه واخفق ظنهم للادبار فيما دبروه . فان الهواء كان شرقيا . فلم تجد نارهم في مطار برج الذبان رقيا . بل اشتعل برج الصاري وتراجعت ناره الى اهلها . وعاملت ذوي الجهل بجهلها . واوقدت بطسة الحطب من ورائها وتطايرت اليها شعل اذكائها . وعادت على الافرنج فالتهبوا . وحمي عليهم الحديد فاضطرموا واضطربوا . فانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا . والناجون منهم فارقوا وفرقوا ولم يفرقوا . واحتمى برج الذبان فلم يطر من بعدها عليه ذباب . ولم يفتح للعدو في الكيد له باب .

فصل مشبع في المعنى من حصار برج الذبان مرة بعد أخرى من كتاب الي سيف الاسلام باليمن

وافكر الافرنج في امرهم واجالوا قدام الرأي في مكر مكرهم . وقالوا هذا البرج المعروف ببرج الذبان . مذفرد عن البلد في وسط البحر منقطع المكان . فاذا اخنناه تسلطنا على مراكبهم التي في المينا . واذا لم نوثر بمجيتنا تأثيرا فلاي سبب جينا . ومن حديث هذا البرج انه يحيط به البحر من جوانبه . وهو قفل مينا الثغر على

مراكبه . وقد رفعناه واعليناه . وبالعدد والرجال قـ ويناہ . وبالجرخية والرماة والزرايين والمنجنيقية ملأناه وبكلاءة الله وعصمته اياه عصمناه وكلائناه . وقد حاموا حوله حولا . فلم يجدوا على نيل غرض منه قدرة ولا حولا . فعمدوا الى اكبر بطسه واتخذوا فيها مصقلا كأنه سلم . وهو في مقدمها مركب مقدم . وقد جعلوها بحيث اذا قربت الى البرج ركب رأس السلم شراريفه . وصعد الرجال اليه في تجاويره . وتعبوا في ذلك أياما وشبعوا أثـ وثيقا واحكاما . وهو بمراى من الاصحاب ينظرونه ويبصرونه . ويستجدون الله عليه ويستنصرونه والقوم قد اصبحوا بتلك البطسة زاحفين . وعلى ذلك السلم بعدهم واقفين . حتى اذا التصق بالبرج التصقت به قوارير النفط . وتوات امطار البلايا من الجروح والحجارات والمنجنيقات على اولئك الرهط . ووجدت النار بسطة في البطسة ولم يسلم السلم . وناب القوم من فجيعتهم بها المصاب الذي الم بهم والم . وقتل منهم من باشر القتال . ونزل العذاب بمن حاول النزال . والحمد لله الذي ايات ظهور بينه متناصرة . ودلائل نصر اوليائه متظاهرة . ثم عمل الفرنج برجا عاليا في اكبر مركب وحشوه بالحطب . وعملوا على رأس صاربه مكانا يقعد فيه الزراق . ويتأتى له فيه الاحراق . وقدموه الى برج الذبان وسلطوا على جوانبه جواني النيران . وقصدهم بذلك احراق ستائر البرج المنصور . ورأوا ان في ذلك هدم بنيانه المعمور وحسبوا ان الستائر اذا وقعت فيها النار . تعذر على رجاله القرار وتعجل منهم للحذار الفرار وكادت الستائر تشتعل والخواطر تشتغل . والحال تضطرب والبال يلهب والقلوب تضطرم والكروب تحتدم . فأهب من مهب لطفه نكباء نكبت النار عن البرج المحروس . واكبت الفرنج على الوجوه الرؤوس . وتدس جدهم . وتعكس قصدهم . وانقلبت الريح التي لهم عليهم . وصوبت مرامي العذاب اليهم .

فصل في المعنى

ولما وقم الله القوم . قالوا لاطاقة لنا اليوم وعادوا وقد غرموا
ورغموا . واخلف ما عزموا وزعموا واشتغلوا بملء بطس لهم
شحوما واحطابا وادهانا واخشابا واشعلوا فيها النار والهبوا .
وارسلوها الى مراكبنا في يوم ريح عاصف وهدوبوا . وانذوها منها
وقربوها وكانت سفننا تحترق ومراكبنا تفترق . فانزل الله الفرج
وقت الشدة وامن من المخافة المحتدمة المحته . وانقلبت الريح عليهم
وعادت مخالفة لهم بعد ان كانت موافقه . وحالة تلك الحالة للعانة
خارقه فاحترقوا بنارهم . وشرقوا بعارهم . وجذبت بطس اولئك
الكلاب بالكلاليب . وتوالت الطاف الله في تلك الذوب المتناسقة مطربة
الاناييب مستهله الشاييب

ذكر الكبش وحريقه

بعد تعب العدو في احكامه وتسوية طريقه

واستأنف الفرنج عمل دبابه هائلة . والة للفوائل غائلة . في رأسها
شكل عظيم يقال له الكبش . وله قرنان في طول رمحين كالعمودين
الغليظين افعال الاسوار المغلقة بها تفش . فكم سور اذا نطحته
طحنته . وكم معقل حصنه الدهر وصحنته . وهذه الدبابه في حياة
الخريشت الكبير وقد سقوها مع كبشها باعمدة الحديد . وكملوا
لها اسباب الاحكام الشديد . ولبسوا رأسي الكبش بعد الحديد
بالنحاس . وكسوها حذرا عليها من النار سائر لباس الباس . فلم
يبق للنار اليها سبيل . ولاللعطب عليها دليل . وشحنوها بكماة
المصاع . وحماة القراع . ورماة الحندق وكساة الحلق . وعفاة
الحترف . وجفاة الزحف . ومجتابي الزغف . ومجتبي العسف . من
كل سرحان لا ينظر الا من جلد ارقم . وكل شيطان لا يقتحم من
الحرب الا جهنم . وكل شجاع لا يعتقل الا شجاعا . ولا يرى لغير

النسيج القاني اقتناء ولاانتجاعا . فلما استدفنت لهم هذه الدبابه
وماجت بالحديد لجتها العبابه . واطافت بذلك الكبش تلك التيوس
النبابه . وامنوا عليها الحريق واموا بها الطريق . سووا بين يديها
الارض . ومهدوا الطول منها والعرض . وصحبوها حتى سحبوها
وقروا بها اعينا بل انذسا وقربوها . فجاءت صدوره يزعج مرأها .
وروضه يعجز مرعاها . والة تروق هياتها . وعدة تروع هيبتها .
وبلي البلد من بذوها بالبلاء الداني . وتغاشت وتعاشت دونها نفس
الرامي وعين الراني . وقال اصحابنا هذه ماني دفع خطرها
حيلة . ولالبارق الظفر بها مخيلة . فكيف العمل . وفيم الامل . ومن
للكبش العظيم وقطع رأسه . ومن لبناء الحديد ونقض أساسه . فإن
كانت هذه الدبابه دابة الارض فما هذا أوانها . وما حان زمانها .
ولقد قامت بها قيامه الحشر فقام برهانها ونصبوا على صوبها
مجانيق . ورموا بالحجارات الثقيلة ذلك النيق . فابعدت رجالها من
حواليها . وطردت الطرفين بين يديها . ثم رموها للحزم بحزم
الحطب حتى طموا ما بين القرنين بجرزة . وقذفوها بالنار فترنم في
أثنائها عجاج اللهب برجزه . وبخلت من باب الدبابه فاشتعلت نار
ضلوعها . وشرع من فيها في الخروج بعد دخولها وشروعها . وجاء
الفرنج تلك الليلة فباتوا بالبينات . يطفئون بالخل والخمر تلك الاشعل
المستوليات . فاطفاوا نار الظاهر ولم يعلموا بنار الباطن . ولم
يحدسوا بما تمكن من أضلاعها من الحرق الكوامن . وحين أخمدا
الجمر . احمدا الامر . ورجعوا ولم يزل اللهب يأكل سقوفها .
حتى ترك على ما غطى الخشب من الحديد وقوفها . وحينئذ خسفها
المنجنيق . فانهد ذلك النيق . وصوح ذلك الروض الانيق . ووهن ذلك
التركيب الوثيق . ونفذت تلك الدابة واحترقت تلك الدبابه . وخرج
من بالثغر المحروس . بأشري الوجوه طيبي النفوس . وقطعوا رأس
الكبش . واستخرجوا ما تحت الرماد من العمد بالنبش . وحمل كل
من الحديد ما اطاق حمله . واستطاب لذئج صدره وبرد يقينه حره
واستخف ثقله . وقدر ما نهب من الحديد بمائة قنطار . فقل في الة
لبست بهذا المقدار وهو أعظم مقدار . وعاد اصحابنا على عدوهم

ظاهرين . ولحزب الكفر قاهرين . وكلهم يذشد وهو يذشء ويذشد
جدا وجدا .

نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا

وقنط الكافر وكفر القانط . وسخط الشيطان واستشاط
الساخط . وعلم الفرنج حين حبطت اعمالهم . وهبطت آمالهم . أن
الشقاء ادركهم، والشقاق أهلكتهم . وأن مدبرهم مدير . وأن ترتيبهم
مدمر . وأن الاتهم غير نافعة . وأن نهلاتهم غير ناقعة . والحمد لله
ذي الطول العميم . والفضل الجسيم . الذي نعش . عثار الثغر بعد
ان تل للجبين فتلينا قوله تعالى (وفيناها بذبح عظيم) (الصفات :
١٠٧) وكان في يوم الاثنين ثالث عشر رمضان ، واحترقت البطسة
يوم الاربعاء خامس عشره .

وفي هذا اليوم وهو يوم الاثنين قدمت عسكر الشمال . يقدمهم ذو
القبول والاقبال وهو الملك الظاهر صاحب حلب . وقد استصحب معه
الاجناد وجلب . ف جاء عشية وجدد بقاء والده عهده . ثم عاد وعاد
بكرة الثلاثاء يقدم جنده . ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر .
وقد استكثر معه واستظهر . وعز الدين بن المقدم . ذو القدر
الافخم . والنجر الاكرم . وحسام الدين حسين باريك وجماعة من
الامراء . من ذوي المكانة والبسالة والغناء . وقدم الملك الامجد مجد
الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك .
وقد استصحب غلمانه الاكاديش ومماليكه الترك . وكان لذلك اليوم
رونق . وصفاء لم يشبه رونق . واتفق في يوم الاثنين هذا من العدو
على البلد الزحف الشديد في الخاق العظيم . جحيمين يلهبون بنار
الجحيم . وتركهم اصحابنا حتى قربوا من السور . وأقدم العدى
إقدام المتهور الجسور . فلما ازبحموا وكثروا . واضطرموا
واستعروا . غنت لهم الاوتار برنين القسي فطاشت لها السهام .
ودعت اليهم الاقدار بحنين الحنايا قلباها في لباتهم الحمام .
وزارتهم من الزيارات الجروح . وأخذت نيرانهم تبوخ . ورضتهم
المجانيق بالاحجار . وأننت عيون نجيعهم بالانفجار . وخرج

اصحابنا عليهم فشلوهم الى الخيام . وفلوهم بحد الاقدام . وافضى الخرق بالعدو إلى الخرق . وأخلقت بجدة جننا جدة أولئك الخاق

ذكر حوادث تجددت ومتجددات حدثت

وصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب أن صاحب انطاكية أغار على غره بشره وبشره . ووصل الجاسوس بخبره . وبما البلاد مشرفة عليه من خطره . فرتب اصحابنا له كميناً . ثم خرجوا عليه شمالاً ويمينا . فقتلوا أكثر رجاله . وأفلت وباله في وباله . وانهاض من تلك النهضة . وضعف من تلك العضة . وفي ذلك التاريخ اقتت الريح إلى ساحل الزيب ، بطستين خرجتا من عكا بجماعة من الرجال والصبيان والنساء للتغريب، وفيها امرأة محتشمة . غنية محترمة . فاخذنا واخذوا وأخذت . وجد الفرنج في استتقانها فما استتقت . وسرنا ما ساء العدو . وآتانا الله من احسانه المرجو . وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحلنا الى منزل يعرف بشفر عم . وخص بهذا الرحيل النفع وعم . وكان سبب ذلك أنه كثر المستأمنون إلينا من الفرنج . واخبروا انهم في عزم الخروج الى المريج هائجين للثار ثائرين الى الهيجاء مائجين في دماء الدماء لحب اللقاء . وصح هذا الخبر وصدق ، ووضع الحق وتحقق . فاحضر السلطان الامراء الاكارم . ورجال الحقائق الضراغم . الذين هم له أعوان صدق لساعات أيامه . ونخائر نصر عند اعتزامه فاستشارهم واستثار كوامن سرائرهم . واستنبط دقائهم ضمائرهم . واستكشف منهم الصواب . وتعرف من جانبهم الجواب فقالوا: الصواب ان يفتح لهم عن هذه المروج حتى يكون دخولهم اليها يوم الخروج . فنصحهم في اليوم الآخر ولايتعذر بهم احداق العساكر وانما لايقدرين على القصد دفعة واحدة . الا اذا كانت أيبيهم . متساعنة وأراؤهم متعاقدة فان انفردوا عن الراجل وساقوا كسرناهم واسرناهم . وان توقفوا للراجل قصصناهم حيث نزلوا ولقيناهم وصدناهم . وأجمعنا على أن نرحل الى شفر عم و

نخيم على هضابه . ونبطل على العدو ما كان من البيان في حسابه .
فخيما هناك على أحسن تعبيه . وسنينا أسباب اللقاء أتم تسنيه و
رحبت المنازل . وعذبت المناهل . وعادت معالم تلك المجاهل . و
حللنا التلاع والأكام . وركزنا بتلك الأعلام أعلام . ونزلنا لمقام
الشتاء مستعدين . ولأسباب التوقي من الأمطار مستجدين .
وأضحينا على تلك الأطواد موطين . وعند تلك الأوتاد موتدين .
وتسمنت تلك الفروع وفرعت تلك الأشعة ، وتمكنت تلك البنى وبنيت
تلك الامكنة . وتحركت تلك الجبال بسكانها . وأحبت الرجال
التوطن بها وسلت عن اوطانها . ودارت الاسواق . ودرت الارزاق .
وأنارت الافاق . وصهلت الصلادم على معالفها وصقلت اللهازم
لمراعفها . ونوب اليزك بحالها تدور وتروبه وتعيد رسم الحفظ
والحماية وتعود والحرب تتناوب . والزحف يتعاقب ، والاقتران
تتواقع والوقائع تتقارن . والاعوان تتعاضد والاعضاد تتعاون .
والعتاق بصهيلها لحب الطراد تحمم . والرقاق بصليلها لشوق
الجمامج تجمج . والمقربات للاجراء صوافن والضوامر للاشد
ضوامن . ومنى المناصل صلة القلع . ورجاء الرجال نبع النصر في
قرع النبع بالنبع . والتوحيد للتثليث منازل . والايمان للكفر مقاتل .
ولاكارم الا للكلام . ولاسلام الا بالسلام . فلا يسمع الا اسرح
والجم . وتقدم وأقدم . وأصم وصمم . وأضر وأضرم . ولاتله حتى
تلهب . ولاتعج حتى تعجب . وأقطع وصل . وأكثل بصاع المصاع
وكل . ولاتقلق واللق وقلقل . ولكل داع إجابة . ولكل سماع
اصابة . ولكل سهم في المرمى فوق . ولكل سهم في المرام سوق .
ولكل صعدة في الطلعان صدعة . ولكل قعدة للرماة قدعه ، ولكل عقدة
بالضرب حل ، ولكل عدة في الحرب فل ، ولكل غضب عض ، ولكل
ذي حظ حض ، ومن له نصيب في الشجاعة نصيب في
التشجيع ، ومن له جرأة الهيجاء حاج الى الصريخ بالجد
السريع ، والأيام منا على هذه الحالة مندرجة ، ومياه الصيد
بأمواه الوريد ممتزجة ، والفرج منتظر والنواظر متفرجة ، وتباشير
صباح الصفاح في بياجير القتام متبلجة ، والله نعمته في كل
بلية ، وسر في كل قضية .

ذكر وفاة زين الدين صاحب اربل

في ليلة الثلاثاء ثامن عشري شهر رمضان وما جرى بعده من الحال قد جرى ذكر هذا الأمير ، وماتجلى به من الكرم والخير ، وهو يوسف ينالتكين بن علي كوجك ، ومن سعادة جده ما طلب غاية في الكرم الا ادرك ، وما كان اسره يوم الحضور واحضره يوم وفاته للسور ، فلقد كان جارا للكاتب ، بارا بالاباعد والاقارب ، سارا باسداء المواهب ، دارا بأخلاف الرغائب ، مارا في سبل المناقب ، قارا على قلق النوائب ، وكان في ريعانه الرائع ، وشعاعه الشائع وشبابه الطري طيرير الشبا ، وحبه لعقد السويد معقود الحبا ، فمرضت الأيام بمرضه اياما ، وتلهبت القلوب منا للتلطف عليه وقد امست مراضا ضراما ، وعدته بطبيب السلطان فلم يأنس به ، ولم يسكن الى طبيه ، لما كان يعلم من منافسة اخيه مظفر الدين في — وضعه ، وأنه ينتعش بمصرعه ، فاكتفى بصاحب له يطبه ، يوافقه على ما يحبه ، وهو جاهل بمزاجه. ناهل عن علاجه. فشب الحمام في حمى شبابه ناره ، وأذوى غصنه غداة قلنا ما أنهى ازهاره ، وما أنضر نضارة ، ونقله الله من جنات الحياة الى حياة الجنان ، وعجل به ليجازيه لاحسانه بالاحسان ، وحوله من بين الأتراب الى التراب ، ومن دار الاغترار والاغتراب الى موطن الثواء بالثواب ، وأنن الزمان بعد الأجداء بالأجداب ، ولزمه أخوه مظفر الدين حتى فارقه ، وما ظهر عليه الغم حتى قيل انه سره موته ووافقه ، وقصدناه مغزين على ظن أنه جالس للعزاء ، فاذا هو في مثل يوم الهناء ، وهو في خيمة ضربها في مخيم أخيه ، واحتاط على جميع ما يحويه ، ووكل بالأمراء القلاع ليسلموها ، وخشي ان يعصا فيها اذا رجعوا اليها ويحموها ، وخدم بخمسين الف دينار حتى أخذ اربل وبلادها ، ونزل عن حران والرها وسميساط والبلاد التي معه واعادها ، وزاده السلطان شهر زور ، وأحكم بمسيره الأسباب والامور فاستمهل الى حين وصول الملك المظفر تقي الدين ، لينزل في

منزلته بجنده وصحبه الميامين فوصل يوم الأحد ثالث شوال ، فحلى بعد العطل الأحوال ، وكان قد انفصل صاحب الجزيرة معز الدين سنجر شاه ونهب مغاضبا ، وكان السلطان له في الانفصال عاتبا ، فأعاده تقي الدين من الطريق ، وقبح له ما استحسنه في ترك الموافقة من عدم التوفيق ، وكان هذا سنجر شاه دخل يوم العيد بكرة للهناء ، فاستأننه في الانكفاء ، فخرج على حالته وسار وتبعه أصحابه . ولج جماحه وتعذر أصحابه فلما اجتمع به تقي الدين رده ، وبذل في صيانه منزلته عند السلطان جهده ، وطال على المالك عماد الدين صاحب سنجار المقام . وجد في الاستئذان في الرحيل منه الاهتمام ، وصدق الاعتزام ، وتقرر ملاله ، وتكرر سؤاله فكتب اليه السلطان .

من ضاع مثلي من يديه فليت شعري ما استفادا .
فلما قرأ هذا البيت ماراوح في الخطاب ولاغادي ، وغلت الاسعار عند الفرنج واستعرت الغل ، وأعلمهم ماعراهم وعرتهم العلل ، وباؤوا بالوباء ، وبلوا من البلاء ، وغلوا من الغلاء ، وتضوروا من الضراء ، وشق مرائرهم استمرار الشقاء ، وعمت المجاعة الجماعة ، وعموا الطاعة والاستطاعة ، وزاد جوعهم ، وزال هجوعهم وقصرت عن القرار بوعهم ، وامحلت ربوعهم ، واستحال ربوعهم ، وبعثهم الرهب ، على الهرب ، والقحط على الشحط ، لكنهم أقاموا على الموت ، واستناموا الى الفوت ، وبلوا بأمور صعبة ، وهرب الينا منهم عصابة بعد عصابة ، وقد بادوا من الضعف البادي ، وأعداهم الضر العادي ، فمن سألناه عن مقتضى فراره ، ومقتضى قراره ، يخبر انه طواه ، الطوى ، فنواه النوى حين التوى ، من حذر التوى ، وقد أنساه المحل النحل ، وأبغض اليه حب السلامة الولد والاهل ، وكانت الفرارة من الفلة قد بلغت أكثر من مائة بينار والسعر من الزيادة لديهم في استعار ، فما جاء الا كل ضعيف لايقوى على النزاع والنزال ، ولا مسكة لاعتلاق رمقه من الاعتلال ، فقبلناهم وانفقنا فيهم والفناهم بما يكف ضررهم ويكفيهم ، فتقوتوا وتقوا ، وأثروا بعد ما اتوا ، فمنهم من أسلم

وخدم ، ومنهم من ند وتندم ، ومنهم من غدا بجريرة وعاد ، ومنهم
من ناصح فاستفاد .

ذكر نوبة رأس الماء وخروجهم بعزم اللقاء

ولما ضاق بالقوم ذرعهم ، واشرقهم جرعهم ، وعرقهم
قرعهم ، واخلافهم خاف عيشهم وضرهم ضرعهم . وعيل صبرهم
وعال ضرهم قالوا: نخرج ونبلي . ونصل ونصلي ونقصد
ونصدق ، ونلي ونذلق ونفل ونذلق ونعز ونعزم ، ونهز
ونهزم ، ونحمي ونحمل ونقطع ونوصل ونزحف ونحفز ، ونزعج
ونعجز ونجهد ونجهل ، ونعقر ونعرق ونخرج ونحرج ونلج ونلجج
ونضري ونضرب ونفلي ونقلب ، ونجسن ونجني ، وننيف
ونفني ، ونرد ونرذي ، ونجد ونجدي ، ونقد ونقدم ، ونعدو
ونعدم ، ونصد ونصدع ونقد ونقدع ونجد ونجدع ، ونصر
ونصرع ، ونسل ونسلب ونروع ونرعب ونبدوا ونبيد ، ونقصدي
ونصيد ، ونظهر ونظفر ، ونهق ونقهر ونقسو ونقسر ، ونسكر
ونكسر . فخرجوا في عدد خارج عن العد ، واستقاموا مع الاعوجاج
على جند الجد ، وذلك يوم الاثنين حادي عشر شوال بعد ان رتبوا
على البلد من لازم القتال ، وأخذوا معهم عليق اربعة ايام ، وزادها
واستصحبوا أنجاب الكريهة وأنجادها ، وكان اليزك في تل
العياضية فركبوا ، واشعلوا القوم بنيران النصال والهبوا ، فنزل
العدو تلك الليلة على أبار كنا حفرناها عند نزولنا هناك ، والحمية
الحامية المنبعتة على تلك البعوث ماترتك الأتراك ، فباتوا حول
القوم يرمون ويديمون ، ويشوون ويصمون ، ولما اتصل خبرهم
بالسلطان رحل الثقل الى ناحية القيمون ، وثبت الله القلوب على
الامن والسكون ، وبقي الناس على خيلهم جرائد ، وقد استعذبوا
من مر الكريهة الموارد ، وركب العدو يوم الثلاثاء سائرا ، وقد عب
عبابه زاخرا ، وهب غابه زائرا ، وطما بحره مائجا ، وسما جمره
مارجا ، وعساكرنا في احسن تعبيه ، ولدعاء القراع في اوحى

تلبيه ، وقد امتزجت زجرات الجاوش ، بنعرات الجيوش ، والميمنة الى الجبل ممتدة ، والميسرة الى النهر بقرب البحر وصفوفها مشتدة مستتة ، والسلطان في القلب كالقمر في الهالة ، عليه اكليل من انوار الجلالة ، فسار حتى وقف على تل عند الخروبة ، على المهاب الحالية والحالة المحبوبة ، ومقدموا ميمنته ، عظماء دولته ، صاحب دمشق ولده المبجل ، الملك الافضل ، وصاحب حلب الملك الظاهر ، وصاحب بصرى ولده الملك الظاهر ، وأخوه الملك العادل في آخرها ، والأمراء بعساكرها ، يلي حسام الدين بن لاجين : قايماز النجمي صارم الدين ، والأمير بشارة صاحب بانياس ، وهو الذي لا يرجو منازلته الا من فيه بان الياس ، ثم بدر الدين دلدردم الياروقي صاحب تل باشر ، وقد طالما بشر الاسلام بما باشر ، وعدة كثيرة من الأمراء يطول ذكرها ، على أنه يطيب نشرها ، وعظماء الميسرة ومقدموها ، وأمراؤها ومقدموها ، الملك عماد الدين صاحب سنجار ، وهو العادل للاسلام وعلى الكفر جار ، وابن أخيه معز الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة ، والملك المظفر تقي الدين ذو السطوة المبيدة المبيدة ، وسيف الدين علي المشطوب ، الذي نشب بناره الحروب ، ونصب على العدا منه الكروب ، والهكارية والمهرانية ، والحميية والزرزارية ، وأمراء القبائل من الاكراد ، أقتال القتال وأجادل الجلال ، ورجال الحلقة المنصورة واقفون في القلب ، لابي الحلق السرد خانفي بحر الحرب ، من كل فارس فراس ، وهرماس رماس ، وضيغم ضاغم ، وضرغام غارم ، وليث فضفاض ، ملوث بفضفاض ، وقسور قاسر ، وهزبر زابر زائر ، واسد في غاب الاسل ، وقارح في القراع باب الأجل ، وقار ثعالب الخرصان وذباب الضبا من دم الأقران ، وقار على الثبات على قلق ثبات الشجعان ، وقارئ (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم) (التوبة ١١١) ذقة بوعد القرآن ، وقارح حج النجح بعمره وبذله في الجهاد للتمتع بعمر الجنان ، وسابق الى حلب الشاهة ، وسامق على نروة السعانة ، وملابس للروع مباسل وعاسل ، كالذئب الى ذب العدا

عن الهدى بعاسل ، وسار الفرنج شرقي النهـر لنا
مواجهين ، والكريهة غير كارهين ، حتى وصلوا الى رأس
النهر ، واشفقوا من بأس القهر ، فانقلبوا الى غربية ونزلوا على
القل بينه وبين البحر ، والجاليشية الرماة منا حـولهم
جائلة ، وعيون اعيانهم على نصالنا سائلة ، وجرح في ذلك اليوم
وهو الثلاثاء خلق من أهل التثليث، ومانبا عن كثير منهم ناب النائب
الكريث ، والسلطان في خيمة لطيفة بحيث يشاهد ، ولله منه الجاهد
المجاهد ، واصبح الفرنج يوم الأربعاء راكبين ، وعن سبيل اللقاء
ناكبين ، ووقفوا على سهوات الخيل الى ضحوة النهار ، والراجل
مطيف محدد بهم كالاسوار ، واصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا
أن يخاطونهم ، وأرادوا يياسطونهم ، والسلطان يمد الرماة
بالرماة ، والكمأة بالكمأة ، وهم ثابتون ثابتون ، ساكنون
ساكنون ، ونحن نقتول لهم يـم يحملون ، ويغضبون
فيجهاون . فنتمكن من تفصيل جملتهم بحملتهم وتفريق جماعتهم .
وتفريق الغمة بنزع جمتهم . واحس العدو بالضعف . وانه متورط
في الحتف . فسار موليا . ولعذره لذعره مبليا . ومضى على مضض .
ومر بأشد مرض . والنهر عن يمينه والبحر عن يساره . وقد ايقن
ان صح منه الثبات بانكساره . وعسكرنا يصفحهم بالصفاح .
ويكفهم بالكفاح . ويشعلهم بجمرات السهام . ويلهبهم بخدمات
الضرام . ويحرقهم ويشويهم . ويصمهم ويشويهم . ويفيض على
غدران السوابغ منهم جداول القواضب . ويخيض في دأماه الدماء
منهم سوابح السلاهب . ويغيض في ماء الوريد منهم ماء الفرند .
ويغيط بني الكفر في الجمع بين الاختين عليهم ابنتي الغمد والزند .
وادبروا مولين . وارخصوا من مهجهم ما كانوا له مغلين .
وعسكرنا يتبعهم . ويعلق بهم ويقلعهم . وهم مجتمعون في
مسيرهم . محتمون في تقديمهم وتأخيرهم . يتحركون في سكون .
ويتظاهرون في كمون . ويتطالعون في غروب . ويتفلاون بغروب .
ويتذوبون في جمود . ويتلهبون في خمود . وكأما صرع منهم قنيل
حملوه وستروه . وطموا مدفنه وطمروه . حتى يخفى أمرهم . ولا

يصبح لدينا كسرهم . ونزلوا ليلة الخميس على جسر دعوق . وقطعوا الجسر حتى يمنع عبورنا اليهم ويعوق . وابلى المسلمون في ذلك اليوم في الجهاد بلاء حسنا . وأتوا كل ما كان فيه مستطاعا ممكنا . وقام اياز الطويل في ذلك اليوم مقاما اقعد فيه من الكفرة كل قائم . وأنبه به من العزائم كل نائم . وكان مقداما هماما . واسسدا ضرغاما . يطير وحده الى الروع اذا ابدى له ناجنيه . ويجيب المستصرخ ولا يسأله عما يدعوه اليه . وهو في كل يوم يصبح في سلاحه شاكيا . وبنار عزمه زاكيا . ويقف بين الصدين . ويدعو إلى المبارزة والحين . فما يبرز اليه الا من يصرخ ولا يصل اليه الا من يقطع . فعرفه الفرنج فتحاموه . فما راموه بعد ذلك ولا راموه . وبذل هذا اليوم جهده وقل حدهم حده . واصابته جراحات . واصابتهم اجترحات . وكذلك سيف الدين يازكوح أبلى في الجهاد ذلك اليوم . ووقم بنصاله ونضاله القوم وخرج وبه جرح . وفي قلب العدو وعينه من مهابة انتقامه واصابة سهامه قدح . واصبحوا بكرة الخميس . وقد بكر الخميس . وحمي الوطيس . وسار في اسده العريس . فاشرفنا عليهم واذا هم داخلون الى مخيمهم سائرون الى مجثمهم . فعاد السلطان الى سرادقه حامدا ، خلائق خلائقه . مسفرا في ليل العجاج فلق فيالقسه . واستعاد الاثقال . الى معسكره . واستزاد من الله له الاقبال في مورده ومصدره . وفخر بتفرده عن ملوك الارض بعبون ملائكة السماء وتفرده بمفخره . وكان مع الفرنج الخارجين المرکيس والكندهرى ، واقام ملك الالمان على عكا يبرى ويفرى .

فصل من كتاب في المعنى

خرج الفرنج يوم الاثنين حادى عشر الشهر . واثقين من ملوكهم الحاضرين بالظهور وقوة الظهر . وفي مرج عكا عين غزيرة الماء يجري منها نهر كبير الى البحر . فخرجوا الى شرقي النهر . وباتوا بالقرب من مخيمهم على البلد . وقد تخلف لحفظ حصره الوف من

اهل الجلد . ثم تصبوحوا يوم الثلاثاء والنهر عن يمينهم . والاسد سائرة بالأسل في عرينهم . والحمية مشتعلة في عيونهم وعرائينهم . ونزلوا رأس العين . وتطرق بها اليهم من عساكرنا المنصورة طارق الحين . ولما اصبوحا وجدوها بهم محدقة . وبنيران النصال والمناصل لهم محرقة . وكنا نقول انهم يتحركون للمصاف . والأمر بالخلاف . وانهم لسهام المذون من الأهداف . وما دارت بهم الا الجاليشية تجول وتصول . وتصيب وتصوب وتطيل وتطول . وكانت الاطلاب واقفة تنتظر حملاتها وتستعد لوثباتها وثباتها . فلما ابصر الفرنج ما حل بهم من العذاب . عدوا الغنيمة في الاياب . وشرعوا في طريق الذهب . فعادوا من غربي النهر راجعين . وساروا صوب خيامهم مسارعين . واصحابنا وراءهم يرمونهم ويشوونهم ويصمونهم . وقتل منهم خلق وسرى في حجب حياتهم خرق . ونزلوا تلك الليلة على الجسر وقطعوه وباتوا خائفين هائبين . ورحلوا سحرا خاسئين خائبين . وخيولهم الناجية مجرحة . وقلوبهم الراجفة مقرحة . واشلاؤهم من كسوة الحياة عارية وبالعرء مطرحة . وعرفوا ان حركتهم للهلكة . وان هلكتهم في الحركة . واقاموا على الضر والزداء معدوم . والبلاء لكل منهم مذفرد وعليهم مقسوم . ولا طعم لهم الا من لحوم الخيل . وهم يدعون بالثبور والويل . ومع كثرتهم قلوا عناء . وضلوا رجاء وذلوا بلاء . واعتلوا جدبا وغلاء . ولما عاد الفرنج الي خيامهم . خافقين من مراميهم . مخفقين من مرامهم . وابصر المقيمون بها اصحابنا وراءهم يطلبون اردادهم . متعطشين الي دمائهم . يرمون ارواءهم ، وثبوا على جيادهم ، وثاروا لمراد مرادهم ، ولاقوا اجمعنا بأجمعهم وفاضوا لفيضنا من مذبحهم ، فاندفع الاصحاب حتى تبرزوا ، ثم ردوا عليهم الكرة فانحنوا واجهزوا . وقتل في تلك المعركة كند كبير . وشيطان لنار شره من سعيره متسعير . وطلبوا بعد انفصال الحرب جنته فاعطوها . والتمسوا هامته فلم يجدوها . وكان رجلا يعد برجال . وسلبه قوم بأموال . ولولا ما نذق من التياث مزاج السلطان . ما سلم من سلم من حزب الشيطان! وله في كل قضية سر . وفي كل ليلة بر .

ذكر وقعة الكمين

وما زال السلطان موفقا في آرائه . ومشرقا بللاء الآئه . ومن آرائه الراجحه . ومساعيه الناجحة . ومتاجره الراجعة . انه رأى ان يرتب على العدو كمينا . وعلم الله يكون لنجحه ضمينا . فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال منتخبي رجاله . ومنتجبي ابطاله وخواص أتراكه . وعوام فتاكه . فانتخب منهم كل من عرفت سابقته . وسبقت معرفته واحمدت في الجلال جلالته . وفي اقاء العدا عادته . وعلمت في الفتك جهالته . وامرهم بأن يكمنوا على ساحل البحر بقرب المنزلة العادلية القديمة . فمضوا وكمنوا ليلة السبت متنبهي الهمة . متيقظي العزيمة . وخرجت منهم عدة يسيرة بعد الصباح . منابية بحي على الفلاح . ودنوا من خندق القوم . ونادوا لا تعود بعد اليوم . ومطروهم سهاما . واسرعوهم ضراما . فطمع الفرنج فيهم . وظنت انها تلاقهم . وخالتهم صيدا قد سنح . وسربا قد سرح . فقطعت خنادقها . وبنت علائقها . وحدثت سرايقها . واخاضت بحر الحرب سوابحها . وقد افاضت سوابغها وشامت صفائحها . وتجردت عن رجالتها . وتفردت بضاللتها . وحملت بجهالتها . واقبلت بادالها لا بداللتها . وتطاردا اصحابنا امامها . وانهزموا قدامها . حتى وقفوها على الكمين . ووقعوها في الهلك المبين . فخرج الكمين عليها . وتبادر اليها . فلم يستطع فارس منها فرار . ولم يطرق من غرته ان يمضي غرارا . وكانت في مسائتي قنطاري ، من كل مقدم باروني وبطل داوى واسبتاري . فقتل معظمهم . ووقع في الاسر خازن الملك وعدة من الافرنديسية ومقدمهم ، وملكوا وسلبوا وملك سلبهم ، وتقطع بهم سبيهم . وما وصلهم اربهم . وجاء الخبر الينا . فركب السلطان وركبنا وسار ووقف على تل كيسان . فشاهد من الله هناك الاحسان . وجاءه مماليكه يقودون اولئك الاعزة بخزائم الذل . ويجودون بما استخلصوه من ذلك القل ، ويقدمون المقدمين من سراة الاساري . وتلونا لما شاهدناهم (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى)

(الحج ٢) فقد رضتھم اللذوت وقضتھم اللیوث . وبعثتھم الی مصارعھم الظاہرة من مكامن الآجال البعوث . وترك السلطان الأسلاب والخیول لأخذنیھا . وكانت بالأموال عظیمة . فما اعارھا نظرة ولا تردد امره فیھا . وفیھا حصن كانھا حصون . وزرد موضون . وخوذ منها مذهب ومدھون . وسیوف ذكور تتولد منها المنون . وملابس رائقات تحار فیھا العیون . وابنا بالملوك مصفینا . وحمدنا الله الذی بارشاده هدینا . وجلس السلطان فی خیمته علی دست ملكه . وقد انتظم له عقد النصر فی سلكه . فمن كان عنده أسیرا أحضره . فأنعم . علیه وشكره . وكنت عند السلطان جالسا . ولحبیر الحبور لا یسا . وقد جمع اولئك الأسراء . وما اسعد الله إلا فی تلك الساعة اولئك الاشقیاء . ودامت محاورته لهم مشافھه . واطعمهم بعدما أنسوا فاكھة . ثم بسطهم بیسط الخوان واشبعهم وارواھم ثم احضر لهم كسوة وكساهم . والبس المقدم الكبیر فروته الخاصة فقد كان الزمان قد برد . وفصل الشتاء قد ورد . وأنن لهم فی ان یسیروا غلمانهم لاحضار مایریدون احضاره . ولاعلام من یؤثرون ان تعرف معارفه اخباره . ثم نقلهم الی دمشق للاعتقال . وحفظهم بالقیود الثقال .

فصل من كتاب بشرح الحال ووصف المقام مع الاعتلال

ولما كانت لیلة السبت ثالث عشر من شوال كانت نوبة الیزك لأخینا الملك العادل فأشار بانفاذ عدة الیه تكون فی الكمین . وتقیم فی الكمین اقامة خدرات الأسود فی العرین . فانفذنا الیه من ممالیکینا سبریة سریة سرت سرا واستسرت وسرت . وقرت فی مكمنھا الی ان طابت الأنفس بصنعھا وقرت . ولما اصبح الفرنج یوم السبت خرجوا علی العادة عادین وللمنايا الی نابیھم منابین، فاستطرد من حضر من العرب والیزکیة قدامھم . واطھروا انھم قد ظھروا علیھم وھربوا .

ورهبوا اقدامهم . وما زالوا ينهزمون وهم وراءهم . يقومون فيهم
رجاءهم . حتى ابعدهم عن المأمن . وعبروا بهم عن المكمن . فخرج
عليهم الكمين من خلفهم . وفتح عليهم أبواب حتفهم . وأروهم وجوه
المنايا في مرايا غرر الجياد . ونزعوا عنهم لباس الجلد لباس
الجلاد . وفلقوا البيض بالبيض . وفلحوا الحديد بالحديد . واشعلوا
نار الظبا في ماء الوريد . وفضوهم بالفضاء . وعروهم بالعراء
ولتوهم باللثوت . وبتوا اعناقهم من حبل الوتين المبتوت . فلم ينج
منهم ناج . ولم يبق منهم للبقاء راج . واسرت عدة من مقدميهم .
ومعروفهم ومحتشميهم وكانت هذه بحمد الله نوبة بغير نبوه . وكرة
بغير كبوة . وغزوة اننت بأوفر حظوه . ووقعة اننت بل اجنت كل
نصره نضرة عذبة حلوه . والحمد لله الذي تزكو انعمه بساقيا
الحمد ، وتوضح عوارفه لنا كربها جدد الجد . ولولا مرضنا في النوبة
الاولى التي خرجوا فيها بأجمعهم . لما نجوا بدشاشاتهم بل تعجل
مصيرهم الى مصرعهم . لكننا ما قدرنا في ذلك اليوم على الركوب .
وجلسنا على تلعة قريبة من المعركة ننتظر ما يكون من العسكر
المندوب . والان بحمد الله قد توفرت حصة الصحة . ولزمت منة
المنحة . وكذلك مرضنا عام اول شهرين . والحمد لله على المهلة في
السنتين . فأقمنا مع السقام ، وساقمنا في المقام ، وصبرنا
وصابرنا . وجاهدنا وجاهرنا . ومقامنا في هذه المدة المنيبة في بلد
الغور . والوخم فيه يقضي على ماء الصحة بالغور ، ومامنا الا من
التاث . فأعانه الله بغيث فضله المنيمة بيمته الاثاث . والحمد لله
الذي أعان وأغاث .

ذكر هجوم الشتاء ومقام السلطان على الجهاد وعود
من سار من العساكر الى البلاد على رسم الاستراحة
والاستعداد

ولما تشتت شمل الصيف الرفيق . بشمول الشتاء العنيف .
وانحرف حريف الخريف كانحراف مضيف المصيف . واشتعلت

رؤوس الجبال شيبا للثلج ، وحل الوحل المخيم جيشه المجر بالمرج .
والتحفت كل هضبة ببرد البرد . واكتست الغدران من الجليد بالزرد
السرد . ولبست سود الذرا بيض الفرا . وجر السيل النيل وجرى .
وطمر المطر هوادي الوهاد . وقبض انامل الانام عن البسط
للجهاد . وجمد الخمر . وخدم الجمر . وارتعدت الفرائص .
وارتدعت الاخامص . وقرست الايدي ، وامسى الجو بالجوى المسيء
يعدو ويعدي . وحل الهواء بالوهاد عقود القوى . وعقد المترفون على
حب الاصطلاء الحيا . واشتغل الملوك بملازمة المشاتي . ومنادمة
المواتي . ومناقلة المناقل . ومعاقة العقائل . ومعاقرة العقار .
ومسامرة السمار ، ومدانة الدنان . واجتناء الجنان . ومناغاة
الفواني . ومناجاة المثالث والمثاني . وملابسة السوالف والسلاف .
وملامسة اللطائف واللطاف . فلت نار عزم السلطان حد الشتاء
العاتي . ووقف مع عزائمه الماضية وهجر من مشى الى المشاتي .
وما صده البرد عن مقصده . ولا رده عن مسوره ولم يحتفل
باحتفاله . ولم يبال ببلاله . ولم يكثرث بكارثه . ولم يحدث امرا
لحادثة . فاعتاض الاصطلاء بحر الحرب عن الاصطلاء بناره .
وجرى على عادته في مصابرة الاعداء والجري لها في مضماره . وما
لها عن الله ولا رفض فرضه . وسما الى سماء الآلاء وارضاه لما
طهر بدم انجاس اعدائه ارضه . واستمر على بذل جهده في الجهاد .
ووفى بعهده ولم يثنه جفاء العهاد . وقال انما أربأ بهذا الأرب .
وأرى راحتي في هذا التعب . ويقيني يقيني في ثلج صدري بلطف الله
عنف الثلج . وما يبرد قلبي مع ثقل الحر والبرد الا برد النصر
والفلاح . لكنه رأى ان مقام العساكر بجمعها . وصرها عن العود
الى البلاد ومنعها ، يوزن بملالها . واختلال امورها وانحلالها .
والفرنج قد امنت غائلتها . وتكفى في مداومة قتالها في نوبها
مقاتلتها . فانن للجماعة في الانصراف على المواعدة في المعاودة في
الربيع . والرجوع الى مراد الروح المريع . وليأخذوا اسباب
الاستعداد لأوقات الاستدعاء . وليستكثروا من الرجال المحققين في
نصرة الحق للرجاء من اهل الغنى والغناء والمضارب
والمضاء . فسار صاحب سنجار عماد الدين زنكي خامس عشري

شوال يوم الاثنين . وتلاه صاحب الجزيرة ابن اخيه سنجر شاه ليكونا مصطحبين . وسار بعدهما ابن صاحب الموصل علاء الدين غرة ذي القعدة . وما انصرفوا الا بالتشريف والخلع المعدة . وشيئهم السلطان بكل مكرمة شائقة شائعه . وخلعه رائقه رائعه ، ومستعملات مصر . ومصوغات تبر . وخيل عتاق . وخير واطلاق .

فصل من كتاب الى صاحب الموصل عند عود ولده اليه وينعت بالملك السعيد علاء الدين

ماكان اسعدنا بقرب الملك السعيد،وما أجد جدنا بانارة نوره . واوفر حبور بحضوره ، وأصدق شهود صدق ولائه بحكم شهوده . وما ابهج الاسلام بنصرة ناصره ونجدة وليه ووروده . ولقد تمت بأيامن ايامه وبركات مقامه في العدو نكايات . وظهرت لأولياء الله من الطاف كفاياته آيات . ووقعت بالمشركين روعات . وراعت وقعات . وقد أرنا ان نستظهر بمرافقته . ونبني الامور على موافقته . فما ايمن سعده . وما اسعد يمينه . وما اقر وزنه واغزر مزنه ، لكننا عرفنا شوق المجلس الى اجتلاء سناه . بمقتضى آدابه التي استكمل بها ادوات الارتقاء في مطالع علاه ، فقد فاق بسداد رأيه الكهول . وما ازكى الفروع الطيبة انا أشبهت الاصول . وما اسعد الملك بالملك السعيد علاء الدين ادام الله علاه . وسر بفضائل اولياءه . وقد توجه والقلوب معه متوجهة . والذفوس لغيبته متكرهه . والعيون لترقب ورود البشائر عنه منتبهة . والأيام لظلمة الاستيحاش بالليالي متشبهة . والموارد الى ان يمن الله بعود الانس بعودته متسهنه . والالسن بسذكر اخلاقه الطاهرة والافاضة في محاسنه الزاهرة مدفوهه . والخواطر فيما تمثلته ايام الاستسعاد به من مبهجات الائه متنزهة ولاشك ان يصف بلهجته الفصيحة . ما اقتناه من المتاجر الريحه . وقدمه من المساعي النجيحة ، واستنجه في الغزاة من مغازيه الصحيحه . وله في كل

نصرة وهبها الله للاسلام اوفى نصيب . فقد أمسى مقتل الكفر بكل
سهم مصيب . وهو لمستصرخ الهدى اسبق ملب واسرع مجيب .
وان الله له بسفور صبح سعادته ووفور نجح ارادته افضل مثيب .

نذكر ما تجدد بعد ذلك في هذه السنة

لما هاج البحر وماج . وظهر الارتجاج والانزعاج ، نقل الفرنج
سفنهم خوفا عليها الى صور فربطوها بها . واخذوا ساحل عكا من
اربابها واربابها . وخلا لنا وجه البحر وغابت عن الساحل مراكب
الكفر . فاشتغل السلطان بانقاذ البديل الى البلد . من الثابتين في
الجلاد على الجلد . فانتقل الملك العادل بمخيمه الى جانب الرمل
ونزل قاطع نهر حيفا في سفح الجبل . لتسهيل طريق من يسيره الى
البلد من البديل . فان المقيمين في عكا شنكوا امراضا
معرضه . واعراضا ممرضه ، وكثرة السواد مع قلة الذئقة والزاد .
وكان في البلد زهاء عشرين الف رجل من امير ومقدم وجندي .
واسطولى وبحري ومتعيش وتاجر وبطال . وغلمان ونواب
وعمال ، وقد تعذر عليهم الخروج فسكنوا . واذا عاينوا خوفا على
الموضع . موهنا عاوندوا وما وهنوا . فرأى السلطان ان يفسح لهم في
الخروج رفقا بهم ورأفة . وما افكر ان في ذلك مخافة وافة ، فقد كان فيه
امراء امروا الامر والفقوا الصبر ومانعوا الحصر . واجتروا
وتجاسروا . وصبروا وصابروا . وحاربوا وخرجوا . وجاروا
وجربوا . وزالوا وازالوا . وحاوروا واحالوا وعرفوا مكان
المكايد . وكشفوا كوامن المقاصد . واخذ كل موضعه في الحرص على
الحراسة وشاعوا بالسماحة والحماسة . وكان فيهم من يطعم
ويذوق . ويجمع الرجال وقلوبهم بما عليهم يفرق . مثل حسام الدين
ابي الهيجاء السمين . فانه اذفق ما اخره من الاوف
والمئين ، مستمرا على اذفاق لا تعتريه فيه خشية املاق وهناك
ستون اميرا ومقما . وكلهم يرى المغرم في سبيل الله مغنما . وكاذا
ينتفعون بالعوام وكثرة الناس في جذب المجانيق . والاعانة على ما

الامكان . ويطردونهم بقبيح الزجرة . ويكسر ونهم في صحيح
الأجرة . والسلطان وجود جود السحاب . ويأمر بالعتاء
الحساب . وبجد حث الذواب . ويجد في بعث الأصحاب . ويقول
انفقوا ولا تخشوا اقلالا . وانهضوا الرجـال خفافا
وثقالا . ولاتـؤخروا شـغل اليوم الى غد . امهـالا او
اهمالا . ولاتقدموا على هذا الفرض فرضا ولا نفلا . ولاتعتقدوا ان
لنا اهم من هذا الشغل شغلا . ونواب الليوان على عادة جهالتهم .
وعابية ضلالتهم . فما قبل العطاء غير مضطر فقير . وما دخل الثغر
الا قليل من كثير . وما صح من البدل الا بعضه . وما قضى حق
الواجب المتعين فرضه . وكان هذا من أقوى اسباب الضعف .
وأوفق دلائل الخلاف . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه في سنة سبع .
فانه عاد كل مادبر بضر على الثغر لا يذفع . وأقام الملك العادل على
البحر لازاحة علل الداخلين . واراحة قلوب الواصلين . حتى عاد
الفرنج بمراكبهم . وانقطع بوصولهم الطريق من جانبهم . واقتنع
البلد بمن اليه تحول . وعلى حفظه من الله بعصمته عول .

وبتاريخ يوم الاثنين ثاني ذي الحجة وصلت من مصر بالغلة
بطس سبع . وكان لها للحاجة اليها وقع . وقيل قد تم بها للجائعين
شبع . وانقلب أهل البلد الى البحر لمشاهدتها . ومعاونة جماعتها
ومساعدتها . ونقل ما فيها من بضائع وحوائج . وسلع وروائح .
ومأكول ومطعوم . ومشروب ومشوموم . فقد طال بذلك كله عهدهم .
وانتهى الى الغاية جهدهم . فلما تسامعوا بالبطس تشارعوا الى
الملتمس فعلم الفرنج بانقلاب أهل الثغر . الى جانب البحر .
فزحفوا زحفا شديدا وحملوا جنذلا وحديدا . وأتوا بسلالم
لينصبوها على الأسوار . وصارت عكا وهم حولها كالعصم في
السوار . وترقوا في سلم واحد متزاحمين . والضيق متصادمين .
فاندق بهم السلم المنسوب . وسطا بعصابهم المعسوب بها لنصب
سوط العذاب المصبوب . وتدارك الناس وتلافوا وتلاقوا . وتعاطوا
كؤوس المنايا وتساقوا . ورأوا غمرات الموت فزاروها . وداروا

حول رحى الحرب وأداروها . واستحلوا شهد الشهادة فشاروه .
وألقوا الأجل كامنا فآثاروه . وتواثبوا عليهم تـواثب السباع على
الضباع . ورفعوا لقرى العواسل الجياح نار القراع . واطالوا بشبا
العوالي للعوافي باع الأشباع . وانبعوا عيون النجيع من عيون
الجميع جداول البيض . وافاضوا فيوض الدم القاني بالصارم
المفيض . وقتلوا وسفكوا . وفتكوا وهتكوا . وردوهم على اعقابهم
ناكسين . ومن حسابهم ناقسين . ولاشتغال الناس بكشف ما عرا
من الغمة . وأظل من الظلمة . والتهاثم بثقل الغلة . عن نقل الغلة .
وتركوا البطس بحالها . مملوءة بغلالها . حتى هاج البحر فضرب
بها الحشف . وأذهب بكسرها كل ما فيها وأتلف . وغرق من كان
فيها . وأتى الغرق على الأمتعة التي تحويها . حتى قيل هلك بها
زهـاء ستين نفسا . وعدموا ولم نجد لهم حسا . وناموا والقدر
منتبه . وذهلوا وحكم القضاء اليهم متوجه . وفي ليلة السبت سابع
ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا على فصيلها فهدمته .
وثغرت الثغر وثأمته . فبان منها الضوء لأهل الظلمة . فتبادروا
اليها طمعا في هجم الثلمة . فجاء أهل البلد وسدوها بصدروهم
وصدوا عنها بنحورهم . وبذوهمـا بأبدانهم الى أن بنوا ذلك
البدن . وعمرروا ماخرب وقووا ماوهن . وقتلوا وجرحوا من العدو
خلقا . ووسعوا بالمضايقة في كل ذي خرق خرقا . فانجلت الحرب
عن طريح صريع . وجريح الى الهزيمة سريع . وطلح للعقير قريع .
وعاد الثغرا قوى مما كان وأحكم . وكل ذلك بجد بهاء الدين
قراقوش حيث كان المقدم المقدم . وهذا الأمير قراقوش لما ضجر
الأمراء وضجوا . وطلبوا الخروج ولجوا . أقام ولم يرم . ولم ينحل
عقد ثباته ولم ينخرم . وفي ثاني عشر ذي الحجة هلك ابن ملك الألمان
بمرض الجوف . ولعله من عرض الخوف . وأدرك أباه في الدرك
الأسفل من النار . وابصر في جهنم مصاير امثاله من الكفار . وزاد
بهلاكه ألم الألمانية . وانسدت بموته فرج الفرنجية . وتبعه في السفر
الى سقر . كند كبير يقال له كندتباط دافع القدر فما قدر . وهلك
منهم بالأمراض المختلفة العدد الكثير . واشتعلت بهم الجحيم
واشتعلت عليهم السعير . وفي يوم الاثنين ثاني عشري ذي الحجة

عاد المستأمنون من الفرنج الذين انهضهم السلطان في براكيس .
ليغزوا في البحر ويكونوا ايضا لنا جواسيس . فرجعوا وقد اغنموا
وغلّبوا . وكسروا وكسبوا . وسروا واسروا . وقسروا فظفروا .
وذكروا انهم وقعوا بحرارة كبيرة ومعها براكيس . وفيها تجار فرنج
ومعهم من المال الجليل النفيس . واسر التجار واخذ المال . وحيزت
تلك المراكب وجذبت الى الساحل . فاذا هي مشحونة بالكرائم
الجلائل . من كل آنية مطبوخة ذهبية . وحلية مصوغة نضارية . وآلة
فضية وأباريق وأكواب وأقداح . وأطباق وموائد وسباذك وصفاح .
وكاسات وطاسات . ومرافع وشربات . فوفر السلطان عليهم هذه
الأكساب . ولم يحرمهم حيث حرموا لكفرهم الثواب . واظهروا بهذه
النهضة انهم مناصدون . وليمين الايمان مصافحون . فلما اكرموا
بتلك المكرمة . اثنوا على اليد المنعمة ، وأسلم منهم شطرحم .
وحسن بيننا ذكرهم . وببركات الكرم السلطاني كرموا . وانسوا
وأسلموا وكانوا قد احضروا برسم الهدية مائدة فضية عظيمة وعليها
مكبة عالية . ولها قيمة غالية . ومعها طبق يماثلها في الوزن . ويتعذر
وجود ذلك للملوك في الخزن . ولو وزنت الفضيات قاربت قنطارا .
فما أعارها السلطان طرفه احتقارا . وقال لهم خذوها فأنتهم بها
أولى . وكان أول من أسدى هذا المعروف وأولى . وكنت عنده
جالسا . وبلطفه مستأنسا فقلت له ما أظن في الوجود ملكا يسمح
بمثل هذا المال ، وخصوصا وقد اغنمه الله من الحلال . فتبسم
لقولي غير معجب به . وما قضيت العجب مما قضاه كرمه من أربه .
وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أخذ من الفرنج بركوسان فيهما
نيف وخمسون نفرا . فجلنا لنا نصرا وعلا نجحا وحلا ظفرا . وفي
الخامس والعشرين منه أخذ ايضا بركوس فيه من الفرنج مقدمون
ورؤوس وهم نيف وعشرون منهم اربعة خيالة . ضمتهم من الأسر
حباله ومعهم ملوطة . مكالة بالاولؤ منوطة . وبأزرار الجواهر
مربوطة . قيل انها كانت من ثياب ملك الألمان . واسر فيه رجل كبير
قيل انه ابن اخته وهو كبير الشأن . وفي هذا الشهر كان قدوم
القاضي الأجل الفاضل رب الفضائل والفواضل من مصر فاشرفت
المطالع . واشرفت الصنائع . وبشرت المطالب بنجاحه . وغزرت

المواهب بسماحه . وغابت بحضور مكارمه المكاره . ونزع بلبسة
إفضاله لباس الخمول ذو الفضل النابه . واعاد روح السلطان
بإعادة الروح الى سلطانه . وسر بمكانه واقترن احسانه باحسانه .
وظهرت في وجهه به الطلاقة . وفي قلبه العلاقة . وروى رأيه بري
رأيه . وتلقن آيات النصر من نص آيه . وانتعش عثاري بمقدمه .
وانتعش خط فخاري بكرمه . وحلى عطلي وحيا أملي . وقوي عملي
ووضح منهاج مناي . وصح مزاج غنائي ونبه قدري ونوه بذكري
وسعى في رفع رتبتي وزيادة راتبي . وسن غربي واسنى غاربي .
واقربي وقربني . واستكتب الخطوط بالحظوظ كما كان استكتبني
فعثت وبعثت وفرشت بساط الغنى فرشت . ولولا انني قويت به
لاقويت . ولولا انه أولاني عارفته لما عرفت ولا توليت . فانا شاكر
نعمه عمري . وعامر كرمه بشكري .

ذكر جماعة من المستشهدين في هذه السنة

استشهد في عكا سبعة من الأمراء كل منهم سبع . ومافي لقائه
للقرن طمع . ومن جعلتهم سوار من الممالك الخواص . ومن ذوي
الاستخلاص . وكان هذا سوار في كل حرب مساورا . ولكل هول
مباشرا . وبكل يوس عبوس باشرا . فجاءه سهم عائر . فاذا هو
الى الجنة سائر وكذلك عدة من أمراء الأكراد . كانوا من الآساد .
ففازوا بحظ الاستشهاد . وخرج اسطولنا في هذه السنة . وبشوانية
المعجبة المحسنة . ليكبس شواني الفرنج في مواضع الربط .
وأحرقها بقوارير النفط . فخرجوا الى شوانينا بشوانيهم . ولقوا
عوانيهام بعوانيهام . وظفرت اساطيلنا وطالت . ووصلت اليها
وصالت . ونالت من الظفر مانالت . وأحرقت الكفر شواني
برجالها . وغرقتها بأبطالها . وكان عند العود تأخر لنا شيني
مقدمه أمير مبارز كالأسد الخادر لا يصرح الا للفريسة ولا يبرز .
وهو يعرف بجمال الدين محمد بن ارككز ، فشين الشيني وشأنه .
وما عانته أعوانه . وامتلات بالأعطاب أعطابه . واضطربت للانكار

أركانها . واضطربت باهل النار نيرانه فتساقطت من فيه الى
الماء ، واحترزوا من البلاء بالبلاء . ووقف الأمير على قدم جلده
يجالد . ويجد ويجاهد . وقد اثقله بلبس البسالة الحديد . وخف به
العزم الشديد السيد وقد دعاه الى أمنية المنية الذكر الحميد .
والأجر العتيد . فما ارتاع للروع . ولا استطاع الانقياد بالطوع .
ولامكن العدو من مكانه . وأخذ مع الشانئ بشنآنه . ولولا ان
ملاحيه جبذوا وفروا . ومناصحيه خذلوه وماقروا . لجنى بسيفه ثمر
النجاة . لكن الأجل قطع عليه طريق الحياة فاجتمعت على مركبه
مراكب الجمع . وسدوا عليه سبل البصر والسمع . وقالوا خذ منا
الامان واستأسر . وهون الأمر عليك ولا تعسر ويسر . فالعاقل
يختار البقاء على الفناء والوجود على العدم . وأنت في عين الهلاك
أن لم تعظنا اليد وثبت على هذه القدم . فقال ما أضع يدي الا في يد
مقدمكم الكبير . ولا يخاطر الخطير الا مع الخطير . فسموا له كندا
أرضاه . وأراد ان يشركه فيما الله قضاءه . فلما بنا ليأخذه لزمه
وعانقه . وقوي عليه وما فارقه . ووقع الى البحر وغرقا . وتراققا في
الحمام واتفقا . وعلى طريق الجنة والنار افترقا . فارتوى الشهيد
السعيد بماء النعيم . وصلى الكند الكنود . بنار الجحيم . واستشهد
ايضا في ذلك اليوم الأمير نصير الحميدي جرح فمضى حميدا . وشهد
مقامه في الجنة شهيدا . وسعى دهره حتى قضى سعيدا . ولم تخل
وقائع هذه السنة من استشهاد جماعة من أمراء العسكر . وسعداء
المعشر وكرماء المحشر . وندماء الكوثر . وحلفاء المفخر . واستشهد
يوم تاسع جمادى الأولى القاضي المرتضى بن قريش الكاتب . وكان
صدرا تجمل به المراتب . وجريا جاري القلم . بليغا بالغ الحكم .
مهيبا يخشى مرهوبا لا يخشى . وهو في أهبة من المهابة . وكتيبة من
الكتابة . صوبه في الصواب منتجع وخطابه في الخطب مستمع .
ولرأيه ري وريا . وتدييره للأمور بتنفيذ الأوامر السلطانية بينا
ودنيا . ولم يكن له في الكفاية كفه . ولم يزل لخروق الخطوب بقلمه
رفه . وكان رجل دمشقي بنا بلس له ملك بدمشق قد تركه . ورغب
في ابتياعه القاضي المرتضى ليملكه . فتقاضى بيناره فانفضلا على
التراضى . ونجح سعي القاضي للقاضي . وبكر البائع الى سلام

المشتري ووثب ووثب المجتري وطعنه بمديته . وهو آمن من في
خيمته . وفتك به فتك اللعين ابي اولؤة بالفاروق . وخرج من الخيمة
كالسهم في المروق فلقي قاضي نابلس فقتله . ومضى بساك سبيله .
فادركه الناس وقتلوه . وكاد يفلت لو لم يعاجلوه . فجمع المنصب
بمصابه وناب عنه اخوه مع نوابه .

ودخلت سنة سبع وثمانين والشتاء لم يشمله شتات شمله . وعقد
البرد لم يقرب محل حله . وللغيث عيث ولزور الربيع ريث . ولل سحب
سح . وللضح ششح . ولعين الشمس غض . ولوجه الغيم ومض
ولأيدي العارض بسط وقبض . ولنواظر البرق تنبسه وغمض .
ولنواجز البرد كشر وعض . ولقص الفصل ختم وفض . وكل صاد في
بحر كانون كزون . وكل ماء بالجليد كأنه زرد مسنون . وللأوحال
أحوال . وللأهواء أهوال . وللأشمال شمول . وما للقبول قبول .
وللجنوب ندوب . وللديور في ادبارها واقبالها هبوب . وللصبا
صبابات وصبابات . وللندي الندي جنبايات وسرايات . وللجو
الجوي آيات ونكايات . وللغمائم غماغم . ولهام الربا من هامي
الرباب عمائم . وللنكباء نكبات . ولشبا شباط شببات . وللرواعد
رواعف . وللهاواتن هواتف . وللأرواح رواح وغدو . وحركة وهدو
ومحبة وسلو . ونزول وعلو . ونصفه وعدو . وللرعايا العرايا من
الرياح الحيارى رذايا أنايا . وخبايا المروج الثابتة في زوايا الثلوج
النازلة خفايا . وألعاواصف القواصف عواص غير قواص .
والعارض عارض للحب في العراض عراض . والقوارس قوارص .
والخوالس خوالص . والبحر في هيجانه والغيم في هطلانه .
والسلطان مقيم بمخيمه على شفر عم . ولطف الله به قد خص وعم .
والملك العادل سيف الدين نازل على الساحل عند نهر حيفا .
ولتجهيز البديل في المراكب الى عكا . والسفن تدخل اليها بالأزواد .
وتعود وترجع اليها بالأجناد . ويحرص ويحرص ويرسل الى
السلطان ويستنهض . والسلطان يفاوض النواب في ذلك . وإليهم
يقفوض . وفي كل يوم يعرض الرجال . وينفق فيهم الأموال . والأمر
مستمر . والقرار مستقر . واليزكية زكية . وسنتهم في المناوبة

سنية . ولو افح عزماتهم ناكية وذوافح مكرماتهم نكية . والمماليك
الخواص ومن خصهم وعمهم الاستخلاص . يفادرون به
ولا يبارحونه . والعدو على عكا حاشد . ولضالة ضلاله ناشد .
ويحتمون ويحمون . ويرامون ويرمون . ويذبون ويشبون . ويخبون
الى الكفرة بسوط العذاب ويصبون . وقد قسموا الأسوار على
الأجناد والأبراج على الأمراء . واستقبلوا النعمة في البلاء والسعادة
في المشقة التي تعدها الأشقياء من الشقاء . ان وجدوا غرة
اهتبلوها . او استوعروا كرة استسهلوها . او صادفوا ملمة
صدقوها . أو لقاو غمه كشفوها ، او صرفوا أوجههم الى نائبة
صرفوها .

ذكر ما تجدد من الحوادث وتكرر للعزائم من البواعث

في يوم الأربعاء تاسع المحرم ، سار الملك الظاهر لقصد بلد
صافيتا بالعزم المصمم والرأي المحكم . وفي ثالث صفر عزم من بقي
من اصحاب الأطراف السفر . فان السلطان رخص لهم في ذلك .
فانتهجوا في عودتهم الى بلادهم المسالك . وأقام السلطان في
اصحابه . وخواصه وملازمي بابه . وملازمي جنابه . ورجال
رجائه . وخلص أوليائه ومقربي امرائه . وفي هذا اليوم رحل الملك
المظفر تقي الدين ليتسلم ما في شرقي الفرات . من البلاد التي كانت
مع مظفر الدين . مضافة الى ميفارقين . فصارت معه جبلة
واللانقية والمعرة وحماة وسلمية والرها وحران وسميساط والموزر
وميفارقين . وشرط معه ان يحافظ على عهد صاحبي آمد
ومارين . والبلاد المظفرية كانت قد بقيت الى هذه الغاية . مع كثرة
الطالبين لتلك الولاية . مضنونا بها على الخطاب غير مسموح بشيء
منها للطلاب . فانه مارامها من الملوك اخي السلطان وأولاده الا من
يشترط الفسحة له في استضافة نيار بكر الى بلاده . ويقال له
لاسبيل الى قصد أحد ولا انتزاع بلد ولا ازالة يد . فان أرباب البلاد
أكثرهم لنا معاهد . وعلى ودنا معاهد . وفي شغلنا مساعد . فاما من

هو عنا متقاعد . ومنا متباعد . فما هذا أو ان مكافأته ولا زمان كف آفاته . وهو منا في حصر مخافاته . وهذا العدو الكافر شغلنا به مستغرق وعزنا في قمعه متحقق . فلا نثير علينا من المسلم الكاشح والحاسد الحاشد . ومن يشغلنا عن هذا المهم الفرض والرأي الراشد . فقال تقي الدين انا لي في ذلك الجانب ميفارقين فاذا أخذت حران وسميساط والرها . أدركت من تكثير العساكر وتقويتها المشتبه . وبلغت المنتهى . وأنا انخل على الشرط وعنه لأخرج وأجمع العساكر والى نصركم —ورد في الروع ومصدر ، وما زال يستسعف السلطان عمه . ويستترهف في تخصيصه بتلك الولاية عزمه ويسأل ويتوسل ويرسل ويتوصل . حتى اخذ دستوره . واستكتب منشوره . وسار على أنه يسرع اياه ، ويحكم في العود اسبابه . وانما يلبث ريثما يقسم تلك البلاد على مقطعيها ، ويرسم نوابه فيها . ثم يطلع علينا طلوع السحاب . ويأتي بالآتي العباب . ويعرض عساكر لا تدخل في الحساب . وسارع الى الرحيل وسار بعد ما استشار وله استخار .

وفي يوم السبت رابع صفر وصل كتاب الملك المجاهد . والجواد الماجد . أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه . وهو الجري الذي اذا جاري اضرابه من الملوك في حلبة المجد لم يدركوه ولم يشركوه . ومضمون الكتاب أنه خرج في أضر المجرم على جشير العدو بطرابلس واستاقه . ولم يطق الكفار لحاقه . واقتطع لخاصة منه اربعمائة رأس تلف منها في الطريق أربعون . غير ما كان اصحابه منها يقتطعون . وأنه غزم ايضا ابقارا وآب قارا . وسار بالغنيمة سارا . وأهدى لي من ذلك بغلة سرجية عالية فارهة فرنجية . وقال رسوله لما ابصرها واستحسنها . قال تصلح للعماد فانه اذا ركبها زينها . وفي ليلة هذا اليوم وهو السبت . كبت الريح سفينة للفرنج على ساحل الزيب وغالها الكبت . وكان فيها من الفرنج خلق . فغرق في بحر الأسر من لم يسر اليه في البحر غرق . وفيهم امرأتان سبيتا . وماهيتا بل اهيتا . وشاهدت الأسارى . قدام السلطان وقد احضروا فردهم على النين اسروا .

وفي اول ليلة من شهر ربيع الأول . خرج اصحابنا من البلد على العدو بالنائب الاعضل والناب الاعصل . وكبسوه في مخيمه . وخيموا عليه في مجثمه . فما انتبهوا لهم حتى اسروا من الفرنج وقتلوا جمعا . وأوسعوهم الى ان ضويقوا قمعا . وعادوا سالمين غانمين . كاسرين كاسيين . ومعهم اثنتا عشرة امرأة في السبي . وعرف الله لهم حق ذلك السعي . وفي الأحد ثالث هذا الشهر . شهر سلاح الحرب اهل الكفر . وخرجوا على اليزك وكانت الذوبة للحاقة المنصورة خواص السلطان مساعير المعترك . وعظمت الوقعه . وفخمت الروعه . وصدمت الصدعه . واحتدمت على الفرنج بناورها الصرعه . وهلك منهم عالم كثير . وقتل منهم مقدم معروف كبير . ولم يفقد منا الا خادم رومي صغير عثر به في الحملة فرسه فلم ينتعش . واستشهد ليعيش في الآخرة من في الدنيا مات في سبيل الله ولم يعيش . وهذا الخمي كان فحلا من الفحول . ناهضا على الكفر للاسلام بحمل الذحول . وانتهى الينا ان الفرنج على عزم الخروج ليحتشوا ويحتطبوا مما حولهم من المروج . فلا مرعى لدوابهم ولا علف . وان لم يتلافوها بالاحتشاش خشوا عليها التلغف . فأمر السلطان اخاه الملك العادل . ان يذهب ويقصد الساحل . ويكمن بعسكره وراء التل الذي كانت فيه قديما منزلته . وهناك نصرت وقعته ووقعت نصرته . ومضى السلطان بنفسه في خواصه واجناده . وأقاربه وأولاده . فكمن وراء تل العياضية . في العصابة المنصورة الناصرية . وذلك يوم السبت تاسع شهر ربيع الاول . مستظها بصحبة ولده الملك الأفضل . ومعه ايضا اولاده الصغار ليستأنسوا بالحرب ويدمنوا على مباشرة الطعن والضرب . فعرف العدو الخبر . فما اقدم على الخروج ولاجرس . فضربت للسلطان على التل خيمة حمراء . فبات فيها وحوله الملوك والامراء . ووصل اليه من بيروت خمسة واربعون اسيرا من الفرنج . اخذوا بالمرآكب في البحر من اللج . وفيهم شيخ هم هرم . عمره في الكفر منصرم . قد طعن في السن . ووهن كالشن . وانحنى كالحثية . وما أمن من المنية . وتحاماه الحمام . وعامت في بحر لياليه وایامه الأعوام . وهو ممسوخ الحليه . ممسوخ اللحية . قد بلى مما بلى . وقلبي من طول

مالقي . وسئم حياته وسئم . وعدم لداته ولذاته وما عدم . وكم
جاوز قرنا وعبره أري قرن . وبارز قرنا ونازله بعد قرن . حتى لم
يبق منه الا اها به . ولم يرقب منه الا نها به . فتعجب السلطان من
مجيئه من البلاد الشاسعه . واختياره الضيق على الارجاء
الواسعة . فسأله كم بينه وبين وطنه . ولأي سبب حركته من
سكنه . فقال اما بلدة فعلى مسافة شهور . وانما خرجت بقصد
كنيسة القيامة لأظفر بالحج المبرور . فرق له ومن عليه بالاطلاق .
واخرجه من ذل الرق الى عز العتاق . وردة الى الفرنج راكبا على
فرس . ولم ير قتله ولا اسره حيث رأى نفسا مرتهنة بنفس . وسأله
خدام اولاده الصغار . ان يأنن لهم في تجريب سيوفهم بجرح
الاسارى الكفار . فلم يأنن لهم في ذلك واباه . فأرضى كل منهم
بامتثال الأمر الذي أباه . فقيل له: لأي سبب منعتهم من ثواب الجهاد
المغتتم . فقال بلئلا يجترئوا من الصغر على سفك الدم . فانظر ما
تحت هذا القول من الرأفة والكرم .

ذكر جماعة وصلوا من عسكر الاسلام

اول من قدم من العساكر الاسلامية علم الدين سليمان بن جندر .
وكان بحلب المقدم المؤمر . وهو شيخ له رأي وتجربة . ومنزلة كبيرة
ومرتبة . ومعه حصنا عزاز وبغراس . وللسلطان بقره ومجاورته
الاستتناس . فقدم في شهر ربيع الأول في عسكره . وابيضه واسمره
وبيضه ومغفره . وجني جنده وسني سنوره . وجلبه ولجبه . وزمره
وعصبه . وبيارقه ويلبه . وبوارقه وسحبه . وقدم في ذلك التاريخ
بقدومه الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه صاحب بعلبك وقد
استصحب معه مماليكه الترك . وقد نوى بالمشركين الفتك .
واستترهم الهتك . ولدمائهم السفك . فوصل بقواطعه وقواضيه .
وصوافنه وسلاهبه . وطلائعه ومقانبه . وحضر من الحاسن بكل ما
يعرب عن مناقبه . وقد زين ليل القساطل من اسنه العوامل بكواكبه
واظماً جواده ليرد به دماء اهل الكفر فانه يعدها من مشاربه . فعن

ذلك اليوم من القادمين والمتستقبلين بذلك الفضاء جيش زرت الربا عليه جيوبها وغطته من العجاج بالرداء . وجرى ذلك الوادي مع الأجناد والأمراء بسيل خيل تردأ ماء (٤٩) الدماء . وخرق ذلك الخرق أرعن في حافته الخرق . ومن عاداته بعداته الحرق ، ومن آفاته عند موافاته من فرق الكفر الفرق . ومن علاقته عند الظماء ان لا يرويه الا العلق . ومن صبايته بالسير الى عناق الاعداء بسواعد سيوفه الخبب والعنق . ومن شيمته عوض التغلف بالعبير التضمخ بالنجيع . ومن ييمته وبب النبل من الاحداق والنواظر في نواضر حدائق الربيع . ومن صنعته اسماء حنين الحنية بسهمه . واسماع أنين المنية لخصمه . وجلونا في ذلك اليوم فوارس لاعرائس . وقوانس لا عوانس . وقدم بدر الدين مودود والي دمشق بعد ذلك في سابع عشر شهر ربيع الآخر ، وبشر بورود العساكر ووصول الجمع الوافر

ذكر وصول ملك افرنسيس لنجدة الفرنج على عكا واسمه فليب

وفي ثاني عشر ربيع الاول وصل ملك افرنسيس الى القوم وصان حبلهم وشملهم من البت والشت . وكان وصوله في بطس ست حملت من الفرنج كل ذي شوؤم ومقت . وقد كانوا يهددون بوصوله وصوله . ويقولون لنا من تهديده ووعيده ما يجري على قوله . وانه اذا جاء حكم واحكم . ونقض وابرم . وقدم ما قدم به من المال وأقدم . ونحن منه على مواعدة . فهو يأتينا بكل نجدة مساعدة . ووجدة عن الفقر مباحة . فقلنا لهم رب صلاف تحت راعدة . وما هذه الأراجيف منكم بواحدة فلما وصل في العدد القليل ، والنظر الكليل ، اعجبتنا قلته ، وتشابها عندنا عزته وذلته ، وقلنا ما يكاد تصل صولته او تدوم دولته .

نادرة

وكان مع هذا الملك باز اشهب . كأنه عند ارساله نار تتلهب .
ففارقه يوم وصوله . بحيث عجز عن حصوله . وافلت من يده وطار .
وحشا حشاه الباز الذي نار النار . ووقع على سور عكا . وحزن
الملك يوم سروره بفراقه وابكى . واستجابه فما استجاب . وابتى
وما أب . وثبت وما ثاب . فبصر به اصحابنا فأخذوه . والى
السلطان انفذوه . فأبدى للسرور به الاهتزاز وجمل بتشريفه بزة من
بز الباز . واطهر به احتفالا . وعده للظفر والمنحة فألا . وبذل فيه
الملك الف دينار فما اجيب . ولا وهب له ولا هيب . وما بيع ولا
عيب .

خبر نادرة في غنيمة وافرة

كان المستأمنون من الفرنج الينا . تسلموا براكيس يغزون فيها .
ويجرون بجواريتها . وينهضون بسواريتها ورواسيتها . وينهشون
بعقاربها وافاعيتها . ووصلوا الى ناحية من جزيرة قبرس يوم
عيدهم . وقد جمع القس في كنيسة لاهلها شمل قريبتهم وبعيدهم .
فصلوا معهم فيها صلاتهم . ثم اغلقوا ابواب الكنيسة عليهم لئلا
افلاتهم . واسروهم باسروهم وسبواهم . وبغتوهم من البلاء بما
اتوهم به وبلوهم . وكذسوا كل ما كان في الكنيسة . من الاعلاق
الذفيسة . وقسوا على قسيسهم وعادوا بها وبهم الى براكيسهم .
ولادوا باللانقية وباعوا بها كل ما اخذوه من البيعة ومن الجملة
عشرون نسوة سبايا . وصبيان وصبايا . فباعوها رخصا .
واقدموها خرصا ؛ وزادوا بما نالوه خرصا . واستغذوا مما
استغذموه . واثروا بما اثاروه . واثروه وفرحوا بما راحوا به من
مغرم . وقيل حصل لكل واحد منهم على كثرتهم اربعمائة درهم . وفي
سادس عشر شهر ربيع الآخر هجم جماعة من العسكرية السرية

فاقتطعوا من غنم الفرنج غنيمة . وخالطوهم في خيامهم وامطروهم من وبل الذبل ليمه ، وركبوا باسرههم بخيلهم ورجلهم في اثرهم . فلم يظفروا بطائل ، ولم يرجعوا بحاصل .

خبر وصول ملك الانكتير واسمه ليجرت الى قبرس واستيلائه عليها

وصل الخبر ان ملك الانكتير وصل الى جزيرة قبرس في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر . في الجمع الوافر . حاملا جموعا كالسيل الجارف في البحر الزاخر . وتقدمته الى الجزيرة . مراكب وشوان على قصد الجزيرة . فخرج صاحب قبرس اليها واستولى عليها وغنم اموالها وصدم رجالها فلما وصل اُرهِف حد عزمه . وأفضى فيض غيظه الى غيظ حلمه . وهو مغضب غير مغض . مريض من الم الحقد ماله سوى التشفي شاف مرض . فلبث مفكرا . ومكث متحيرا . وتروى متخيرا . فرأى ان قبرس في يده فاستن من جده في جد . وناشب القتال . وواظب النزال وقارع بالنصال النصال . وحلت المنايا حباها لاحتباء البيض بالاعناق . واعتناق الغلاظ مع الرقاق . ونفذ يطلب من الفرنج على عكا نجده . ليجد شدة ويوجد شدة . فنذوا له جفري اخا الملك العتيق . في جموع مترافقة الرفيق . وامتدت الحروب . واشتدت الكروب . ورأى ان فريضته تعول . وان حالته تحول . وان شغله يطول . واتفق ايضا انه كان رام الروم من الفرنج الفرج . وخطب كل واحد من ضيق الخطب المخرج المخرج . فتراسلوا في الصلح . وخرجوا من ليل الحرب المظلم في سنى السلم الى اسفار الصبح . واجتمع صاحب الجزيرة بملك الانكتير . واثقا بما تمن من التقريب والتقريب . وحمل له هدايا . وتحفا سنايا . ووسع له الأزواد . وبذل له الامداد . فأخذه في مأمنه . وابرز له مكره من مكمنه . وغله ثم غله . وشده وما حله . وجازاه لما اعزه بأن اذله . وغادره بغدره .

في القد والقيد . وما بطشت يد عادمة الا يد كيد الكيد . واستولي بالاستيلاء عليه على تلك الجزيرة ، وغرق في جماء (٥٠) امواله الغزيرة . وسيأتي ذكر ورويه ، وما تم به لاحزاب الشيطان وجذوده وبتاريخ انسلاخ شهر ربيع الآخر يوم الاحد . وصلت من ثغر بيروت كتب مبشرة . وبالنجح متجددة . وهو ان اصحابنا اخذوا عند الثغر بمراكبهم الغازية في البحر من مراكب الانكثير خمسة وطراة . ولم تكن لولا اباة رجالها للضيم معتاده . وبحزام القهر مقتاة . وكان فيها خلق كثير من نساء ورجال . ونخائر اخير من عدة ومال ، واثقال وانفال . واخشاب والات واحمال واحوال . وفي الطراة اربعون رأسا من الخيل الجياد . قد جلبوا البلاء بجلبها من البلاد . فحيزت وحيزوا . واجيزت الى بيروت واجيزوا . فاما السبايا فقد اخرجن على البيع بالذقود والنسايا . واما الاسراء فقد عمتنا بخصوص ضرائهم السراء .

وفي يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف العدو الى البلد . بالجد والجد . والعدد والعدد والمدى والمدد والجمع المحتشد والجمر المتقد . والبيض واليلب . والبيض والقضب . والسمر السلب . والحب والجلب والصياح والضجيج . والعجاج والعجيج والوشيج بالوشيج والامر المريخ . والقصد بالقصد . والزغف والزرد . والحديد والعنيد . والقريب والبعيد . والاتباع والعييد . والاباش والاشاب . والكلاب والذئاب . والسباع والضباع . والضواري الجياع . والاساود والاسود . والزرق والاحمر والاسود . ودبوا وذبوا . وشبوا وسبوا . وصابوا وصبوا . ونابوا ونبوا . وغبوا وغبوا . وجابوا وجبوا . وزحموا ورجموا . واقدموا وتقدموا . وقدموا سبعة مجانيق وقربوها . ونصبوا فيها ونصبوها . ففعلت كأنها قلاع . وارتفعت على التلاع كأنها تلاع . وهي في الجو مترامية . وبالجورامية . وفي السماء سامية . ولاهل النار الحامية حامية . مرتفعة على مرافعها . مقتلعة بمقالعها . منقضة احجارها لانقضاض الجدار . منقضة اسواؤها لانقضاض الاسوار . حاصرة حاصبه . عاملة ناصبه . قائمة قاعده . بارقة راعده . صادمة

صادعه . صارمة صارعه . حبال من الجبال آجنتها . وحنايا للحنين
على سهامها من الحجارة رنتها . ومواضع في حجورها الاحجار .
ومرايع تنهد بدوائرها الربوع والديار . حوامل على الطلق . صوائل
بالفلق على الخلق . مطايا للمنايا . روايا لخباياها البلايا . في
كفاتها افاتها . وفي حركاتها ادراكاتها . وللتعنيب عذباتها .
وللترهيب جذباتها . وما اعظم جنائيات جنادلها . واظلم غوايات
غوائلها . وهي الروائم الروامي . والحوائم الحوامي . والهوام
بالهواي . والصوام الصوادي . ودواعي العوادي . ونواعي
الذواي . والنواعب بالذوي . والجوائب بالجوى . والصوائب
بالمصائب . والنوائب بالشوائب . اذا جذبت جذت . واذا قذفت
اقتت . واذا طوحت طرحت . واذا حلقت حلقت . واذا اطارت
ابارت . واذا اقت القمت . فشق على اصحابنا بالبلد شقاقها .
وكادت تفتح اليه الطريق طوارقها وطراقها . فاستصرخوا بنا
وانهضوا . وحضوا على حظنا وحظهم وحرضوا . واستنفروا .
واستنصروا . واستعدوا . واستدعوا . فاصبح السلطان راكبا في
العساكر . طالبا شغل العدو الكافر الحاضر الحاصر . وسير من
كشف هل للعدو كمين . او كيد دفين . ثم وقفت العساكر عنه ومر
الى تل الفضول بالقرب . وشاهد المجانيق وكيفية رفعها والنصب .
ونكايتها في الضر والضرب . وعرف اماكن القتال . ومكامن
الرجال . وكلما شاهد الفرنج عسكرنا قد اطل واظل . ذل جمعهم
وكل . وترك الزحف وانفل . واذا عادوا وعدوا . واناروا في الحرب
واسدوا .

قصة الرضيع

كان لصوصنا في الليل استلبوا طفلا من يد أمه . وقطموه رضيعا له
ثلاثة اشهر في غير أوان فطمه . واستحلوا بحكم الجهاد في جنح
الظلام ظلمه . وفجعوها بواحدنا وساعدها . وكدروا صفو

مواردها . وقطعوا عنها فلة كبدها . واسعروا عليها جذوة كمدها .
وحرموه در لبها فدر دمعها . وابعده عن مناغاتها ومناجاتها فوقر
عن كل حديث سمعها . فخرجت والهة . والحياة كارهة . وللخد
خادشه . وللوجه خامشه . معولة مولوله . مذهلة مشتعلة . وقد
شهدت ودهشت . وتاهت واستوحشت . قد سلب عقلها . مذ سلب
طفلها . وغاب ذهنها . مذ غاب ابنها . وتكرر بالحنين والانين
ترجيعها . وتردد للقلوب مما فجأها وفجعها من الكروب تجميعها .
وهي نائحة في كل ناحية نادية في كل ناد . نابية لكل فؤاد . عانية في
كل واد . فلم يشعر السلطان الا بامراة بالباب واقفه . وبالنحيب
هاتفه . والدموع حادرة بتصاعد انفاسها . ومن الخلق مستوحشة
لذهاب استئناسها . قارضة صدرها بتقطيعها . ضارعة لفقده
رضيعها . معولة على الطفل معولة على اللطف . متذكرة من الذكر
متعرفة الى العرف . فاحضرها السلطان وهي باكية . ونارا كتنابها
زاكية . تتحدر عبرانها . وتتصعد زفراتها . وتتلهب حسراتها .
تبكي ببكائها . وتشكي من دائها . وتشد ضالتها . وتطلب
مهجتها . وتسال عن حشاشتها . وتشتعل نار قلبها على فراشتها .
فلما شاهد السلطان حريبة حزينة . مسكينة مسدكينة . متجننة
متحننة . مولعة مولهة . موجعة متوهه . سمع شكواها وفهمها .
ورثى لبواها ورحمها . ورق بلطفه للطفل الرقيق . وسلك بفضلها
طريق التوفيق . وطلب الرضيع . فقيل له انه بيع واضيع . فان
أخذه باعوه بثمن بخس . ولم يعرضوه في سوق بز ولا سوق
نخس . فما زال يبعث ويبحث عنه . ويلوم بانله كيف لم يصنه .
حتى جيء به في قماطه . وقد كاد يلف في عباءة اعتباطه . فلما
بصرت واحدا . ضمت عليه ساعدها . ودعت وعدت . وشدت يدها
به وشدت . فأعادها . وبذواله افادها . وبرد حرها برد روحها .
وأسا ما اساء الا سي من جروحها وقروحها . وروحها بروحها .
وفرع دوحها . واغناها بغنائها للشكر عن نوحها . وظهر سر
سرورها عليها ببوحها . وشيع معها من اوصلها الى موضعها . وقد
اجتمع شمل المرضعة بمرضعها . ومارد الطفل الا بعد ما اشتراه من
مشتريه بثمن يرضيه . وهذه نادره من جملة اياميه .

ذكر انتقال السلطان الى تل العياضية

لما اصر الفرنج على مضايقة عكا في كل يوم . وخطبوا متاعبهم في ابتياعها بكل سوم . وواظبوا ركوب بحر الحرب بكل خوض ووعوم . وداروا حول حمى دارها بكل حوم . ولم يكن بد من ركوب السلطان بالعساكر اليهم في كل بكرة وعشي . وارعاب النوم بكل حد مرهوب وجد مخشي . وكانت المسافة نائية . والآفة دائية . انتقل السلطان الى تل العياضية . بعساكره واثقاله بالكلية . بالعزائم والصرائم الماضية المضية . الراضية المرضية . ولم يكن انتقاله دفعة واحدة . بل مهد له قاعدة . فان يوم الثلاثاء تاسع جمادى الاولى بلغه ان القوم قد عادوا العوادي . ورفعوا من ضلالتهم الهوادي . وضايقوا البلد اشد مضايقة . وعالقوه أجد معالقه . فامر الجاوش حتى نادى . وياكر الغدو بالعساكر وغادى . ووصل بالفارس والراجل الى الخروبة وقوى اليزك . والزم المقدمين والامراء بحفظ نوبهم الدرك . وقدم جماعة من الخيل لعل العدو اذا عاين قتلها خرج بالكثرة . وتورط في العثره . فلم يشغل بها بالا ولم يالفت اليها جنانا . بل تصرف على عناده ولم يصرف نحوها عنانا . واشتد على البلد زحفه . وامتد عسفه . فساق السلطان بالعساكر وهجم وترك العدو الحصار واحجم . فلما جاء الظهر رجع العدو الى مجنمه . والسلطان على قصد العدو الى مخيمه . ولما وصل الى تل الخروبة . ونزل في خيمة لطيفة لأجله مرضية . وصل من اليزك من اخبره ان العدو لما علم انه قد انصرف . عاد الى اشد ما كان فيه وزحف . وانه قد اربع وارعب . وأرهق وأرهف . والهى والهدف . وأرهب وأرهج . وأعجز وأزعج . وثار وأثار . والحم الملحمة بناره وأنار . فبعث السلطان هذا الخبر على ان بعث الى العساكر بالمخيم فأعادها . واستنهض الى الفريسة أسداها . واجرى في حلبة الحمية جياها . ودعاها الى طعن يبرح بالذوايل . وضرب يرنج اعطاف المناصل . وامرها من الحرب بأمرها . وأدارها من مري اخلاف الدم بأدرها . ثم سار اخر ليلة الاربعاء عاشر جمادى الاولى

الى تل العياضية قبالة العدو . وضرب خيمته باعلاه ظاهر العلو .
والعدو بالحصر والزحف مصر مضر . وعلى عنائه وعنايه مستمر .
والسلطان في كل يوم يصابح القوم بالقتال ويماسيهم . ويرواحهم
ويغاديهم . ويفاتحهم ويبادلهم . بضرب كما اشترطته حدود الطبا .
وطعن كما اقترحته كهوب القنا . وقتك كما تمنته المنية . ورمي كما
حنت اليه الحنيه . هذا ومجانيق الكفر على الفي مقيمه . وللرمي
مديمه . وبالاحجار متقاطره . وعلى الاقطار حاجزة . والجلاميد
قارعه . والصخور بالصخور قالعه . وتمكن الفرنج بها من الخندق .
فدذوا منه نذو المحنق . وشرعوا في هجمه . واسرعوا الى طمه .
وداموا يرمون فيه جثث الاموات ، وجيف الخنازير والدواب
النافقات . حتى صاروا يلقون فيه قتلاهم . ويحملون اليه موتاهم .
واصحابنا في مقابلتهم ومقاتلتهم قدامتسموا فريقين . وافترقوا
قسمين ففريق يلقي من الخندق مالقي فيه . وفريق يقارع العدو
ويلاقيه .

ذكر وصول ملك الانكثير

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور . اشاع اشياح الكفر سر
السرور وعقدوا حبا الحبور . ووصل ملك الانكثير . واطهروا انه في
الجمع الكثير والجم الغفير . وكانت معه من الشواني خمس
وعشرون قطعة . كل واحدة منها تضاهي تلعة وتوازي قلعه .
وأحدث في القلوب روعة . وأرث في النفوس لوعة . ولعت لنا من
خيامهم تلك الليلة نيران زائدة . وأنفاس للإشراة متصاعدة .
والسنة للإشعل نضاضه . وأشعة على الجو مفاضه . فكانما أوردت
الجحيم لقدم وارد نارها نارها . وأوصلت لوصول اولئك الشرار
شرارها . وأوردت لهم أوارها . وشاهدنا تلك البسيطة قد بسطت
على أهل الدياجير الاضواء وهتكت عنها لهتك ستر الظلام ضلالهم
الظلماء . فعرفنا كثرتهم بكثرة نيرانهم . ولما كادوا من أهل النار

ببرهانهم . واتتهم باتيانهم . وأضافتهم في مكانهم . وملك الملك
بامرهم أمرهم . وأراهم أن بيده نفعهم وضرهم . وملاً عين الملاعين .
وأطال لتطاولهم أشطان الشياطين . وحفر للمكايد أبارا . وأثر في
المكر آثارا . وأرث للشر نارا . وأنار لنصرة النصرانية ثارا .
وتحدث الناس بحادثه وحديثه . وبما تأثرت القلوب به من تأثيره
وتاريخه (٥١) . وارتابوا وارتاعوا . والتاحوا والتاعوا . وغدت
الأسنة ترجف والقلوب تجف . وكاد الباسل يجبن . والباطل
يخشن . والحق يلين . والدين يبين والسلطان قوي الجنان . روي
الايمان . صاف يقينه . واف بينه . شاف نصحه . كاف نجحه .
مذبت جيشه بثبات جأشه . عامل لمعاه . ونصر الحق في معاشه .
متأن في تفكره ، متأت في تدبره . متوكل على ربه في نصره بينه .
متوسل اليه في تأييده وتمكينه . لاتروعه المخافات ولا تخيفه
الرائعات . ولا تززع الخطوب طود وقاره . ولا تقض الذوائب خيم
نماره . ولا يلين للشدائد . ولا يستكين للروائع الرواعد . وكم سكن
الاسلام بحركاته . واخصبت الأيام ببركاته ونام الأنام ليقظانه ،
وأمنت مصر والشام بنهضاته . فما راعه ماعرا . وما درأ عزمه لما
درى . ولارد وجهه عما قصد . ولا صدف رأيه عما عليه اعتمد . بل
ازداد قوة بصيره . وازدان بسريرة لكشف اسرار الغيب مستتيرة .
وعمد إلى السماء فاستعار من أنجمها أسنة الذبل . ودلف في الارض
فوهب تربها للقسطل . وأعلم ملك الانكثير ان جمع كفره للتبتير .
وان نشاط سره للتفتير . وان أسنة اهل التوحيد مولعة من نحور
أهل الاشراك بهتك الستير . وركب في مراكب حلت المنايا الحبا في
كتائبها . لتحتمي اعناق العدا وطلاها وتتصل بقواطعها وقواضبها .
بخيل تأبى الضيم مثل إباطه . وفخر مثار الذقع يذوب عن لوائه .
ووجه كالمع البرق في ضيائه . وقلب كصدر العضب في مضائه . وأقام
السلطان على هذه الحالة . ساميا في مطالع الجلالة . لم ينض
سلاحه . ولم يخفض جناحه . ولم يركز رماحه . ولم يردع للروع
مراحه .

ذكر غرق البطسة

كان السلطان قد عمر في بيروت بطسه . وزادها من العدد والالات . وأودعها من كل نوع ميره ، وكلاها غلة ونخيرة . وأركب فيها زهاء سبعمائة رجل مقاتلة لعكا . من كل من طهر وتزكى . وشكره الاسلام إذا الكفر منه تشكى . فلما توسطت ثبج اللجة . وتورطت على نهج المحجة . صادفها ملك الانكثير . بحكم قضاء الله والتقدير . وأحذقت بها شوانيه . وعدتها عوابية . وقاتلتها نصف نهار . وهي لاتذعن لاقتسار . فاكبت من العدو مراكب . وجبت لها غوارب . وأحرقت وأغرقت . وهتكت وخرقت وفرقت وما فرقت ، وقتل من الفرنج خلق عليها . وما امتدت يد عدوانهم اليها . فلما يدست من سلامتها . وزلت عن اسدقامتها . وجالت على الاضطلام . قال مقدمها : علام نسلمها والموت بالعز خير لنا من الحياة بالذل . والشع بالدين أحب الينا من البذل . فنزل إلى البطسة فخرقها وماتع عنها حتى أغرقها . وسعد أهلها . وأفترقت وسيجتمع في دار النعيم شملها . ووصل الينا خبرها اليوم السادس عشر من جمادى الاولى . فقلنا الدهر يومان : نعمى وبؤسى . وما يزالان على ذلك حتى يزولا . وكانت هذه الواقعة أول حادثة للوهسن محدثة . وللهم مورثه . ولنار الاسى مؤرثة .

ذكر حريق الدبابة

وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة . قد أظهرت لها في الشر غائله . ولها أربع طباق . شدها على الارتباط باق . ولها من الاحكام باس ولباس . وهي خشب ورمصاص وحديد ونحاس . وقربوها الى أن بقيت بينها وبين البلد أذرع خمس . وفي طباقها سباع ضوار وذئاب طلاس . وبلي البلد منها بكل بلية . ورزى بكل رزية . وكانت هذه الدبابة على العجل . ليقرّبوا بتقريبها أسباب

الأجل . فباتت القلوب منها على الوجل . وكاد أصحابنا يطلبون الامان . وخضع كل ابي واستكان . فقارعوا عندها أشد قراع . وماصعوا أجد مصاع . وتوالت عليها من مساعير الرهط . قوارير النفط . وهي تضرب في حديد بارد . وتضرب عن كل شيطان مارد . وتذبو عن الاحراق وتذبو عن الاخفاق . حتى بدرت قارورة انقضت على شيطانها كالشهاب . فاخذت الدبابة وقلوبهم قبل جسمهم في الالتهاب . فعونناها بسورة (والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم وما غوى) فجاء من انقلاب القارورة قرار القلوب . ومن حر انفاسها برد النفوس . وكشف شعاعها ظلم الكروب . ونزعت بشاشتها عن الوجوه لبوس العبوس . وأنارت نارها لنا بكل نور . ولهم ببوار قوم بور . ودبت شعلها في أضلاع الدبابة وجنوبها . فاحرقها الله احراق أهلها بجنوبها . وكما أضاعت الافاق بنيرانها . اظلمت بدخانها . فجلت لنا بياض النصر في السواد . فكانه سواد الناظر أو سويداء الفؤاد . بل سواد المداد يأتي من أنواره بالامداد . فجلا حريق هذه الدبابة صداً قلوبنا المغتمة بالبطسة الفريقة . وأحمت نارها في حماية الحق حمية حماة الحقيقة . فانما احترقت الدبابة يوم وصول خبر غرق البطسة . فكان تشميتا لتلك العطسة .

ذكر وقعات في هذا الشهر

كانت العلامة بيننا وبين أصحابنا في عكا عند زحف العدو ق الكؤوس . حتى اذا سمعناه جينا في الزحف الى العدو بالنفائس والنفوس . ولما اصبحنا يوم السبت التاسع عشر من الشهر سمعنا من كوس البلد نعراته . ونظرنا من جانب العدو مثار غبراته . فعلمنا بزحفه . وعملنا في حثفه . وضرب الكوس السلطاني اصراخا لصراخ ذلك الكوس . فتمايلت أعطاف ذوي الحمية من حميا العزائم لامن حميا الكؤوس . وركب السلطان في كل مشمر للبرد . مضمر للجرد . فضفاض السرد . قضفاض كالاسد الورد . مشتاق الى الطرد . ملتاح من ماء الوريد الى الورد . من الترك والاكاديش

والعرب والكرد . يهوي الى الاقران هوي المصلتات الى الرقاب .
ويظماً الى إرواء الاسل الظماء فيطيل صدى الخيل العراب . وكل
ثمل كأنه نزيّف الحميا . يعيد السماء من الارض بركضه شاحبة
المحيا . وكل ضرب تكاد تفيض مضارب نصله من خفة الطرب لولا
وقاره . وكل طلاع مع الذوب لاينام ناره . ولايثبت في الجفن غراره .
وكل منصلت ينير في ظلام العجاج بنجوم الاسنة . وكل مطرد يعيم
السوايح السوابق في بحور الأعنه . وكل رام فروج المازق حتى تفرى
بأيدي المذاكي . وكل شاك في السلاح مشكور في اشكاء الحق
الشاكي . وكل مصمم مصمم درعه غير محقبه . وسهامه غير
مجعبه . وسيوفه غير مقروبه . وقبايه لمداومة اجراء فيه غير
مضروبة . وسار السلطان وقد اسودت لوقع السنابك جوانب
جحفله . وأبيضت بلمع الترائك مذاهب قسطله . واشتبهت في الذقع
الوان خيله . وامتدت الى قرار اللقاء أعناق سيله . فكانما غارت
الشمس من شمس شمس فتوارت بالحجاب . وعد الذقع في وبل
الذبل من حساب السحاب . وولجت العساكر عليهم في خيامهم .
وحملت ليالي القتام إلى أيامهم . وغلت الصدور بما فيها . حتى
وصلوا الى القدر على ائافياها . وهتكوا وفتكوا . وادركوا
وسفكوا . فتراجع الفرنج واصطفوا على خنادقهم . ووقفوا
بقنطارياتهم وطوارقهم . واجتمع عسكرنا لعلمهم يحتمون ويحملون .
ويعلون من دمائهم وينهلون . وبخل الظهر وحمي الحر . فافترق
الفريقان . وتراجع الى خيامهم الجمعان .

وقعة اخرى

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر . ضايق أهل الكفر
البلد على الحصر . وكانت الوقعة بالوقعة السابقة شبيهة . وكانت
من أشدها واجدها كريهة . غير انه في هذه الذوبة عرضت نبوة .
وكانت تتم كنبوة . فان الفرنج لما تراجعوا عن البلد وجدوا فئة من

عسكرنا داخل خنادقهم . فحملوا عليها بسباق رجلهم وراكبي
سوابقهم . فانتشب الحرب . واستجر الطعن والضرب . وكثرت
الجراحات . وكثرت الاجترافات . واستشهد ممن عرف ممن
المسلمين اثنان تسلمهما رضوان الى الجنان . وقتل من المشركين
جماعة اسرع بهم مالك الى النيران .

ومن عجائب هذه الواقعة . أن رجلا من مازندران من اهل
الرفعة . وصل في تلك الساعة وافدا . واستأن وقت السلام على
السلطان ان يقدم مجاهدا . فحين شهد الواقعة استشهد . فلقى الله
بعهده كما عهد .

وقعة أخرى

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر خرج العدو فارسا
وراجلا . ورامحا ونابلا . وامتدوا من جانب البحر أطالبا .
وتحزبوا في ذلك الفضاء أحزابا . وركب السلطان من مجالس
عادته . الى مجال سعادته . موقنا ان اداء عبادته . في إبرة العدو
وإبادته . وتقدمت المقدمة وأقدمت . وجحمت نار اقدامها وما
احجمت . وما زالت نجوم النصول تذقض . وخذوم النصور تذفض .
وعيون العيون ترفض . وبيون النحول وحقوق الحقود تفتضي وابتكار
الدروع بحدود الذكور تفتض . في شعواء خضرها الثياب الغائب ،
ونكباء لها من الذوابل ذوائب . وبحر تسبح فيه السوايح . وشرب
بكاس المنية منها الهج غوابق صوايح . وغبراء اسود نبالها تتواش
عن عقارب القسي . وتعالب لهاذم صعادها تتلاعب في أرقام
السمهري . وذباب ظباها تطن في مسامع الذئاب وعقبان راياتها
تحلق إلى مطالع السحاب ، وغدران سوابقها تفيض عليها جداول
القواضب . وغران سوابقها تفيض في غطامط الغياهب . وارواح
اغماها البارية عن الاجسام بريه . وقلوب اسادها الضارية على

الردى جريه . حتى نخل على ليل الذقع الليل . وجرى من نيمة الدم السيل . والتفت لما التفت بالخيال الخيل . وأفرج المازق عن قتلى جرى عليها من السواني النيل . واستشهن: من المسلمين بدوي وكردى . ولكم وقع من المشركين رديء . له في الهاوية هوي . وعليها من زفير جهنم دوي . وأسر من العدو فارس بفرسه . ولامته وقودسه (٥٢) . وتفرق الأفريقان عن المعترك عند معتكر الدجى . وقد عم من الشجب ماشجا .

وقعة اخرى

واصبح العدو يوم الاحد التاسع والعشرين . وقد أخرج من جانب النهر راجلا في عدد رمل يبرين . بقواطع يبرين . وقواضب يفرين . وطوال غروب في الطلى يغربن وبالردى يغرين . وانتشروا ممتدين وامتدوا منتشرين . فلقههم اليزك بكل من يزكيه عند شهوده مضاء كالقضاء . ويوافقه القضاء في المضاء . وكل معتقل للريني اخف الى الوغى من سنانه . وكل مشتعل للمشري خضيب الغرار ريانه . وكل ملتئم بعثير حصانه . معتق لعطف مرانه . وكل صبح كالصباح نضارة وجهه في شحوبه مدفونة . وكل قارح على قارح شرارة عزمه في سكونه مكنونة . وامتد راجلنا امامهم . وأثبتوا اقدامهم . وطال القتال وطارت النبال . وحاضت الذكور . وفاض التامور (٥٣) وأعمى العثيرة وعم العثور . واسروا منا واحدا فاحرقوه فصحب نوره بين يديه الى دار القرار . وأسروا منهم واحدا فاحرقناه فشببت به تلك النار إلى النار . وشاهدنا النارين في حالة واحدة تشتعلان . والصفان واقفان يقتتلان .

وفي يوم السبت الماضي هرب خادمان زكرا أنهما لأخت ملك الانكثير وانهما كانا يكتمان ايمانهما في سر الضمير . وأخبرا انها زوجة صاحب صدقية فلما هلك . صادقت في الاجتياز بها أخاها هذا الملك ، فالزمها بان تتبعه واستصحابها معه . وقدراما النجاة من ذلك

الفاجرة نجاة الآخرة ، فإكرم السلطان وفادتهما . وأجزل بالاحسان افادتهما .

ذكر المرقيس ومفارقته القوم ووصف السبب في ذلك

وفي الاثني عشر شهر ذكر عن المرقيس أنه هرب الى صور . وأنه كشف للجماعة المستور . وندفوا وراءه قسوسا . والقوا عليه من الضلالة في الاستمالة دروسا . فبنا قبوله . وانقطع وصوله . وكان سبب نفاذه . وموجب استشهاده . ان هذفري كانت زوجته ابنة الملك الذي هلك والقدس في يده . وعادتهم أنه اذا مات ملك ينتقل ملكه الى ولده . وسواء في هذا الميراث . بين الذكور والاناث . فيكون الملك بعد الابن اذا لم يخلف ابنا للكبرى . فاذا توفيت عن غير عقب كان للصغرى . وكان الملك العتيق كي اخذ الملك بسبب زوجته الملكة فعزلوه عن الملك لما احتوت عليها يد الهلكة . وبقيت هذه زوجة هذفري . فاصبح المرقيس عليه يجتري . ويقول لست من اهل الملك لتكون الملكة لك زوجة . ولا بد لي من تقويم هذا الامر حتى لا أبقي فيه عوجه . وغصبها منه وصرفها عنه واتخذها له عروسا . وأحضر لنكاحها قسوسا . وقيل انها كانت حبلى ولم تخرج من حباله الحبل . فما شغلتهم حرمة الرحم المشتغل . وادعى المرقيس ان الملك انتقل بها اليه . وأن أمر الفرنج بشرعهم في يديه . فلما جاء ملك الانكتير تظلم اليه هذفري والملك العتيق فاندفع بذلك له إلى مؤاخذه المرقيس الطريق . فاستشعر المرقيس منه وما قر . وأخذ معه الملكة وفر .

ذكر من وصل في هذا التاريخ من العساكر الاسلامية

وفي يوم الاثني عشر جمادى الاولى قدم عسكر سنجان . وقد سد بسواد عيده النهار . وأفاض ببياض حديده الانوار . ومقدمه

مجاهد الدين يرزقش الشهم الشديد . والسهم السيد . والالعي اللوذعي . والكميش الكمي . والنقاب الذقي . والعف الذقي . وهو ذو همة في الغزو عالية . وعزيمة بالمضاء المضي حالية . وقيمة في سوم السلطان لقربه غالية . وسريرة خالصة صافية من الكدر خالية . وأكرمه السلطان في استقباله بنفسه واقباله عليه بأنسه . وسار بعسكره الى ان وقف تجاه العدو من جانب البحر ممايلي النيب . وقد احسن في عرضه التدبير والترتيب . ثم عاد في خدمة السلطان مكرما الى جنبه . مقدما على صحبه . فأنزله في خيمته وخصه بمواكلته . وتقدم اليه بالنزول في ميسرته . وفي يوم الاربعاء ثاني جمادى الاخرة . وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة . بالعدة الوافرة والقوة الظاهرة . مثل علم اللين كرجي . الذي يسرع الى لقاء اقرانه ولايرجي . وكسيف اللين سنقر الدوري دي الزند الوري والسيف الروي وأمثالهما من المماليك الناصرية . والمساعير الاسدية . أسد العرين . الشم العرائن . الفر الميامين . وفي عصر هذا اليوم وصل علاء الدين ابن صاحب الموصل الى الخروبة ونزل بها . ليصل بكرة الى المعسكر بالعساكر في أحسن أهبها . فركب السلطان اليه ولقيه وعاد . وكمل لكرامته وضيافته الاستعداد . وأصبح يوم الخميس في خميسه . سائرا بأساده في عريسه . مقبلا بكل فارس من جيشه فارس من خيسه . في غلب كانهم اجادل والجياد مراقبها . وخيل كانها الظلماء والتراذك كواكبها . ونقع كانه الاتي والمقربات قواربه . ومجر تصادم مناكب الاكام مناكبه . وتملا الوهاد طوالعه وغواربه . عاريات غروبه . عاليات غواربه . ثقال مذاكيه باعباء عواليه . كانما نهضت لاذكاء نار الهياج حواطبه . وعبرت علينا كتائبه وأعربت عن مناقبه مقانبه . وتلقاه من اولاد السلطان الملك المعز فتح اللين اسحق . وهو من جملتهم البحر بل الغيداق . والملك المؤيد نجم الدين مسعود ، وهو كاسمه مسعود مجدود ، وتلقاه الامراء والعظماء والخواص والاولياء . وساق على تعبيته . واجابته دعوة الاسلام وتلبيته الى جانب البحر . ليرعب اهل الكفر . وعرض وتعرض وعلم العدو بانه اليه نهض واستنهض ، ولما انفصل السلطان أخذه معه الى خيمته

واحضر له اسباب تكرمته . وأنسة بانبساطه . ونظمه مع اصحابه في سمط سماطه . واجلسه الى جنبه . وعقد له حباچه . وخصه بخلع وثياب . وحصن عراب . ومايليق به من كل باب . وانصرف عنه ونزل علي ميمنته . نزوله عام اول في منزلته . وفي يوم الجمعة رابع جمادى الاخرة وردت من مصر كتيبة ثانية ، صارفة اعنة خيلها الى الجهاد ثانية . ساطية على الكفر بباسها جانية . وقد علمت الوقائع انها لثمراتها اليانعة من ورق الحديد الاخضر جانية ، فما نزلت حتى عرضت على العدو مقانبها . وابرزت لعينه قناها وقواضبها . وارنت برسل المنية اليه قسيها . ثم جاءت والقيت بمضاربها عصيها . وكانت العساكر تتوارد . والجموع تتوافد

ذكر ضعف البلد

والفرنج قد ضايقوا البلد مضايقة آيست منه . واسلت القلوب عنه . والمجانيق قد رمت شرافته . وسمت اليها بأفاته . واعادت ج-----وانبه مه-----دومة . ونواجهه مهتومة . وانحطت بمقدار قامه ، فلم يتمكن احد من عليه من اقامه . وضعف البلد والجلد . وخلا بالهم عليه الخلد ، وقد حفظ القوم من جانبنا خنادقهم . ووكالوا بها فيالقهم . ونحن لا نألوا في الجهاد جهدا ولانترك جدا . ولا نجد من مضايقهم بكل نوع بدا . وجاء الخبر ان ملك الانكثير قد اشفى من المرض . واشرف من المضض ، حتى حلق رأسه وحلق لحيته . واستلقى لانتظار منيته ، فتثبط الفرنج وتثبتوا . وسكنوا وسكتوا ، الى ان يركب فيركبوا ويثب فيثبوا ، وكان في هذه الفترة للبلد بقاء رمق ، وزوال فرق ، وانتعاش عثرة وانجبار كسره ، وانطفاء جمره ، وانسداد ثغره .

فصل من كتاب الى صاحب الموصل

في شكر وصول ولده ووصف الحال في ضعف البلد

قدم علاء الدين دام علاؤه في مقدمي الجنود الانجاد ، ووقف
اجتهاده على موقف الجهاد ، وما أكرمه قائما في المقام الكريم .
وعظيما خاطيا دفاع الخطب العظيم . ووصل فوصل جناح النجاح .
وانشر الصدور بما صدر به لها من نشر الانشراح . وجاء والكريمة
ناهبة بالارواح . والحرب ساقية طلاء الطلي في صحاف الصفاح .
وشارك في الجهاد وشد الأزر . وسدد الامر وأزر وعضد . وظاهر
واسعد . ولاخفاء عن العلم بحال الفرنج في هذه السنة واجتماع
ملوكهم وكذودهم . وتوافد امداد حشودهم . وقد استشرى شرهم .
واستصرى ضرهم . واعضل خطبهم واستفحل امرهم . واشتغلوا
منذ وصلوا بنصب منجنيقات . وتركيب الآت ودبابات ، وزحفوا الى
بلد عكا بجمعهم . ووقدوا بجمرهم . واخذوا فيه نقوبا . وحكموا في
الاسوار من الاسواء بضرب المجانيق ضروبا . والثغر الآن قد
اشرف . والعدو بخندقه محتجز . وفرصة الغفلة عنه منتهز . ومن
جثوم الموت عليه في مجثمه محتزر . ولم يبق الا ان يتدارك الله الثغر
بلطفه . ويجريه على المعروف من عانة نصره وعرفه . والمجاهدون
فيه قد هانت عليهم المهج . ووضع لم في ثبات جنانهم المنهج . وفي كل
يوم يسدون بأشلاء الهاجمين الذلم . ويجلون عنهم بما يشبون من
نيران الظبا الظلم . والعدو قد لج . والحديد من قرع الحديد قد
ضج . والبلد مشف . والبلاء عليه موف . والمأمول من الله ان يأتي
من نصره بما ليس في الحساب وان يعيد ما جمع من امر الأصحاب
الى الأصحاب . ويكفي هذه النوبة الصعبة فهو وكافي النوب
الصعاب .

فصل في وصف عسكـر عماد الدين

وصلت العساكر التي وقت بعدتها المناجده . ووافت بعدتها المنى
جده . واقبلت اقبال الآساد في عرين الوشيح . وماجت موج البحار في
غير الزغف النسيح . واستهلت استهلال الرواعد البوارق . وألت
بالعدا المام العوادي الطوارق . ولقد جاءت في وقتها منجدة من
جده . موجدة للانتقام من الكفر بكل موجه . واستظهر الاسلام
بظهورها . وسفرت وجوه النصر بسفورها . فأحجم الكفر
باقدامها . وانتظمت احداق المشركين في عقود سهامها . وخيمت
مضارب المضاء بمضارب خيامها . وفض بالفضاء ختام قتاماها .
وما اشكر الدين والاسلام لعزائم عماده وغيائه . وابعث امداد الظفر
لاهتزاز نصل نصره وانبعائه .

فصل في الاستنفار

قد عرف ان العدو قد احتشد بجميع ملوكه . وغصت مسالكة
وطرق بطوارق سلوكه . وهو حديد الشوكه . شديد الشكه . قد لج في
حصر الثغر ونصب الآته . وركب عليه منجنيقاته . ووالى الضروب
من الضرب . واخذ منه مواضع في الذقب . وقد اشفى على خطر
عظيم . وخطب جسيم . واذا لم يصل في هذا الوقت فمتى . ومن اتى
في غير الوقت المحتاج اليه فما أتى . وهذا اوان رفض التواني .
ونهووض المسلمين من الأقاھي والأداني . والوصول بكل ما يقدر
عليه من العسكـر . والظهور لمظاهرة المسلمين بالعزم الأظهر والجد
الأوفر . وهذا يوم الحاجة وأوان الضروره . والنهوض بعسكـره الى
نصرة عساكرنا المنصورة . فلا يجنح الى عذر فلا عذار اوقات ، ولا
يلتفت الى غير هذا المهم الذي ليس للمسلمين الى سواه التفات .
وكيف يتأخر عن هذا الموقف الكريم وهو كريم . ويتقاعد عن هذا
المقام العظيم وهو عظيم .

ذكر خروج رسل الافرنج

كان قد خرج مذايام رسول ، وسأل ان يكون له الى السلطان وصول . فاجتمع والملكان العادل والافضل . وقالوا له لا يمكن لقاء السلطان لكل من يرسل . وما كل مقصود عنيه يعرض . ليعلم في الأول هل هو مما يقبل او عنه يعرض . فأعلمهما الحال . وعرفهما ما سبب الارسال . فأحضراه بالنادي السلطاني فمثل بين يديه . وأوصل تحية ملك الانكتير اليه . وقال هو يؤثر بك الاجتماع . ولخطابك الاستماع . فان اعطيته امانا حرج اليك . وأورد مقصوده عليك . أو شئت كان الاجتماع به في المرج ، خاليتين من مقتضيات المرج . وكلاكما عن عسكره منفردين . ولحديثه في الخلو مورد . فأجابه السلطان وقال لو اجتمعنا فهو لا يفهم بلساني وانا لا افهم بلسانه . ونحيل بالبيان على ترجماني وترجماته . فيكون ذلك الترجمان رسولا . فلعله يرد برسول ويصدر رسولا . فلما لح في الطلب . وألح في الأرب ، استقر ان يكون الحديث مع الملك العادل . وان تنجح من عنده وسائل الرسائل . وبخل وقد أخذ امانا . وانقطع بعد ذلك زمانا فشق عندنا ان ملوكهم منعه . ومن ركوب الخطر فزعوه . فأنفذ ملك الانكتير رسوله بعد ايام . يذكر ما شاع من تأمر للفرنج عليه واحكام . وقال الامور مفوضة الي . وانا احكم ولا يحكم علي ، وانما تأخرت بسبب مرض عرض . فأفانني الغرض . ثم قال الرسول من عادات الملوك المهاده . وإن دامت بينهم الحرب والمعاده . وعند الملك ما يصلح للسلطان فهل تأذنون في حمله وقبوله . وأخذ من يد رسوله . فقال الملك العادل نقبل الهبة بشرط المجازاة . واستدامة المكافأة للموازاة . فقال عندنا بزة وجوارح . قد لقيتها في سفر البحر جوائح . وقد ضعفتم فهي طلائع رواح ، ونريد طيرا ووجاجا (٥٤) تصلح لطعمها . فاذا استوت حملناها للهبة على رسمها . فقال العادل لا شك ان الملك مريض وقد احتاج الى دجاج وفراريج ، ونحن نحمل له منها كل مااليه احتيج . فلا تجعل حاجة طعم البزة في طلبها حجة . واسلك غير

هذه المحجة محجة . وانفصل حديث الرسالة على قول الرسول هل لكم حديث . فقلنا انتم طالبونا لا نحن طلبناكم وما لنا معكم حديث قديم ولا حديث . ثم انقطع حديث الرسالة الى يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة فخرج من عند الملك في الرسالة مقدم . ومعه اسير مغربي مسلم . واحضره على سبيل الهدية واوصل الى السلطان ماحمل من التحية . فشرفه بخلعته . واعتد له بهديته . ثم خرج يوم الخميس تاسع الشهر رسل ثلاثة . وما كانت رسالتهم تسافر عن مقصود بل فيها رثاثة وغثاثة . وهؤلاء طلبوا للملك فاكهة وتلجا . ولم يسلكوا في غير الحاجة نهجا . فاكرمهم السلطان بما سألوا . ووفر لهم منه فحملوا . وسألوا ان يتفرجوا في الاسواق . ففسح لهم فيه على الاطلاق .

ذكر ضعف الثغر من قوة الحصر

وكان غرض الافرنج من تكرير الرسائل تفتير العزمات وهم مشتغلون بموالات الرمي بالمنجنيقات وتسوية المنصوبات وتعبية الالات . وتعديل العرادات وتثقيل الحجارات . حتى تحلحل السور وحان انهدامه . وتخلخل وبان انثلامه . وتزعزت اركانه . وتضعفت ابدانه . وكاد يهي ليهوى . ولايقي ولايقوى . كي يثوى . واهل المنينة قد كثر تعبهم لكثرة النوب ولقلة العدد والحجر هاتك . والسهر ناهك . والعمل دائم . والخلل لازم . والقلوب قلقه . والظنون مخفقه . والمتاعب شاقه . والمشاق متعبه . والاحوال متصعبه . والاهوال مرهبه . وكانت في البلد المنجنيقات تنصب . وتفيض بها قوى الرجال وتنصب . فلما اشدت الزحف . وزاد الضعف . احتاجوا الى رجال المنجنيق للمقاتلة . والتناوب على المنازله . وهناك ظهر ان العدد لا يقي ولايفي . وان القليل لا يكف ولايكفي . وان خروج من كان في البلد لاجل دخول البدل لم يكن صوابا . وان تقصير النواب ابتداء في الاعطاء جلب في الانتهاء

اعطابا . ولما علم السلطان سابع جمادى الاخرة يوم الثلاثاء . بما عليه البلد من غلبة البلاء . زحف بعسكره ولج حتى ولج خنادقهم . وطرق اليهم بوائقهم . ونهب من خيامهم ما تطرف . واسرف في ارهاقهم بما اشرف . وحمل الملك العادل بنفسه مرارا . واجرى من الدم انهارا . واراهم بالنقع النهار ليلا وبالبيض الليل نهارا . وامسى السلطان تلك الليلة ساهدا لم يذوق طعاما . ولم يستطب مناما . ثم امر بدق الكوس سحرا حتى عادت العساكر الى الركوب والقساور الى الوثوب والفوارس الى الفرس والانداب الى الندوب . واعادت الى الطلوع غروبها بعد الغروب . بكل من يلقي الجيوش على الجيوش . ويرمي الوحوش على الوحوش . ويرعف الصدور بصدور الرواعف . ويشير بالامن عن مواقف المخاوف . وكل من للضرب في جبينه شامة . وللعن في جبينه علامة . على خيل كامثال القنا تحمل القنا . وضمير كالحنايا تهوي هوى السهام إلى الوغى :
في غداة صباحها في حداد
نسجتها ايدي المطهمة القب

وظلام يجلوه بريق اليمانية القضب . فجرى ذلك اليوم من القتال أشد مما كان امس . واتصل من طلوع الفجر الى غروب الشمس . وفي هذا اليوم وصلت من البلد مطالعة مضمونها ان العجز بلغ بهم الى غايته . وانتهى الضعف بهم الى نهايته . ولم يبق الا تسليم البلد إن لم تعملوا شيئا . ولم تنجحوا في الذب عنه سعيًا . فضقنا بهذا الكتاب ذرعا . وقلنا لاحول ولا قوة الا بالله لانملك لانفسنا ضرا ولا نذفعا . والسلطان من هذا في امر عظيم . وهم مقعد مقيم . وهو مجتهد في بذل وسعه . سائل من الله لطف صنعه . معاود الى الحرب في كل صباح . طائر الى اللقاء بجناح كل نجاح . وفي يوم الاربعاء . بعث العساكر على اللقاء . وبخل راجلنا الى خنادقهم وخالطوهم . وتقابضوا على بسيطة واحدة وباسطوهم . وذكر انه وقف في ثغرة من تلك الثغرة افرنجي . كأنه جنى مستشيط نجى . وهو يدافع ويمانع . ويكافح على تلك الثغرة ويقارع . قد اتخذ طارقته لجسمه صدفا . وصار لسهام المنية هدفا . وهو كأنه مما نشب فيه النشاب

القنفذ . وتلك السهام من لبس الحديد لاتنفذ فلم يزل واقفا الى ان احرقه بقارورة النفط زراق . فأمسى وهو حراق . ووقفت ايضا امرأة بقوس من الخشب ترمي . وتديم اصمائها وتدمي . فلم تزل تقاتل حتى قتلت . والى سقر انتقلت .

ذكر خروج سيف الدين علي المشطوب الى ملك الافرنسييس

ولما تمكن الفرنج وتكاثروا على عكا من جانب . وعروه بكل نائب . ومل اصحابنا فيها لكثرة من استشهد وجرح . وقلة البديل الذي كان قد اقترح . ونقب العدو الباشورة حتى وقعت منها بئنه . وزادت المخافة فلم يبق معها امنه . خرج المشطوب الى ملك الافرنسييس بامان . وحضر عنده بترجمان . وقال له قد علمتم ماعاملناكم به عند اخذ بلادكم . من النزول عند طلب اهلها الامان على مرادكم وانا كنا نؤمنهم . ومن المسير الى ماؤمنهم نمكنهم . ونحن نسلم اليك البلد على ان تعطينا الامان ونسلم . واذا فعلت هذا فقد حزت المغنم . فقال ان اولئك الملوك كانوا عبيدي . وانتم اليوم مما ليكي وعبيدي . فأرى فيكم رأيي من وعدي ووعيدي ، فقام المشطوب من عنده مغتاظا ولم يلبث لحظه ، وأغظ له في القول عملا بقول الله تعالى (وليجدوا فيكم غلظه) (التوبه ١٢٣) . وقال نحن لا نسلم البلد حتى نقتل بأجمعنا ، فيكون مصرعكم قبل مصرعنا ، ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين . ومتى عرف ان الأسد يسلم العرين .

ذكر هرب جماعة من الأمراء والأجناد من البلد

ولما عرف رجوع المشطوب . ولم يظفر بالغرض المطلوب . قال جماعة من الأمراء قد تضجروا بما هم فيه من التعب والعناء ، هذا

الأمير الكبير ، والمستشار والمشير ، قد اشتغل باله . فسواه ماباله . وعمرؤا بركوسا . ورأوا في هربهم رأيا منكوسا وربحا في دار البقاء مبخوسا . وذلك ليلة الخميس التاسع . وقربوا عليهم الأمر الشاسع . وجاؤوا الى العسكر مختفين . ومن رفائهم في نسب الوفاء . والوفاق منتفين . فذمى الى السلطان الخبر بهرب الجماعة . وانهم خرجوا لله وله عن الطاعة . وانهم جبنوا عن بذل الاستطاعة . وخفضوا عنهم صيت الشجاعة . وأبدلوا الاضاعة بالظلمة والحفظ بالاضاعة . وكان فيهم من الأمراء المعروفين . وذوي الشهامة الموصوفين . عز الدين ارسل . وهو الذي كان المثل بشهامته يرسل . وحسام الدين تمرتاش بن جاولي . وهو شاب أول ما توفي والده وجاولي . وسنقر الوشاقى من الأسدية الأكابر . ومقدمي العساكر . وكل منهم محظوظ بالاقطاع الوافره فقطع السلطان اقطاعاتهم واقطعها وحبس عنهم عند الرضا بعد مدة مديدة بشاشة وجهه ومنعها . واستعاذ أرسل بالأسدية ثم بالملك الأفضل . الأفضل المؤمل . وتوسل ابن جاولي بالملك العادل . وكلهم توسل بفضل الأجل الفاضل فلم تعبد معيشتهم . ولم تعذب عيشتهم . وعاليا ممقوتين . وبحدود ألسن الذم منحوتين . وبضعف القلب وقوة الخور منعوتين . وكان من جملة الهاربين عبد القاهر الحلبي نقيب الجاندارية الناصرية ومقدمها . فشفع فيه على انه يضمن على نفسه العوبة ويتلزمها . فعاد في ليلته . واسقط عنه المذمة بأوبته . ووقع بعد ذلك في الأسار . واستفكه السلطان بعد سنة بثمانمئة دينار .

فصل من كتاب الى مظفر الدين صاحب اربل في المعنى ووصف الحال

قد سبقت مكاتبتنا اليه بشرح الأحوال ، وما نحن عليه من رجاء النصر الذي هو متعلق الآمال ، وأن ملوك الفرنج وجموعهم قد وصلوا ، ونازلوا الثغر واحتفلوا . والآن فان منجنيقاتهم . هدته

بكثرة الضرب . وكثرت ذلم السور في مواضع الذقب . وعظم الخطب . واشتدت الحرب واشفى البلد واشرف . واشتفى العدو بما فيه واسرف . ولما لج العدو في الزحف . واستسهل في التطرف الى البلد طريق الحتف . ركبنا في عسكرنا اليه . وهجمنا عليه لكنه بسوره وخندقه محتم . والى مطمحه البعيد من أمره مرتم . ولما عاين اصحابنا بالبلد ماعليه من الخطر . وانهم قد اشفوا على الفرر . فر من جماعة الأمرء من قل بالله وثوقه . وأعمى قلبه فجوره وفسوقه . ولقد خانوا المسلمين في ثغرهم . وباءوا بوبال غدرهم . وماقوى طمع العدو في البلد الا هربهم . وماأرهب قلوب الباقيين من مقاتلته الا رهبهم . والمقيمون من اصحابنا الكرام . قد استحلوا مر الحمام . واجمعوا أنهم لايسلمون حتى يقتلوا من الأعداء اضعاف أعدادهم . وأنهم يبذلون في صون ثغرهم غاية اجتهادهم . وكانوا قد تحدثوا مع الفرنج في التسليم فاشتطوا واشتروطوا ، فصبروا بعد ذلك وصابروا ومدوا ايديهم في القوم وبسطوا . فتارة يخرجونهم من الباشورة وتارة من النقب ، والله تعالى يسهل تذهيس ماهم فيه من الكروب . ونحن وان كنا للقوم مضايقين وبهم محققين وعلى جموعهم من الجنائب متفرقين ، فانهم يقاتلوننا من وراء جدار ، ويعلمون انهم ان خرجوا الينا في تبار ، والهجوم على جمعهم مستصعب ممتنع ، والعسكر على مركزهم متألف مجتمع ، والله قدر لايرد ، وقضاء لايصد ، وسر لايشارك في علمه ، وأمر لايفال في حكمه ، وعلى الله قصد السبيل ، ونجح التأميل وتدقيق الطاقة في دفع الخطب الجليل ، وماتوفيقنا الا بالله وعليه توكلنا وهو نعم الوكيل .

ذكر ماجري من الحال

وفي ذلك اليوم وهو الخميس زحف الخميس . وحمي الوطيس وتحرك بالضراغم الجيش واسود الجو . وانسد الضو ، وانقضت

القبض انقضاض الشهب . واشتبهت الدهم والكمث بالشقر والشهب ، واختضبت البيض وتألّق من بوارقها الوميض ورقصت قدود السر على غناء الصواهل . وحركت رياح السوابق نواذب الذوابل ، فللدروع من الضرب قعاقع ، ولعواصف الألوية زعازع ، ولغربان الرماح نعيب ، ولغران المقربيات لتقريب النصر البعيد تقريب ، ولحريق الظبا معمه ، ولرحى الحرب الزبون جعجة . واللاحقيات سابقة ولاحقة ، والسريجات راعدة وبارقة ، وشموس الترائك على بدور الأتراك شارقة ، ونبال النبل من عيون أعيان الكفر مارقة . وأيدي الأسنة هاتكة لحرز النحور سارقة . وثعالب الأسل في لبة الأسد ضابحة . ونشاوى اللدان من نجيع الأقران غابقة صابحة . في رايات يجاذبها ذراع الفلك فتقود عقبانها العقبان . وصدفاح يصفحها شعاع الشمع فيكسو لجينها العقيان . وتقدم السلطان الى الأمراء فترجلوا ونازلوا حين نزلوا . وهجموا على الضراغم في آجامها . واحوجوها بحد الأقدام الى احجامها . ونصب صارم اللين قايماز النجمي علمه على سور الفرنج بيده . ووقف عنده بجلاله . وجلده . ووصل في ذلك اليوم عز اللين جورديك ومعهم من النورية المماليك . فترجل وقاتل الليلة على الخيل تحت الحديد ، منتظرا لنجح الأمل البعيد فقد كنا تواعدنا مع أهل البلد أنهم يخرجون تحت الليل رجالة وعلى الخيل ، ويسرون بأجمعهم على جانب البحر سري السيل ، ويذبون عن انفسهم بسيوفهم ، وينجون بأنفسهم وعز انوفهم ، ولوصح هذا الموعد ، لنجح المقصد ، ولكن الفرنج اطلعوا على السر ، فاضطلعوا بالشر ، وحرسوا الجوانب والأبواب ، وارتابوا بما أراب ، وكان سبب علمهم اثنان من غلمان الهاربين ، خرجا الى الملاعين ، وأخبراهم بجلية الحال ، وعزيمة الرجال ، واصبح يوم العسكر الجمعة العاشر ، وقد جمع من الخيل والرجل المعاصر . واقفة على ترتيبه صفوفه . ومرهقة على عدوه اسننته وسيوفه . ودام ذلك اليوم على التعبية وقوفة . ولم يتحرك من القوم ساكن . ولم يظهر من العدو كامن . بل خرج ثلاثة من الرسل واجتمعوا بالملك العادل . فعادوا بعد ساعات ولم يفصلوا قسما من

أقسام الرسائل . وانقضى النهار والعسكر بالعدو المحيط بالبلد محيط . ولاذى مقامه بمقامه مميط . وبتنا على تلك الحالة . وأهل الهدى مرادون لأهل الضلالة . واصبحنا يوم السبت وقد ركبت الأفرنجية وتدرعت . وتحزبت وتجمعت . وحتى ظننا أنهم على عزم اللقاء . فهاجت العزائم منا الى الهيجاء . وخرج من بابهم اربعون فارسا ووقفوا واستوقفوا . واستدعوا ببعض المماليك الناصرية فلما عطف اليهم . عطفوا اليه وأخبروه . ان الخارج صاحب صيدا في اصحابه . وهو يستدعي نجيب الدين ابا محمد العدل لخطابه ، وهذا العدل من أمناء السلطان . وقد اذس الأفرنج به لترديه في الرسائل نحوهم في سالف الأزمان . فلما حضر أرسله الى السلطان . ليتحدث في خروج من بعدك بأنفسهم بحكم الأمان . وطلبوا في مقابلة ذلك ما لا يدخل تحت الامكان . وزادوا في الاشتطاط وتناهوا في الاشتراط . فانفذ السلطان الملكين العادل والأفضل . ليفصلا المجل . ويجملا انا حزا (٥٥) المفصل فتردد العدل مرارا . ووجد منهم على الاضرار اصرارا . ولم تتحرر قاعدة ولم تظهر فائنة . وانفصلوا على غير قرار . وعادوا والأمر بغير إمرار .

ذكر جماعة من العسكرية وصلوا

وفي يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر وصل سابق الدين صاحب شيزر ، وفي يوم الاربعاء بدر الدين أيوب بن كنان وقد حشد وحشر ، وفي يوم الخميس أسد الدين شيركوه وقد ابهج بقدمه العسكر ، وفي هذا التاريخ ضعف البلد . وعجز من فيه ضعفا لا يمكن تلافيه . ووقف كرام اصحابنا وسددوا الثغر بصدورهم . وباشروا الأسنة المشرعة اليهم بنحورهم . وشرعوا في بناء سور يقطع جانبا . حتى ينقلوا اليه اذا شاهدوا العدو غالبا ،

ذكر ماطلبه الفرنج في المصالحة على البلد

وكانوا اشتطروا اعادة جميع البلد . واطلاق اساراهم من الأقياد . فبذل لهم تسليم عكا بما فيها دون من فيها فلم يفعلوا . وبذل لهم في مقابلة كل شخص اسير . فلم يقبلوا وسمح لهم برد صليب الصليبوت اليهم فانفصلوا عن الأمر ولم يفصلوا .

ذكر استيلاء الفرنج على عكا وكيفية دخولها

وفي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة . ماجت الفرنج ببذور جموعها الزاخرة وسالت الى ثغر البلد سيل الآتي الى القرار . وطلعت في السور المهودوم . طلوع الأوعال في فرج الأوعار . وانحدر عليهم اصحابنا انحدار الصخور المدهدة ، وفرسوهم فرس الأساد المخرجة المكروهة . وردوهم اقبح رد ، وصدوهم افطع صد ، ومازالت الكرات تتناوب والحملات تتعاقب حتى كالت الرجال وقلت النصال وعرفوا ان الفرنج يستولون وعلى احد منهم لايبقون ، ولايخلون فخرج سيف الدين علي بن أحمد المشطوب وحسام الدين حسين بن باريك وأخذوا أمان الفرنج على أن يخرجوا بأموالهم وأنفسهم على تسليم البلد ومائتي الف دينار وألف دينار للمركيس وأربعة آلاف دينار لحجابه فلم نشعر الا بالرايات الفرنجية على عكا مركوزه ، وأعطاف أعلامهم مهزوزة ، وماعدنا علم بما جرت عليه الحال وماأحد منا الا والبال منه قد عراه الوبال ، وعم البلاء ، وتم القضاء وعز العزاء وقنط الرجاء ، ولوت أعناق المسار اللأواء ، ونسب السلطان ذلك بعد قضاء الله وقدره الى ذقي الدين وماعن له في سفره ، فانه مضى على أن يعود بأضعاف عسكره فاشتغل بقصد خلاط وأثار في بيار بكر الاختباط ، والاختلال وتأخرت عساكرها عن القدوم فنتج تأخر نصف العساكر فوات الغرض المروم ، وكذلك لم يكن في البلد عدد

يفي بصونه ، وما كان يضبطه السلطان الى هذه الغاية لو لم يكن
الله في عونه ، ونقل الذقل تلك الليلة الى منزله الأول بشـفر
عم ، وأقام بخيمة لطيفة متلها على ماتم ، ثم انتقل سحرة ليلة
الأحد تاسع عشر الشهر الى المخيم ، صابرا على حكم القضاء
المبرم ، وحضرنا عنده وهو مفتـم ، وبالتدبير للمستقبل
مهتم ، فعزينا وسلينا ، وقلنا هذه بلدة مما فتحه الله وقد
استعادها عداه ، وقلت له ان زهبت مدينة فما ذهب
الدين ، ولا ضعف في نصر الله اليقين ، وما وكت بعكا القلوب ، الا
ولكر بها يوم النصر على الأعداء تنفيس ، ولو حشتها بعد الحادثة
الموحشة تأنيس ، ولهذا الدين وان تداعت قواعد بقعة من بقاعة
بالعز ليفاعه تأسيس ، وخرج في هذا اليوم أقوش ، رسولا ندبه
بهاء الدين قرا قوش يخبر ما قرروه من القطيعة ، ويصف كيفية الملامة
الفظيعة ، وقال : ادركونا بنصف المال وجميع الأسارى وصليب
الصلبوت قبل خروج الشهر ، وان تأخر شيء من ذلك يقينا تحت
الأسر ، ونصف المال يصبرون به الى شهر آخر ، فأحضر السلطان
الأكابر وفاوضهم في ذلك وشاور ، فقالوا اخواننا المؤمنون ورفقاؤنا
المسلمون ، وهل لنا عذر ونحن لهم مسلمون ، فتقبل السلطان
بتحصيله وتعجيله بجملته وتفصيله .

وأنشأت في استيلاء الفرنج على عكا هذه الرسالة
وسيرت بها كتباً

قد عرف أمر عكا وأن العدو قصدها ورصدها ونزلها
ونازلها . وقابلها وقادتها وبرك عليها بكل كلة . وحفل عندها
بجدفلة . وتواصلت اليها جموعه أفواجا . وجلب البحر نحوها
على أثباجة أمثال أمواجه أمواجا . وجاءت رابضة أمامها . ضاربة
خيامها . ملهبة بها غرامها . ملهبة فيها ضرامها وانتهت المدة الى
عامين كل عام تحمل مدود البحر من أمداها بحارا . وبرد الماء

الرجوم مزينة . فاحدقت بالثغر من البر والبحر . واحساطت
بمركز الاسلام دائرة الكفر . وأطافت منها الأسوار بالأسوار .
والظلماء بالانوار . ومنعت الداخل والخارج . وسدت على ناقل
الميرة وحامل السلاح . الموالج والمناهج . وزاحفوه بكل منجيق
كنيق . وكل برج وثيق . وكل دبابة كأنها دابة الارض التي تقوم
عندها القيامة . وكل سلم لا ترجي معه العلامة . وكل آلة آلت إن
الفتح منها بالحدف . وأقسمت أنها تقسم سهام سهامها لذوي
الحدف بالزحف . هذا والعدو قد حفر من جانبنا وعمق . وسور
وخندق . وتدرع بأسواره وخنادقه . وتستر عن طوارق البلاء
بستائره وطوارقه . فلا يخرج منه إلى معاركه . ولا يدخل إليه لضيق
مسالكه . وهو متحر متحرس . متستر متتـرس . عاص على
الهجم . عاص على العجم . لا يقتحم سده . ولا يذئلم حده . ولم تنزل
الحالة تتمادى والواقعة وليدها لا ينادى . والمدى يتطاول . والمدد
يتواصل . والقضية تترامى . والرمية تتقاضى . ومقاتلة الثغر
صابرون مصابرون . مكابرون مضابرون (٥٦) . فمن مستشهد
عدله الجرح . ومن مستجد عطله القرح . ومن دام بالجرح رام
عنه . ومن نازع في القوس نازع منه ، ومن متعرض للموت خوف
عار عارض . ومن ناه عن السلم أمر بالحرب ناهض . ومن ندب
فيه ندوب . ومن ضرب فيه من أثر الضرب ضروب . حتى ضج
الحديد من قرع الحديد . ومجت الشفار الظامئة ورد الوريد . هذا
وعدد المقاتلة في كل يوم ينقص . وظل المصابرة يقلص . والعدم
يتمكن من الوجود . والقيام للانخان في زي القعود . وكاد البقاء
يودع الباقيين . والمذون تلاقى الملاقين . فلم يشعروا إلا وبعض
المقدمين المشهورين قد تاخر وتستر . واستشعر الذعر فتعذر
وتحذر . واستبدل الجبن من الشجاعة . واستملى العجز من
الاستطاعة . وقدم العصيان على الطاعة . وظن إنه لانجاح له في
العزيمة . ولا نجاه له إلا في الهزيمة . وجنب أمثاله من الجبناء .
وجمع إلى أمره جماعة من الأمراء . فخرج بهم من الثغر فارا ونهب
على وجهه معهم مارا . ورهب فهرب . وحسب فتحسب . فأضعف
قلوب البقية استشعارا . وأعدمهم عدم قراره قرارا . لكنهم ثابوا

إلى صبرهم . وثبتوا على أمرهم . ودفعوا مكر العدو بمكرهم . وما يرحوا على مصابرة ومكابرة . ومقارعة ومعاقرة . ومكافحة وملافحة . ومواقعة ومواقحة . ومطاحنة ومناطحة . وجلد على الخنادق التي طمت . ورمي في خروقتها التراب ورمت . وطرقها العدو بالسوء إلى السور . وطرق الظلمة إلى النور . وهجم على السني بالديجور . وكشف نقاب عروس البلد بالنقب . وأسعر بمساعيره حر الحرب . حتى تلم حمى الثغر وكلم حامية . وأشرفت مراهبه . وكثرت ندوب نقوبة . وكثرت خطاب خطوبه . ودخل العدو بالسوء إلى السور . وطرق الظلمة إلى النور . وهجم على السني بالديجور . وكشف نقاب عروس البلد بالنقب . وأسعر بمساعيره حر الحرب . حتى تلم حمى الثغر وكلم حامية . وأشرفت مراهبه . وكثرت ندوب نقوبة . وكثرت خطاب خطوبه . ودخل العدو في النقب فلم يجد لكونه مجدلا او مجرحا او مخرجا . وتوغل في الباب فوجد باب الخلاص المرتجى مرتجا . وكل من اصحابنا قد سد الثغرة بنفسه ولقي الوحشة بأذسه . وفارق لوصال أهل الجنة أهله . وأثبت في مستنقع الموت رجله . ولم يزل النقبابون يوسعون ويمشون . ويعلقون ويحشون ويخرقون ويحرقون . ويجمعون ويفرقون . حتى تساقطت الأبدان فعادت تلولا . وتعانقت الاسياف فزادت فلولا ، وتكشفت الوجوه لقبول الطعان وبردت بحرارة الدم قوائم اليمانية في الايمان . وبردت بمجالدة أجلاذ الشرك أيمان أنجاد الايمان وأصحابنا لا يهولهم الهائل ولا يميلهم ألى الحذار الجدار المائل . ولا يزعهم الخطب الوازع ، ولا يردعهم الرعب الرادع . يواصلون بالقواطع ويتواقعون على الوقائع . ويردون بغربهم الطالع ، ويقدون بدهم الدارع . اذا انتظموا مع العدو نثروه . واذا نهضوا له اقعده وعثروه . واذا صعد اليهم حدره . واذا بادر اليهم بدره وندروه . حتى أقاموا منه عوض أبدان السور أبدانا . وكم تركوا على تلك المصارع من جاثمها جثمانا . وما زالوا يقتلون ويقتلون . وينهلون من ورد النجيع وينهلون . ويصلون ويقطعون . ويشعبون ويصدعون . ويكيلون بصاع المصاع . ويجيبون للعمر الراحل داعي الوداع . ويتناجون بالأسنة المناصل .

ويتقابلون بوجوه الصواقل . ويتشاركون بكلام الكلام . ويتلاقون
بسلام السلام . ويتساقون بصحاف الصفاح . ويتماشون بمراح
الرماح . ويستحلون ضرب الضراب . ويسجلون صفحات الصفائح
من قراب الرقاب . الى أن انتقل القتال من السور الى الدور . ومن
الستائر الى الستور . ومن الطوارق إلى الطرق والسطوح . ومن
المضايق الى السفاح . ومن المراقب الى السفوح حتى لم يبق من
المجاهدين الا سبائك زحوف . وترائك حتوف . ويقايا طرائح .
ورذايا طلائح . ومشوق (٥٧) جرائح . ومشوق وضرائح . قد
فصلتهم المشرفيات . وخاطتهم الخطيات . ورشقتهم القسي
القاسية . ورشفتهم الظبا الضامية . ولاينهض قويمهم من الكلول
ولايفرى قريهم من الفلول . وقد شغلوا بسد تلك المضايق . ورد
أولئك الخلائق . فما شعروا الا وقد دخلت من أقطارها . وتوغلت
من اسوارها . وأزحمت العدو في مشارعها وسبلها . ودخل المدينة
على حين غفلة من أهلها . ولما عرف العدو الداخل . والعبادي
الواغل . أن القوم مستقلون وللموت مستقبلون . وأنه لاطاقة له
بمقاومتهم . ولاقوام له بطاقتهم . وأنهم لايسلمون وهم يسلمون
ولايبقون وهم يبقون . اعطاهم أمانا أخطر من المخافة ودخل على
الاغارة باسم الضيافة ، وعز اصحابنا بما بذلوه من الوسع وما
هانوا . وما وهذوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا . ولامرد لما فيه الله من المراد . ولامدفع لحكمه في البلاد
والعباد . وأن ذهبت مدينة فلم يذهب الدين . وإن غاض معين فما
غاب المعين . وان ارتاب المبتلون فما فارق الحق اليقين . وإن فتح
المرتج فما فات المرتجى . وإن أدلهم النيجور فلا بد أن يسفر عن
الصبح الدجى . ولايشمت عدو بما جرى . فعند الصباح يحمد القوم
السرى .

فصل من كتاب الى قطب بن نور الدين بن قرا أرسلان

قد أحاط علم المجلس بما حشده الكفر في هذه السنة من مدد ملوكة . وكثر على نهار الاسلام باظلام ليل الكفر وحلوكه . فالاسلام يزشد ظهيره . ويطلب الدين لكشف غمته من ابن نوره نوره . وهذه عكا التي كنا عنها ندافع . وعن ثغرها نمانع ونجري دماء الواردين في البحر لقصدها في بحرها . ونرد للرد عنها مكاييد العداة في نحرها . قد تمكن منها الكفر على كره من الاسلام . واجتاح من أبي اسلامها بعد أن صابر وصبر إلى الاسلام . وكانت مودودة فعادت مؤودة . وصارت مفضوبة بعد أن كانت عارية من الكفر مردودة . وإذا أفكر من خذلها . وما أخذها . وغاب عنها وما حضرها . علم أنها أسيرة إهماله . وأخينة إغفاله . وحاشي أن يكون المجلس بالغيبة عنا راضيا . وعن النجدة عند تحقق الحاجة اليها متغاضيا . وما بقي للفرنج مع استيلائها على الموضع . الا زائد قوة في المطمح والمطمع . وقد عزمنا على المصاف وصد صدمة الكافر بالجد الكافي الكاف والله كافل بينه بالنصر . والمردى بمكره أهل المكر وما هذا اوان الوني . بل هو زمان استنتاج المنى . فان العدو الخادر قد أن أن يصحر . وليل الهدى قد قرب أن يسفر .

ومن رسالة أخرى في استدعاء مظفر الدين من إربل
تشتمل على حادثة عكا ووصف الحال الجارية فيها

قد علم مادهم المسلمون من العدو الكافر . والطاغية الحاشد الحاشر . وأنه ورد في البحر بكل من الكفر في البلاد والجزائر . وماقصده الا بيضة الاسلام وحوزته وان الله تعالى هو الذي تكفل بذلة اعدائه عزته . ولا شك انه عرف ماتم منه على عكا بعد ذبنا عنها

في هاتين السنتين . والمضايقة للفرننج ممن بعكا ومنا بين .
الحصارين . وانهم كلما دبروا أمرا دمرناه . وكلما حققوا كيدا
ابطلناه . وكلما قدموا منجنيقا . اخرناه وعطلناه . وكلما ركبوا
برجا أحرقناه . وكلما كشفوا حجابا خرقتناه . وكلما اوقدوا نارا
للحرب أطفأها الله ، حتى لم يبق لمكرهم ولا لكيدهم مجال ، ولم
يتسوق في هذه المدة لهم حال ، وقتل منهم في عدة دفعات زهاء خمسين
الف مقاتل ، من فارس وراجل . ولم نشك في استياعبهم
بالردى . وأن حزب الضلال قد أفناه حزب الهدى . وحسبنا انهم
بائدون . فاذا هم زائدون ، وظننا انهم هالكون ، فاذا هم في نهج
القتال سالكون ، وهم حطب نار الحرب . وطعم الطعن
والضرب . وكم بذلوا ارواحهم على حب المقبرة . وحصلوا تحت
العجز لزعمهم انهم يأتون بما فوق المقدرة ، ولما دخلت هذه السنة
اشفقنا على من في عكا ، من الأصحاب والأجناد . وقلنا هؤلاء قد
بذلوا في الجهاد ما كان في وسعهم من الاجتهاد . ورأينا أن نجدد
للبلد البديل . وأن نسد ونسد بما نستأنفه الخلة والخلل ، وكان فيه
أكثر من عشرة الاف رجل ، ومن كل زمر مشيخ وكمي بطل . فخرج
هؤلاء ولم يدخل اليه مثل تلك العدة ، ولم يكن ايضا من دخل بذلك
الجد بتلك الشدة . فان البحر قبل استكمالها منع راكبه . وحمى
جانبه . ووصل العدو وعجل مراكبه فاكتفى البلد بمن فيه وما فيه
كفاية واتكل على الله الذي عصمته من كل واقعة وقاية . وجاءت
ملوك الفرنج خلاف كل عام . في جد واعتزام وحد واهتمام . وجمع
لهام ونار تعجلها العدو من جهنمه وضرام وغرام بالواقعة
وعرام . واحتداد للحادثة واحتدام . وباس واقدام . وناس
واقوام . وحشد ملأت به سفنها، وأخلت منه مدتها . ووصل ملكا
افرنسيس وانكتير . وقد احكما التدبير . وأجلبا بخيلهما
ورجلهما . واناها بكل كل كلهما . وبركا بثقلهما . وزحفا بجهدهما
وجهلهما . ووافوا بكل برج وثيق وكل منجنيق كنيق . وكل آلة
هائلة . ودبابة للبلايا حاملة . ونصبوا ثلاثة عشر منجنيقا على
موضع واحد ، واهبطوا حجارات السور بكل حجر
صاعد . وباشروا الباشورة بالهدم ، والخندق بالطم والسور بالذقب

والذلم . وخرج من نقابي البلد من ارتد عن الدين . وأعان نقابي
الملاعين . حتى وقعت ابدان السور وأبراجه وتبادر الى الذلم أعلام
الكفر وأعلاجه وأصحابنا مع ذلك ثابتون . ناكبون كابتون . قد
سدوا تلك الثغر بذقوسهم . وجعلوا حجارات الفرنج وجراخاتها
مغافر رؤوسهم . وكشفوا وجوههم لقبيل السهام . وتلفعوا من
وقع بيضها بحمر اللثام . ترشف شفاه الشفار دماءهم . وتشكر
ملائكة السماء سماحهم بالمهج وكلما اجتمع به فرقه بطعنهم
وضربهم . وهم يواقعون ويواقعون . ويكافحون ويلافحون . وكل
قد وقف في موقف الكرام وسل نصله . وأثبت في مستنقع الموت
رجله . وودع الجنة في لقاء أهل النار أهله . فخانهم بعض الأمراء
الجبلاء . وأخذ للحياة بترك الحياء . وفر من البلاء الى
البلاء . وحسب النجاة في النجاء . وهرب في بركوس قد اعده لذلك
اليوم . وأثر على جراح السيف جراح السب واللوم . واستصحب
أمثاله . واستتبع وأبعد في فراره وأبدع . وأضعف بضعف قلبه
قلوب الباقيين . وأمطى أفاعي الكفر في نهش الراقيين . على أن
الأصحاب ما أنذوا بالأصحاب . ولم يقابلوا الضراب
بالأضراب . وما زالوا يواصلون بالقواطع . ولا يرتاعون
للروائح . ولا يريمون مقام المقامع . ويطالبون من الأرواح
بالودائع . حتى انتقل القتال من السور الى الدور ومن القوارع الى
الشوارع . ودخل العدو المدينة على سلم بالحرب شبيهة . وأمن
أخوف وأخطر من كرهية . وقطيعة فظيعة . كل منة لها غير
مستطية . ولولا ما اتفق بعد قضاء الله من الأسباب الموهنة . لم
تكن عكا بالممكنة للعدو ولا المذعنة . وأن زهبت المدينة فالدين لم
يزهب وان عطبت فالاسلام لم يعطب . وان ملكت واحتلت فما اختل
الملك . وأن سلكت ووهت فما وهى السلك . وانما نبه الله بها
العزائم الراقدة . وأجرى مياه الهمم الراكدة . وبعث الحميات
الناعسة . وحرك النخوات المتنافسة . وكما أظهر عجزنا عن قدرته
وقدره . وسيظهر عزنا بنصرته وظفره . ونحن الى الآن كما كنا
محدقون بخنادقهم أخذون بمخانقهم . ونوسعهم الردى في مضايقتهم
ونجذبهم في كل يوم الى مصارعهم . ونكدر بعلق نجيعهم صفو

مشاربهم ومشارعهم ، فما خرج منهم من نخل . وما انقطع الا من وصل . وما اصحر الا من نديه عريسه وعرسه . وما برز الا من واره من بطون الخوامع رمسه ، فهم مقيمون لا يريمون مخيمهم . ولا يرومون ان يهجروا مجثمهم ، وما أنسوا بمرايض المضارب . الا لذفرتهم من مضارب القواضب ، وهم مع ذلك يرجفون تارة بالخروج الى المصاف ، وأونة بالنهوض الى بعض الأطراف . وفي كلا القصدين ان شاء الله دمارهم المعجل . وبوارهم المؤمل . فانا نعترضهم اين واجهوا ونواجههم أين اعترضوا . ونعثرهم اين نهضوا . ونثيرهم للموت أين ربضوا . وربما غرتهم عكا فطمحوا وطمعوا . واتفقوا على المصاف واجتمعوا . ووقعوا على نار الحرب وقوع الفراش . وتعوضوا مصارع امثالهم والثرى لهم وثير الفراش . فان برز العدو فالمنون له بارزة . والعزائم له مناجزة . والعساكر الاسلامية اليه وعليه زاحفة حافزة . والمجلس اولى من يتنخي ويحتمي . والى هذا المرام من قهر الكفر يرتمي وينتمي . ويصل بجمعه اللهام الملتهم . وبجمره المحتد المحتدم . وبفيلقه الفالق ترائك العدا . السافك السابك في نار الوغى سبائك الظبا . الحاص الحاصد بحدود الشفار سنابل الطلى . وهو لاشك ينهض ويستنهض من وراه . ويستدعي من اذا ناداه اجابه وجاءه .

ذكر لطف من الله في حقي خفي

كان السلطان قبل استيلاء الفرنج على عكا بسنه عمل ترجمة تفرد بها القاضي ابن قريش لمكاتبة الاصحاب . ليكتب بها اليهم ويعود بها الجواب . فلم يبق المكاتبة ابتداء وجوابا بخطي . وخرج حكم عكا في الكتابة عن شرطي . فقلت لاصحابي ما صرف الله قلبي عن عكا الا وفي علمه ان الكفر اليها يعود . وان النحوس تحلها وترحل عنها السعود . واستعانني الله من استعادتها . وردها الى شقاوتها بعد سعادتها . ولقد عصم الله قلبي وكلمي . وعرف شيم مخايل الطافه من شيمي . وهذا قلم جمعت به اشتات العلوم مدة عمري .

وما جراه الله الا باجري . فالحمد لله الذي صانه . وعظم شأنه .
وما ضيع احسانه . وهو للفقه والفتيا . ومصالح الدين في الدنيا .
وما عرف الا بعرف . فما صرف الا عن صرف . وما سفارته الا في
نجاح . وما سفاره الا عن صبح وماتجارته الا لربح فهو يمين الدولة
وامينها . ومعين الملة بل معينها . بمداده يستمد امدادها . وبسواده
للتغور سداده . ودواته دواء المعضلات . وبعقده حل المشكلات .
وبخطه حط عوادي الخطوب . وبقطة قط هوادي القطوب . وببريه
برء الامراض . وبجريه جري الجياد للجهاد . وبسعيه سعي
الامجاد للانجاد ، وبحركته سكون الدهماء . وببركته ركون
الرجاء . فما كان الله ليضيعه في صون مالا يصونه . وعون من
لا يعينه . فخفت على عكا من وقوف قلبي عنها . وكان قد الهمني
الله فانه صانه ولم يصننها . وشكرت الله على هذه اللطيفة .
والعارفة الطريفة .

ذكر ما جرت عليه الحال بعد استيلاء الفرنج على عكا من الوقائع

وفي يوم الخميس انسلاخ جمادى الاخره . خرج الفرنج من جانب
البحر بالعدة الوافرة . وانتشروا بالمرج الى الآبار التي كان حفرها
العسكر . فحرب الكؤوس السلطاني . فثار المعشر وقام المحشر
وانهض السلطان الى اليزك من قواه . واتبعه بمدد تلاه . وقد طار
غراب الغبار . وتبرقعت بالتراب عراب المضمار . وشبت الوغى بكل
شبوب تمانع سوى فارسها ركابها . وتغير الشمس من نسج
حافرنا نقابها . في غلب كالقواضب . يروون القواضب . وطوالع من
الغروب يعدن في الغوارب غوارب . وحمل على ابطال الباطل حماة
الحق . فردوا الكفر بذلك الخرق المتسع متسع الخرق وانهزم
الفرنج فجالت العرب دونهم . وحالت بينهم وبين اسوارهم واحالت
عليهم مذونهم . وصرعوا زهاء خمسين رجلا . كروا عليهم بكاسات

ان انقضى الاجل . وانتهى الترم الاول . وجاء الرسل وابصروا
الاسارى حضورا . والمال موزونا موفورا . وظنوا ان صليب
الصلبوت قد ارسل الى دار الخلافة فليس له وجود . فسألوا
احضاره وهم شهود . فلما احضر خروا له ساجدين . واقروا به
شاهدين . وعرفوا ان الشرط بالوفاء مقرون . وان الاداء بخلاص
اسارانا مرهون . وظهرت علامات مكرهم . ولاحت امارات
غدرهم . وفي يوم الاربعاء العشرين من رجب اخرج الفرنج الى
ظاهر المرج خياما ضربوها . وقبابا نصبوها . وخرج ملك الانكثير
الى خيمته . ومعه خلق من خياله ورجاله .

ذكر غدر ملك الانكثير وقتل المسلمين المأخوذين بهكا

وفي عصر يوم الثلاثاء سادس رجب ركبت الفرنجية بأسرها
وخرجت من مستقرها وسارت بخيلها ورجلها . وجذفلها وحفلها .
وجاءت الى المرج الذي بين تل العياضية ودل كيسان . ونفذ اليزك
وأخبر السلطان . وركبت العساكر نحوها متسابقة متلاحقة .
وشامت صوارم صادقة وعزائم صادقة . وكان الملاعين قد احضروا
اسارى المسلمين . وفي الحبال واقفين . وحملوا عليهم وقتلوهم
بأجمعهم . والقوهم على مصرعهم . فحمل عليهم العسكر
وهاجمهم . وضرب بأمواجه امواجهم . وقتل منهم خلقا . وأوسع
فيهم خرقا . واستشهد منا كردي حميدي وبدوي . وكلاهما من
الموصوفين بالشجاعة وهو من ماء الرحمة على الكوثر روي . فلما
انصرف العدو الى خيامه ، وركد الروع بخار قتامة . شوهد
المستشهدون بالعراء عريا . وانما عروا ليكتسوا من حل الجنان
التي اكرمهم الله بها وشيا . ومضى الناس اليهم فعرفوا معارفهم .
ووصفوا في سبيل الله موافقهم . وما اكرمهم رجالا . واحسنهم في
الشهادة والسعادة حالا . ولما غدر الفرنج بسدك الدماء . وهتك ستر
الوفاء . تصرف السلطان في ذلك المال . وبسط فيه يد النوال .
واعاد اسارى الفرنج الى دمشق لتعاد الى اربابها . وترجع الى

ايدي اصحابها . فانهم كانوا جمعوا من اهل البلد للحاجة اليهم . فلما استغني عنهم ردوا عليهم صليب الصليبوت الى الخزانة . لا للاعزاز بل للاهانة . فان غيظ الكفار بحفظنا للصليب شديد . والمصاب به عندهم على مر الجديدين جديد . وقد بذل فيه الروم ثم الكرج بذولا . وانفذوا بعد رسول رسولا . فما وجدوا قبولا ولا صادفوا سولا .

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب قوضت الفرنج خيمها وعبرت النهر . وقاربت البحر . وضربت بينهما الخيام . واثبتت من الرماح المركوزة على سباعها وضباعها الآجام . فقبل لاسلطان . ماحركة القوم الا لقصد عسقلان . فجاشت همومه وعب عبايه . واجتمع بناييه لاجالة قداح الرأي أصحابه . وسح سحابه وصح حسابه . وحكم فأحكم . ويرى فاييم . واستشار وأشار . واستثار وأثار . واستورى زناد الاراء . وامترى مراد الامراء . وقال هذا العدو طغى واستكبر . واصحى له الافق وافاق واصحر . وقد تحرك بعد سكونه . وظهر بعد سكونه . وظهر بعد كيمونه . وغرته عكا فطمع في عسقلان . واسترق جانبنا الخشن الشديد عليه واستلان . وهذه جموعه بارزة . وكعوبه راكزة . وعوراته باييه . وثوراته عاييه . وذكراته معروفة . وغدراته موصوفة . وكنا نقول اذا برز نبارزه . واذا خرج نناجزه . واذا فارق مكانه نتمكن من تفريقه . واذا ركب الطريق نركب الى طريقه . واذا توجه الى موضع اوضعنا الى مواجته . واغرينا أسنة الاسنة بمشافته ومسافته . والان الان الله لنا الشديد . وادنى علينا البعيد . واخرج العدو من الضيق الى السعة . وابرز من وراء الاسوار والخنادق الممتنعه . وان لم نلقه في طريق مسيره . ونجد في التدبير لتدميره . وصل الى عسقلان فصار لنا منها شغل عكا واصعب . وحينئذ نتعب . وصدعنا بها لايشعب . فقالوا هو يسير بالبحر محتميا . وعن النهج منتبيا . ويقصد الساحل الساحل . ويقتصر المراحل . والذي يلي الساحل في الطريق اما اجام وغياض غلقه متأشبه واما رمال وتلال ضيقه متكثبه . وهناك مواضع يمكن فيها مضايقته على المضايق . ومواقعته

بالعوائق . فتقدم السلطان الى علم الدين سليمان بن جندر . وامير
من اهل الخبرة آخر بالمسير الى تلك المناهج . ومشاهدة مالها من
المخارج والمواج . وكشف المواضع التي يلقي فيها العدو . ويؤمل
بمقاتلته فيها من الله النصر المرجو . فسارا يذقسان تلك المسالك
ويكشفان الاماكن التي تكون معارك . وتتخذها لمبار المرام مبارك .
ولدار المراد مدارك . وعادا وقد ظفرا بقاع وبقاع وعينا على اماكن
ومكان . ومواطىء ومواطن . ووقع الاجماع على الاجماع على
اللقاء والقراع . في مذاهب تعينت . ومسارب تبينت . وسهول
عرفت . ومروت وصفت . وصمم العزم على ان الفرنج اذا ساروا
سرنا على عراضهم واستقمنا على جدد الجدد في اعتراضهم
واعترضهم .

ذكر رحيل الفرنج صوب عسقلان ورحيلنا لاقاهم

وفي سحرة الاحد غرة شعبان . اضرم الفرنج في منازلهم النيران .
واصبحوا على الرحيل . والاصوات مختلطة بالصهيل . والارض
مضطربة والسماء محتجبه . والقباب تقوض . والعياب تندفص .
والجباب تنثقل . والهضاب تنثقل والذئاب تعسل . والزغف
تفاض ، (٥٨) والحدف يخاض . والخيل تسرح . والسيل يمرج .
وذوائب الذوابل تنتشر . وانبات الذوائب تكشر . ولواء اللاواء
يعقد . وضرام الضراء يوقد . والبيارق تختفق . والبوارق تأتلق .
والدودو . والجوجو . والحديد تبوج وللعيد تموج . وقد ثارت
الجواء . وفارت الجأواء . ودجت الاضواء . ورجت الضوضاء .
وسال الوادي . وعدت العوادي . وسار الاعادي . وعلم السلطان
تديبرهم . وعرف مسيرهم . فرعدت كوساته . وغردت بوقاته .
وصاحت طبوله . وساحت سيوله . وانسحبت نيوله . واصطحبت
خيوله . وبرقت لوامعه . واشرفت طوالعه . ومضت عزائمه .
ومضت صوارمه . وحلقت العقبان الى مطار مطارده . وتألقت
الخرصان في معاقل معاقده . وسار وارضه جردالضوامر . وسماؤه

نسج الحوافر . في بحار سوايح يموج على شكائهما اللعاب .
وغدران سوايح كالزلازل لمعه الحباب . ومجر ملتهب الجوانب .
مشتعل القواضب . وقب معقودة السباب . مقودة الجنائب .
معصوبة الهوادي هابيه العصائب . وعرب ملوية العمائم بالشهب
ملوثة البرود بالقضب . وترك كالأقمار في هالات التروك . ومماليك
في حالات الملوك . عتاق الوجوه على الوجيهايات العتاق قد خلقوا
للثبات مع قلاق الاخلاق . واعاجم على العراب . هضاب على
هضاب . وكرد بحصون الدروع محتمين . وبقباب اليلب
مستعصمين . في مسروبة الحلق . مسدودة الحدق . تقهقر عنها
اللاهزم . وتقهقه اذا فلت بها الصوارم . وجيش يصيب العدو
ولا يصاب . ويعيب الاقران ولا يعاب . من كل ناصر للحق على ضامر
للسبق . خارق للذمق راقع للخرق . فاتق رائق للفتق . معذق الى
الضرب ضارب للعنق . وفيلق همه فلق الهام . وجحفل ملتهم
للجحفل اللهام . يحوي كل اغلب عبل الذراع . واشم رحب الباع .
خواض الكتاب . فياض القواضب . رواض الرعان . نضناض
السنان . موار العنان . فوار الجنان . قائد الخيل زائد السيل .

رائد الليل وهاجت العساكر وماجت الزواخر . فزرات القساور ،
وأزهرت الزواهر . وتناوحت جذبات الحديد . وعذبات الحرير .
وأشبه سهك الماذي بعبيق العبير وكانت نوبة اليزك في ذلك اليوم للملك
الافضل وهو في نخبة الجحفل بدور ليل لقسطل . وشموس يوم
المحفل . فوقف لهم وقفوا أئرههم وألهبهم بنيران النصال .
وأسعرهم . وقطع طريقهم . وقصد تفريقهم . وسطا على
أوساطهم ، ونادى بابراء زناد إيراطهم فانقطعت أواخرهم عن
أوائلهم وسدد سهام المذون إلى مقاتلهم وأرهق إليهم الأجل .
وأحرق عليهم العجل . وطرق نحوهم الوجل . وانهزم من تقدم
ولحق الأول . وتعكس من تأخر وانخذل وانخذل ، وأوقد ناراً على
اهلها مشعلة . وترك تلك الوقعة للمجاهدين الحاضرين مشغله .
ونفذ الى والده يستنجه . حتى يسرع اليه مدده . ويقول ان امدت
بألف ما أبقيت من هؤلاء واحداً . ومتى تتدفق مثل هذه الفرصة لو ارى لي

الاربعاء . واصبح راحلا . فما حل حياه بارض الا احيا ماحلا .
ونزل على النهر الذي يجري الى قيسارية . وعسكره قد طبق تلك
البرية . وكان العدو قد تحول الى الملاحة . ومكث بها للإستراحة .
وأقام السلطان بتلك الناحية يجول من رابية الى رابية . ويرهف
للقاء الفرنج بحضه وحثه كل عزيمة نايبة . وأتى مرارا بأسارى
خطفوا من موافقهم وقطفوا من منابتهم ، وطرق الانكدار الى ثواقب
ثوابتهم . فامر باراقة دمهم . واطاحة رممهم . واخبره بعض
الاسارى انهم يوم رحلوا وصلوا الى حيفا حيارى وطرح منهم
وجرح كثير ، سوى من اخذ فهو الآن اسير . وهلكت بين عكا
وحيفا اربعمائة فرس . ونجوا منكم بانفسهم على اخر نفس . ولو
انكم كبستم كسبتم . واعريتموهم من الحياة لو انكم بهم التبستم .

فصل من كتاب الى مظفر الدين

بذكر ما جرى بعد الرحيل من عكا الى هذه الغاية
لاستدعائه

ولما فرغ العدو من شغل عكا حسب ان كل بيضاء شحمه . وان كل
سوداء فحمة . فرحل على صوب حيفا واقعا في حيفه . باحثا عن
حذفه بظلافه . زاعما انه على قصد عسقلان خذله الله وخيبه في قصده
وزعمه . وهو حاصل منا على صده ورغمه . وكان رحيلهم مستهل
شعبان وملك انكثير قاندهم الى البوار . ووافد اهل النار الى
النار . ولقيناهم من بواترنا بواتر القبار . وقد رحلنا في عراضهم
لاعتراضهم . وتعشيرهم في طريق انتهاضهم . واقوا يوم رحيلهم من
اليزكية الزكية كل ذكاية فيهم شديدة . وكل روعة لهم مبيدة . فانهم
قطعوا ساقه العدو عن الحاق بمقدمته . وقلوا عن الحدة في الحركة
حد عزمته . وقتلوا خيلا وخيالة . وفوارس ورجاله . وقدروا
وتمكدوا . وجرحوا فائخذوا . ونهبوا وسلبوا واخذوا رؤوسا
قطعوها . ووقدوا نفوسا قلعوها . وغذموا أقمشة وأسلحة .

وحصوا من اللاحقين بهم قوادم وأجنحة • ونزلوا على نهر حيفا
وقد تم عليهم الحيف • وتحكم في قلوبهم السيف . فأقاموا إلى هذه
الغاية لداواة جريحهم ومواراة طريحهم • وإراحة طليحهم •
وإثارة ماركد من ريحهم • وقد رحلنا وسبقناهم الى طريقهم •
عازمين على تبديدهم وتفريقهم • وتشتيتهم أيدي سبا وتمزيقهم •
فقد تمكنت بتأييد الله أيدي الأيد من سبيهم وقتلهم ، والله يجمع
شملنا لتفريق شملهم ، وما يجده الله لنا بعد هذا اليوم من غبطة •
ولاعدائنا من عبطة • الا ونبادر ببشراه الى المجلس لتقوى في
نصرتنا عزيمة ، وتشيم بارق التوفيق في موافقنا شيمته وتروض
مواحل الامال مع اوان الديمة الربيعية ييمته ، ويغلو في سوق رواجه
من الدين ماظن أنه رخصت قيمته . وكيف لا يأخذ ذلك الكريم بثار
الاسلام وقد سبيت من عكا كريمته ، واذا تأمل عرف أن الخطب
عظيم وما لدفعه الا العظيم ، والههم مقيم وما لرفعه الا بأسه المقعد
المقيم وسيقتضي بين هذا الدين الغريم الزعيم .

وقعة قيسارية

وفي غدوة الاثنين تاسع شعبان ، جاء من اخبر برحيل الفرنج
السلطان ، وأنهم سائرون ثائرون وعلى اجنحة الجرد طائرون
وحول رجالهم بخيلهم دائرون . وهم في جمع لهام . وقد انقسموا
ثلاثة أقسام كل قسم راجله بخيله محفوظ . وبأعين القسمين
الاخرين من خلفه وقدامه ملحوظ . وكان السلطان تقدم من الليل
بركوب الخيل . فركب في كل خواض للغمرات . فياض بالعزمات ،
رواض للجامحات نهاض بالجانحات ملتئم مع اللثم بالنقع والدجى ،
ملتحف لولا الروح بالحلم والحجا ، مقتحم في حومة الوغى مضطرم
بجمرة الظبا ، على نزاع يذقلن الردى على صهواتها وصواهل
يقذفن الحمام من لهواتها . ويكشفن الظلام بجهاتها . وبارين
الصفاح بصفحاتها . وتعاسل الرماح باعناقها وطلائها ، وفيهم من
رجال الحلقة المنصورة كل سابق الى المنون على سابق ، وكل تائق

إلى المازق مازق • وكل طائر في الغبار على سايح • وكل غابق
بالنجيع صايح ، في عراب متمطية بالعراب ، ورقاق متخطيه إلى
الرقاب ، وسار العدو وسرنا نبريه ونباريه ، ونجتري عليه
ونجاريه . والجاليشيه ترمي وتدمي • وتصمم وتصمي ، وطيور
السهام تقصد من الاحداق اوكارها • والأتار تزدشد بالارنان
اوتارها • وهم في لباس حديد سد على السهام المنافذ • واشتك
الذشاب فيهم فاشبهوا قنافظ . وكانت هناك بركة كبيرة . ومياهما
غزيرة . وهم على عزم ورودها . والاحاطة بحدودها . فحلأناهم
عنها . وأبعدها من هنا . وكان الحزم تركهم حتى يخرجوا الى
الفضاء . فيدخلوا من تمكنا منهم تحت القضاء . لكنهم ارتابوا
وارتاعوا . وطلبوا النزول بها فما استطاعوا . فانحرفوا الى
الساحل . وانصرفوا بالفارس والراجل . واجتمعوا سارين .
وساروا مجتمعين . ومازلنا نلزمهم ونهزمهم ونحفزهم ونحزهم .
حتى تمت مرحلتهم . وعمت مقلتهم . وتذلمت الصفاح . وتحطمت
الرماح . واجرت الأنهار الجراح . وجرى بالأرواح السماح .
وحضر السلطان مع الجاليشية . ناجح الارادة نافذ المشية ، ونزلوا
على نهر يقال له نهر القصب . وقد انصبوا الى النصب ، وما كانوا
يرجون . وما كادوا ينجون . ولما نزلت بهم في مسيرهم النوازل
نزلوا . وحين وليتهم نصالنا ومناصلنا انعزلوا .

مقتل اياز الطويل

واستشهد في ذلك اليوم الهمام المقدام . الاسد الضرغام ، الطاعن
الضارب . الباسل السالب . الغضنفر الهرماس . الفارس
الفراس . اياز الطويل وطالما عرض نفسه في سوق الشهادة ، واقدم
اقدام الساعي إلى السعادة . وكان الى الصريخ اسمع متنصت .
ولعطاس الذقع اسرع مشمت . والى ضيف الحمام اسبق متلفت .
ولسيف الاقدام ارشق مصلت . لا يروعة الروع انا حفزته عزمته .
ولا يهولة الهول اذ همت به همته . وهو اول من يركب وآخر من ينزل

ويدبر سواه وهو يقبل . ويسابق الى المضار ولا يهمل . وهو ابدا يدعو الى المبارزة . ويعدو على المناجزة . ويقف بين الصافين على صافنه . ويرحل على مطايا الحنايا من بنات كنانته الى مقاتل المقاتلين ظعائن ضغائنه . فما برز اليه الا من برزت اليه مذونه . وفاضت بالدم من عيونه عيونه . فكم كف للكفر كفها . وبكر للنصر زفها . وانف للشرك جدعه . وذي انف للفتك صرعه . ولبه للفضفر ضبحت لثعالب رماحه . وطلية للمدقشمر طنت فيها انيه صفاحه . واجفان للاقران نبتت فيها اهداب سهامه ، ووجوه للشجعان تفصلت في حساب حسامه . فلما جاءه الاجل ما أجل . ولكن الى الجنة به عجل . فان حصائه خانه . وما صانه . فعثر به في حالة الاقدام . وجلا قمره في هالة الحمام . ولم يخف لنقل الحديد للقيام وطعن وضرب وآتاه من الكوثر سلسيله فشرب ، ولما أدركه الأصحاب ألفوه ، وقد فات ، ورافق في عليين الأحياء في سبيل الله لا الاموات ، ونزلنا نحن بعد انقضاء الحرب على البركة ، شبيدي الشوكة حديدي الشكة ، ثم رحلنا ونزلنا على أعلى نهر القصب في أوله ، وهو الذي نزل العدو في اسفله ، وتقاربت ما بيننا تلك الليلة المسافة ، وعندنا الأمن وعند العدو المخافة ، ولما اصبح السلطان يوم الثلاثاء مكث على الثبات والهدو ، ينتظر ما يكون من خبر العدو ، وأقام الفرنج على حالهم ، لتعبهم وكلالهم ، ولأسباب منها جراحاتهم ، عدموا منها منهاج راحتهم ، وكذلك ماملهم من رعب الهلاك ، والابتراك في ارتباك .

وقعة لعز الدين بن المقدم

وكان عز الدين بن المقدم في ساقاة اليزك ، مستديقا للحفظ والدرك ، فبصر بجماعة من الفرنج مقبلين ، كبوا وبغير عدة مسترسلين ، ولأخبار عسكرينا مستشرفين . وهم مما تم عليهم غير متخوفين . فعبر اليهم النهر من ورائهم واستظهر عليهم في لقائهم فقتل منهم عدة ، ولقوا منه شدة ، واسر ثلاثة ، قبل ان ينالوا

اغاثة ، ثم ركب الفرنج اليه . وحملوا عليه وكانت وقعة عظيمة . جلبت لنا غنيمة وعليهم هزيمة . واحضر الاسارى عند السلطان . بحزام الذل والهوان . فأخبروا أنه جرح بالامس منهم الف . وسرى فيهم وهن وضعف ، وقد جرى عليهم أمر عظيم ، وبلاء مقعد مقيم ، ورحلنا وقت الظهر وعبرنا شعراء ارسوف في الطريق الوعر ، ونزلنا وقت غروب الشمس بعد الخروج من تلك المذاهب ، على قرية يقال لها بير الراهب ، ومضى السلطان جريدة الى قرب ارسوف واطال هناك الوقوف ، حتى رأى أرضا في طريق العدو تصلح للقائه ، والاحداق به من أمامه وورائه وأقام يوم الأربعاء في ذلك المنزل ، والعدو في منزله الاول

ذكر اجتماع الملك العادل وملك الانكتير

كان في اليك علم الدين سليمان بن جندر ، قد ظهر فيه واستظهر ، وراسله العدو على أن يتحدث مع الملك العادل ويجمع به ، وينزل على أربه ويعرب عن مطلبه فاجتمعا ، يوم الخميس ، على التأسيس ثم تحدثا في الحوادث ، وعوادي الحروب العوائث ، وان السلم متعينة والسلام فيها متبينة ، والمصالحة مصلحة ، والفائدة مترجحة ، قال وما جئنا الا لاصراخ اهل الساحل ، فوقعنا في الشغل الشاغل . فان اصلحتهم واصطلحتهم . استرحنا واسترحتم ، فقال له الملك العادل : مالذي فيه تحاور وله تحاول ، فقال رد البلاد برد البلاء ، وسلوك مسالك الأسعاف والاسعاد ، فقال العادل : هذا لامطمع فيه ، وهذا رسم باطل حقنا معفيه ، ودون حدود البلاد حدود الحداد ، وخطل القتسام وخرط القتساد وصرف عنان صرف العناء الى المتصرفين بالعناد ، وأدركه حكم الحمية والحفيظة ، وغلى مرجل غيرته في الكلمات الكالمات الغليظة ، وكان الترجمان بينهما هذفري بن هذفري ، فلما سمع ملك الانكتير ماراعه ، ما استطاع سماعه ، وثار ثورة المحنق المحرق ، وأل اجتماعهما الى التفرق .

وقعة ارسوف

لما عرف السلطان من أخيه الملك العادل ما جرى بينه وبين ذلك الطاغية ، وأنه مصر على تلك المباغي الباغية ، جمع يوم الجمعة وقت الاصبح الأصحاب ، واستحضر من أسد غابطة من غاب ، وأمر برحيل الأثقال ، وأقام في رعيال الرجال ، وركب في عجم انجاب وعرب على عرب ، وكرد على جرد ، وكل سابق ورد على سابق ورد ، على خيل من سماتها آثار الطعن ، وعلى جبهاتها أنوار اليمن ، بأكباد غلاظ على العدا ، ورقاق حداد على الطلي . ونبال مصمية لبان المصمم . ورماح لدتها ضغم الضيغم المعلم . فأقام العدو بسواد قومه بياض يومه ، وبات وقد فارق جفنيه غرارا نصله ونومه ، فلما أسفر صباح السبت رابع عشر شعبان ، ركب العدو على صوب ارسوف وقد ضم الرجال والفرسان ، وهو سائر في ليل حالك ، وسيل سالك ، وخيل عالك ، وحزب الشيطان . وحرب الايمان ، واصحاب الجحيم ، واقطاب الضلال النهيم ، وخطاب الخطوب ، وانداب الندوب ، وكفــــــــــــة الكفاح ، وصفاة الصفاح ، وأجناس الكفار ، وانجاس الداوية وأرجاس الاسبتار ، وكل غيران غير وان ، وأفعوان معتقل افعوان ، وكل ارقم في جلد ارقم ، وكل ازرق اشقر على أدهم ، فأحدثت به أحلاف عساكرنا احداق النار بالحلفاء ، ونقلت بذسور ضـــــــــــــوامرها الأرض الى الســـــــــــــماء ، وخاضت الغمرات ، وأفاضت الجمرات ، وأفاظت المهجات ، وشبت نيران الهنديات ، وأهبت رياح العربيات ، وألهبت شعل اليمانية . وألهت بها مقل الفرنجية ، وجال عليهم في الجاليش . الترك على الاكاديش ، وأحدثت سهامها كالأهداب بالأحداق ، وبرزت ببيضا لمعاذقة الأعناق ، ولع شرار النصال في دخان العجاج ، وخرقت بنات الحنايا الخرق حجاب العجاج ، وافضى ينابيع النبع الى اعجال الاعلاج ، فإن الفرنج اغذوا في سيرهم وجدوا ، واحتدموا وامتدوا وقربت منهم الاصلاب ، واختلط بهم الاصحاب وتعازقت

الرفاق والرقاب ، واحرج القوم وتقطعت بهم الأسباب ، وقربوا من ارسوف ، وقد لاقوا منا الحتوف والخسوف ، وضاق خناقهم ، وحاق بهم ارهاقهم ، ونشبت الجاليشية فيهم بالذشاب ، وشبت نيران المرهفة في أولئك الأوشاب ، فاحتملوا في جلودهم الجرح ، ومن اجلادهم الطرح ، ووجدوا الموت الغالي مسترخصا ، وايقنوا بالدمار ولم يجدوا مخلصا ، وعرفوا ان البلايا عليهم متصلة غير منفصلة ، وأن قواهم لما فوق ما لقوه من الذكاية غير محتملة ، فحملوا على الاطلاب المنصورة حملة واحدة زحزحتها عن مواضعها ، وكادت تحلثها شوارع القنطاريات عن مشارعها ، لكنها تحيزت الى القلب المنصور ، وفازت من وجوه النصر بالصفور ، واستشهد في تلك الفورة الثائرة ، والثورة الفائرة ، سعداء استقبلوا بالأسنة الاسنة ، واجابوا دعوة الله بأن لهم الجنة ، فما صرعوا حتى صرعوا ، ولما اشرعت اليهم الرماح اشرعوا ، ثم كرت عليهم نخب الرجبال كرة اردتهم وردتهم ، وصدفتهم عن الاستتان في جدد تلك الحملة وصدتهم ، وفرست منهم فوارس ، واتعست معاطس ، وفرشت بالعراء لهم أشلاء ، واتخذوهم طعانا ورماء . فنزلوا في ارسوف وقد كسروا وخسروا . وقتل قوم منهم وأسروا . وفي ذلك اليوم ثبت على صدمة القوم الملك العادل سيف الدين . وحمل في اصحابه اسد العرين وسدد الى ندورهم الشوارع وقلع منهم قلائع . وثبت عسكر الموصل . وكذلك قايماز النجمي في موضعه الأول ، وكانت العساكر في شعراء أشبه ، وشجراء منتشبة ، فلما رأى العدو اندفاع المسلمين قدامهم ، لم يأمن رجعتهم وإقدامهم ، فعاد وعبر ارسوف ونزل قريبا من الماء ، ويات السلطان تلك الليلة على نهر العوجاء ، واقام العدو يوم الأحد في موضعه ، منكوبا بتعب تبعه ، ثم رحل يوم الاثنين سائرا الى يافا ، ليستدرك بها ورطه ويتلافى ، ونازلتهم العساكر بالذوازل الى ان نزلوا وقطعوا طرقاتهم حتى وصلوا .

فصل من كتاب السلطان الى الليدوان العزيز

يشتمل على ذكر الوقائع المذكورة بعد الرحيل من
عكا

وسلكوا في مواضع مالليزك عليهم فيها سبيل. ولا لقداح القراع في
مجالها مجيل، وعساكرنا تضايقهم في كل مضيق ، وتطرقهم بالبلاد بل
المنيا في كل طريق ، وهم على البحر لا يفارقونه ، ومن المورد الى
المورد في كل مرحلة لا يتجاوزونه ، فان المياه قريب بعضها من بعض
ومسيرهم بمقدار مسافة ما بين المنهلين ، وانا لزوا لم يبعدوا بين
المنزلتين ، وكانت لنا الى هذه الغاية معهم في كل بقعه وقعه ، وفي
كل مرحلة مقتله ، وفي كل منزلة منازلهم ، وأوردناهم الردي في كل
مورد ، وقصدناهم بالشدائد في كل مقصد . وسلبنا حماهم للحمام
في كل سبيل ، وسار صباحهم منا في كل مغدي ومقيل ، وطريقهم
على البحر كلها مضايق وأجم ورمال ، ومواضع لا يتسع فيها مجال
ولا يتهيأ قتال ، وكما وجدنا فسحة ضايقتناهم ، وأرهفنا حدود
العزائم والصوارم وارهقتناهم ، وجرت معهم عدة وقعات كاد الكفر
فيها يبور . ودائرة السوء على اهله بنا تدبير ، وماء اهل النار
بفيض بأسنا عليهم يغور ، ولولا ان الله تعالى قد اخر موعده في
نصر اوليائه ، وقهر اعدائه ، لوقع الفراغ من شغلهم ، وشملت
نعمتهم لنا بتبديد شملهم ، فمنها يوم رحيلهم عن عكا ارهقتهم
اليزكية الزكية ، ونكأت فيها منهم الرمية بل المنية ، وكان الولد
الافضل يومئذ متولى اليزك . فتولى اسعار لهب المعترك . ووقف لهم في
المضيق على الطريق . وباشر جمعهم بالتفريق . وقطع آخرهم عن
اولهم . وعاق الساقية عن الوصول الى منزلهم وبتر وبتك ، وقتك
وهتك ، وقتل وسفك ، وطلب وأدرك ، وعبر الفرنج نهر حيفا لما
دهمهم من الأمر ، واحتموا بالمنزل الوعر ، ووصل عساكرنا وقد
تمنعوا بالنزول . وتجمعوا في الوعر عن السهول . ولم يبق اليهم

نهج للوصول ، وأقام الفرنج في تلك المنزلة اياما ، وقد نالت معاطسهم ارغاما ، حتى استجدوا عددا ، واستنجدوا مددا ، واستجدوا ممن وراءهم عددا ، وأحسوا التدبير ، واستأنفوا المسير ، ومنها يوم انفصالهم عن قيسارية ، بارتهم الرماة وبرتهم بالمبرية ، وأنفذت اليهم رسل المنية ، وقتلت منهم مقتلة جيدة ، ولم تزل السهام الى مقاتلتهم مصوبة مسدده ، الى ان احتموا بالنزول وحلوا عقد تلك البلية عنهم بالحلول ، وقد قتلت من خيلهم عدة الف رأس ، لم يذفصل راكبها الا وهو من ثوب النجيع كاس ، ثم كانت المياه في طريقهم متقاربة المناهل ، والمسافات غير متباعدة المنازل ، فاذا لزوا بالمنازلة ، ارتزوا الى المنزلة ، ولاذوا وهم اهمل النار بالماء ، وقادهم العجز عن الاحتمال الى الاحتماء ، ثم استقلوا منتصف شعبان سائرين على البحر بعادتهم . وعادتهم شاكين في منتهم ممتنعين بشوكتهم وشكيتهم . والخيل تجري بهم جريان السيل ، والراجل يلتف عليهم في مثل سواد الليل ، والعساكر الاسلامية جائلة في عراضهم ، مائلة الى اعتراضهم ، موفقة في مرامها ، موفقة لسهامها محرقة اهل الجحيم بضرامها ، ولما نشب فيهم النشاب واعجزهم وازعجهم وأحرجهم بكثرة النكاية فيهم وأرهبهم ، كبروا وصابروا الى أن وصلوا ارسوف ، وقد شارفوا الخوف وقاربوا الحتوف ، فحملوا بحملتهم حملة واحدة ، وجاءوا كالسحاب بارقة وراعدة ، واندفعت الأطلاب الاسلامية امامها ، ولم تثبت قدامها ، حتى ابعثوا بحملتهم في جملتهم ، وتفردوا بحركتهم في معركتهم ، وظنها السلطان هزيمة ، وبانت بالعاقبة انها كانت عزيمة . فإن القلب المنصور ثبت فئة للمتحيز ، وموثلا للمتفرز المتحرز ، ووقف الأخ العادل ثابتا قلبه ، ثابتا طلبه ، وكر عليهم في حربه ذوي الحمية ، والأنف والأبية ، والهمم العلية ، كرة ردتهم واربتهم ، وصدفتهم عن بلوغ الغاية وصدتهم ، فاستدركت ما فرط في الذوبية من الذبوة ، واستمسكت بما استأنفته في العزيمه من القوة ، وقتلت منهم كندا كبيرا وعددا كثيرا ، وعاد تنظيم هامهم بالعراء نثيرا .

ونزلوا بارسوف ، راغمي الأنوف . قد فل جندهم ، وقتل
كندهم ، وهذا طاغوتهم الهالك بسيف سيف الدين ، كان مطاع
أولئك الملاعين ، وابليس تلك الشياطين ، والمعروف بسير
جك ، واستمر حكمه قبل وصول ملوك الاشراك ، وتحت حكمه عدة
كثيرة من القوامص والبارونية ، ونفذ امره على الداوية
والاسبتارية ، وكان من عظم شأنه ، وفخامة مكانه أنه يوم صرع
قاتل دونه جماعة من المقدمين المحتشمين فما قتل حتى قتلوا ، ولا
بذل روحه حتى بذلوا ، وجزع ملك الانكثير لمصرعه ، وفزع من
ورود مشرعه ، ونزلت العساكر الاسلامية على الماء وهو بعيد من
مخيم الكفار ، وخيمت عليه بحكم الاضطرار ، ثم رحلوا وقصدهم
العسكر فصادفهم بقرب يافا ، وكل منهم استدرك بقصده اياها تلفة
وتلافي ، فحال دونهم لقدح مذونهم مجيلا ، ومن جمعهم بقمعهم
مديلا ، وعلى قومهم بوقمهم محيلا ، حتى باسطهم في
ميايينها ، وخالطهم في بساتينها وربطهم بالأسود في
عربنها ، وأسرى الحين الى سراحينها ، فما وصلوا المدينة الا وقد
تخطفوا من حولها ، واستولى الرعب على قلوبهم من بأس الحرب
وهولها ، وخافوا من فريضة مسألة الزكايه وعولها ، وما صدقوا
كيف نجوا وأفلتوا ، وسكنوا فيها بنية الاستيطان وتثبتوا ، وعلموا
انهم ان خرجوا اخرجوا وان سلكوا هلكوا ، وزعموا انهم اذا
صبروا ملكوا .

ذكر ما اعتمده السلطان بعد دخول الفرنج الى يافا

رحل السلطان يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان ونزل
بالرملة ، واجتمعت الاثقال كلها به في تلك الرحلة ، ورحل ليلا
واصبح على يبني ، وجاوزها الى نهر امران الخيام به
تبني ، وزرنا قبر ابي هريرة رضوان الله عليه ، وتبادر الناس
للتيمن به اليه ، ورحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر ، وشرع
فيما عزم عليه من الأمر .

ذكر خراب عسقلان

لما نزل بالرملة احضر عنده اخاه العادل واكبر الأمراء ، وشاور في عسقلان ذوي الآراء ، فأشار علم الدين سليمان بن جندر بخرابها ، للعجز عن حفظها على ما بها ، ووافقه الجماعة ، وقالوا قد ضاقت عن صونها الاستطاعة ، فان هذه يافا وقد نزلوا ولا تفي الحال بحماية البلين ، فإن كل واحد منهما يحتاج في حفظه الى عشرين الف مقاتل ، والى الاستكثار لأجل نخائره ، ممن كل حاصل ، فانظر الى اصوب الرأيين فقدمه ، وابصر اخطر الداعين فاحسمه ، واعمد الى اشرف الموضوعين فحصنه واحكمه ، وتيقن ان عسقلان اذا وصلوا اليها هي سالمة تسالموها ، واستظهروا بها واحكموها ، وثقوا بها على سواها ، وبلغوا من بغيتهم وبغيهم الى منتهاها ، واقتضت الآراء ، اقامة الملك العادل بقرب يافا مع عشرة من الأمراء ، حتى اذا تحرك العدو كانوا منه على علم ، ومن قصده على عزم ، ووصل السلطان الى عسقلان ، وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان ، ولو حفظت لكان حفظها متيقنا ، وصونها ممكنا ، لكن وجد كل له متجنباً متجنباً. وقد راعتهم زوبة عكا وحفظها ثلاث سنين . وعادت بعد ذلك بمضرة المسلمين ، وقال من تعلل واعتذر عن دخولها . وحل عقد عزمه عن حلولها ، تدخلها انت أو احد اولادك ، فندخلها اتباعاً لمرادك ، فحينئذ لم يجد بدا من نقض اسوارها ، وغض انوارها ، وفض سوارها ، وتعفية اثارها ، ولو كان وقع الاعتناء بابتنائها ، مذيوم فتحها واقتنائها ، لما تطرق الى ايدها خلل ، ولا الى ايدها شلال ، ولا الى حدها فلل ، ولا الى ودها ملك ، وقد كنت ركبت اليها وطفقتها واستحسنها واستلطفها ، ورأيت سورها قبل فصم سواره . ونورهمسا قبيل نيول نواره ، فمسا رأيت احسن منها ولا احصن . ولا احكم من مكانها ولا امكن . وسكانها كانوا في رفاهية . فانتقلوا منها على كراهية . وباعوا انفس الاعلاق

بابخس الاثمان . وفجعوا بالاطار والاطان . وساعت اسواؤها .
ونأت انواؤها . واناخت لاواؤها . وباخت اضواؤها . وسمع غناء
المعاول في مغانيها المعولة . ورثيت دائرة الزلزال في دورها المتزلزلة .
وناحت تلك النواحي . ومسحتها المساحي . وجرفتها الجارف .
واخافتها المخاوف . ونكرتها المعارف . وبهرجتها الصيارف .
ونعتها الذواعب . ونابتها الذوائب . ونزلتها الذوازال . وغالتهها
الغوائل . وسفتها السوافي . وعفتها العوافي . وختل مدارس آياتها
من التلاوة . وتختل مجالس مكرماتها عن الطلاوة . وصوحت
مجاني مبانيتها . وطوحت معاني مغانيها . ودجت معالي معاليها .
وعادت مقاوي مقاريها . ووقفت على طولها واستوقفت . وأسيت
عليها واسفت . وتلهبت وتلهفت . وشاهدتها وقد حسرت وحفيت .
ومحي سنا محاسنها وخفيت . وبكيت تلك الربوع . وأهديت
لسنقياها الدموع . فلقد اصيب الاسلام بعروسها . وعبست الوجوه
لعبوسها . حين ثار نقع بوسها . فلما خلت مساكنها من ساكنها .
وتخلف بالبيوت رماد نيراتها . رحل السلطان يوم الثلاثاء ثاني
شهر رمضان ونزل على يبنى . بعد ان ترك سور عسقلان وقد تعذر
ان يبنى . ونزل يوم الاربعاء ثالث الشهر بالرملة . وتفضيل جميله
باد على التفصيل والجملة . وامر بتخريب حصنها وتخريب لد .
وبذل كل في ذلك الجهد . وركب جريدة الى البيت المقدس واتاه يوم
الخميس . واعاد اليه رسم التأسيس . وخرج منه يوم الاثنين ثامن
شهر رمضان بعد الظهر وبات في بيت نوبة . وقد نال بما رتبته من
مصالح القدس المثوبة . وعاد الى المخيم يوم الثلاثاء ضحوه . وقد
اكمل من كل مارامه حظوه . وفي يوم الاثنين ثامن شهر رمضان
وصل صاحب ملطية معزالدين قيصر شاه بن قليج ارسلان . ملتجئا
من اخيه وابيه الى السلطان . فتلقاه الملك العادل . وجاءت منه
الفواضل . واقام في الخدمة السلطانية مدة . واستجد بها جدة .
وقوة وشدة . واستظهر بالمصاهرة . وقوي منها بالمضاهرة . فانه
تزوج بابنة العادل . وعاد بتاريخ مستهل ذي القعدة ناجح الوسائل .

وفي هذا التاريخ وهو الاثنين خرج ملك الانكثير في خياله متذكرا . ليكون لحشاشة لهم وخطابة مخفرا . فخرج عليه الكمين . ونشب به اللعين . وجرى قتال عظيم . وكان لاصحابنا موقف كريم . وكاد الملك يؤخذ ويوقد . والطعن في لفته ينفذ . ففداه فارس من اصحابه بنفسه . وشغل طاعته بما عليه من حسن لبسه . فاشتغل به واسره . واقلت اللعين وأخفى أثره . وقتل واسر من خياله جماعه . وانهزموا من امر تلك الكرة الخاسرة وقلوبهم مرتاعه ، وجرت ايضا يوم الجمعة ثاني عشر الشهر . حرب بين اليزكية وبين اهل الكفر . سفرت لنا بها وجوه النصر . وقتل مقدم لهم معروف بالشجاعة موصوف . ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل على تل عال عند النطرون . وهي قلعة منيعة معجبة للظنون والعيون . فأمر بهدها وهدمها . وقل غربها وثلمها . واشاع بها الاقامة . وافاض فيها على العسكر الكرم والكرامه . وتمكن الناس هناك من الاحتياط على الاثقال . وانفاذ الجمال لنقل الازواد والغلال .

فصل من كتاب الى الديوان العزيز في وصف مطاولة الحروب والجراح وفناء الخيل والعدد والسلاح

قد نهك العسكر طول البيكار . وانضاه قتال الكفار بالليل والنهار . لاسيما في هذه السنين الاربع . فانه لم يعرج فيها عن مباشرة الحروب ومغامرة الكروب على مصيف ولا مربع . ولا شتا ولا صاف . الا حيث صف العدو وصاف . وقد تكررت عليه الزحوف . وتعثرت به الحتوف وتفلت منه السيوف . وتحللت به الصدوف . وتمخضت باحاده الالوف . وتمحضت لجني بيضه وسمره من ورق الحديد الاخضر القطوف . حتى سئم ومل . وضجر وكل . وكم عقد عزمه وحل . وانهل نصله من دم الكفار وعل . وامل النصر فقال عسى ولعل . واما خيوله فقد اجهدها الجهاد . وانضاه الطراد . وفري جلودها الجلاذ . وعزت منها لكثرة الجراح الجياد .

واعادت شهبها كمتا حدود البيض الحداد . وحيث داخلها الرعب من خروج الجروح للجروح . وتفريق السهام منها بين الجسم والروح . صارت تدفر من رنة الحنيه . وأنة المبرية . كأن عندها للاوتار اوتارا . ولطائرات النصال في لباتها اوكارا . أو كأنها لما رأت أنها تباريها في المطار . وتجاريتها في المضمار . ثارت لادراك الثار . وهذا سبب ماحدث من الذفار . وماعادت الان تدخل على راجل الكفار . واما العدد فقد فقدت بالكلية وعدمت . وتكسرت وتحطمت . وتقصفت وتقصمت . وقتلت قبل المقاتل بها وفي يد من استشهد استشهدت . واما الذشاب فانه قد فني . بعد ان اتخد من اخشابه جميع ماوجد واقتني . وقد عدمت اشجاره في منابتها . واعوزت اخشابه من مناحتها . ونفضت الكنائن . وانفضت منه ومن كل ماينخر الخزائن . وماتبرح الصناع في الممالك بمصر والشام . ومايجري معها من بلاد الاسلام . يبرون ويريشون . وينصلون ويعملون . ويكلمون ويحملون . واحتيج في هذه السنين التي استمر فيها القتال . الى احمال كثيرة لايفي بها الصناع ولايرفعها العمال . وحسبها ان نصولها اعدمت من حبيدها المعانن . وخذت من نخائرها الاماكن . هذا والخادم قائم باداء هذا الفرض وحده . مسترهب في قطع دابر الشركين غرب عزمه وحده . ومااستمر على مساعدته . وموازرتة ومعاقده . الا صاحب الموصل وسنجان . وكلاهما عن سنن الاسعاف والاسعاد ماجار . فهو يحضر تاره بنفسه وأونة بولده . ويستمر من جد الموازرة على جده . ويواظب بعده وعده . ومدده في مطاولة مدده .

ذكر ماتجدد لملك الانكتير من المراسلة والرغبة في
المواصلة

وصلت رسل ملك الانكتير الى العادل بالمصافحة على المصافاه .
المواتاة في الموافاه . وموالاته الاستمرار على الموالاته . والاخذ
بالمهاداة . والترك للمعاداة . والمظاهرة . بالمصاهره . وترددت

الرسول اياما . وقصد التثاما . وكادت تحدث انتظاما . واستقر تزوج الملك العادل باخت ملك الانكتير . وان يعول عليها من الجانبين في التدبير . على ان يحكم الملك العادل في البلاد . ويجري فيها الامر على السداد . وتكون الامراة في القدس مقيمة مع زوجها . وشمسها من قبوله في اوجها . ويرضي العادل مقدمي الفرنج والداوية والاسبتار ببعض القرى . ولا يمكنهم من الحصون التي في الذرا . ولا يقيم معها في القدس الا قسيسون ورهبان . ولهم من امان واحسان . واستدعاني العادل والقاضي بهاء الدين بن شداد . وجماعة من الامراء من اهل الراي والسداد . وهم علم الدين سليمان بن جندر وسابق الدين عثمان وعز الدين بن المقدم وحسام الدين بشارة وقال لنا: تمضون الى السلطان . وتخبرونه عن هذا الشأن . وتسالونه ان يحكمني في هذه البلاد . وانا ابذل فيها ما في وسع الاجتهاد . فلما جئنا الى السلطان عرف الصواب . وما اخر الجواب . وشهدنا عليه بالرضا . وحسبنا انه كمال الفرض وانقضى . وذلك يوم الاثنين تاسع عشري رمضان وعاد الرسول الى ملك الانكتير لفصل امر الوصلة . وراحة الجملة . وازاحة العلة . واعتقدنا ان هذا امر قد تم . ونشر انضم . وصالح عم وصلح اذم . وحكم مضي . واستحكم به الرضا . وان الانثى تميل الى الذكر . وتزيل وساوس الفكر . وان بركوب الفحل . النزول عن النحل . وان الشكر يجلب الشكر . ويبذل بالعرف الذكر . وان الوقاع يؤمن من الوقائع . وان القراع ينقضي بانقضاض القارح القارع . وان الحرب بكسر الحاء وحذف الراء سلم . وان غرم العرس في العسر يسر وغنم . وان هذا الاخ لتلك الاخ كفو . وان هذا العقد للخرق المتسع رفو . وان الكدر يعقبه صفو . وان التزويج ترويح . وتقويم لما فيه تعويج . وشاع الذكر . وضاع الذشر . وذاع السر . وبلغ الخبر الى مقدميهم ورؤوسهم . فقصوه على قسوسهم . وعسروا على عروسهم . فجهوها بالعدل والذع . ونجهوها بالقدع والقتع . وقالوا لها كيف تفجئتنا بافجع ملم مؤلم . وتسلمين بضعك لمباضعة مسلم . فان تنصر تبصر . وان تسرع فما تعسر . وان ابي ابيناه . وان اتى اتيناه . وان خالف خالفناه . وان

حالف حالفناه . وأي وجه ههنا للائتلاف . ونحن لاختلاف الدين
ندين بالخلاف . فرهبت بعد مارغبت . وبطلت بعد ما طلبت . وسألت
بعد ما سألت . ونزت بعد ما نزلت . وكرهت وكانت شرهت . وكانت
اكتحلت فودت انها مرهت ، فأرسلت الى الرسول واقبلت عليه
القبول . ثم تصلبت في القسم بالصليب . انها مجيبة الى التقرير
والتقريب . وانها مسارعة الى التكمين . لكن بشرط الموافقة في
الدين . فانف العادل وعدل عن استئناف الحديث . وأبى الله ان يجمع
بين الطيب والخبيث . واعتذر الملك بامتناع اخته ، وانه في معالجتها
وتعرف رضاها في وقته . وكان قد استقر مع تمام العهد . وانتظام
العقد . مفاداة كل اسير بأسير . كبير بكبير . وصغير بصغير . وبشر
اولياء الطاغوت بصليب الصلبوت فبطل التدبير . وعطل التقدير .
وذلك ثاني يوم العيد .

وفي يوم العيد الثلاثاء اعد السلطان من الليل خلع الاكابر حتى
سارت اليهم بكره . واحداث بحسن احتبائه لكل عين وقلب قرة
ومسرة . ثم استدعاهم الى سماطه . ونشر لهم بساط نشاطه .
وجلس الملك معز الدين قيصر شاه بن قليج ارسلان عن يمينه واعزه
بتقريبه وتمكينه . ويليه حسام الدين خضر اخو صاحب الموصل .
ولاسمو منزلته بذو المنزل . وعلاء الدين ابن اتابك الموصل عن
يساره . وهو يؤثره باختصاصه ويخصه بايثاره . ومجاهد الدين
يرنقش مقدم عسكر سنجار جالس . والاكابر كلهم هناك في منزلته
منافس . ثم تفرق الناس بانس جامع . وعرف شائع . وعرف
ضائع .

ذكر نزول السلطان جريدة بالرملة ليقرب من العدو
ومواقفته له في كل يوم .

تواتر الخبر بان الفرنج على عزم الخروج . وانهم على الاجتماع في
تلك المروج . فسار يوم الاثنين سابع شوال . وقد اركب العسكر

للقتال . فلما بلغ قبلي كنيسة الرمله . جميل الحال حالي الجملة . خيم وبات . وذوى البيات والثبات . وجاء الخبر في غد . بانه خرج العدو الى يازور في اوفر مدد ، وتسارع العسكر اليهم . وتكاثروا عليهم . وقربوا من خيامهم . وأخذوا عليهم من ورائهم وامامهم . وناشبوهم بالنشاب . وكاثروهم بالأوباش والأوشاب . فركب الفرنج اليهم ركبة . أوجبت رهبة . وحملوا على الناس حملة واحدة . وحلت عجاجة عليهم عاقدة . فاندفعوا بين ايديهم . فادركوا ضعافا طمعوا فيهم ، وفقد من المسلمين ثلاثة بالشهادة . وكانت مسعاتهم الى السعادة . وكذلك في كل يوم ركب السلطان ما يخلو من وقعه . ولا بد للكفار فيها من صرعه .

ذكر وقعة الكمين

وفي ليلة الاربعاء سادس شوال امر السلطان رجال الحلقة المنصورة . بان يكمنوا في جهة عينها في المواضع المستورة . فكمنوا وامدوا وصبروا وانتظروا . وخرجت الفرنج للاحتشاش . وباشروا عثار انحصارهم في الاصحار بالانتعاش . ولقيتهم اعراب على عراب . بصوارم في ايمانهم كانوا بروق في سحاب . فركبت اليها من الخيام . ورحبت في ترحيب صدورها بصدور الحمام ، فاندفعت العرب امامها . وحققت انهزامها . وما قدرت على قصد موضع الكمين . لانسداد الطريق بالاساد الشم العرانيين دون العرين . فمرت العرب في جانب والكمين في جانب . والخيل تركض بسالب من سالب وناهب من ناهب . ونجا العرب . وفاتهم الطلب . وحضروا باسارى ونهاب . وافراس و اسلاب . فاما اصحابنا في الكمين فانهم ابصروا الفرنج ناهضين وفي المعترك راكضين . فخرجوا على ظن انهم على قصدهم . فلما بصروا بهم نشبوا بردهم عن ودهم . وركضوا اليهم على بعد . فاتعبوا الخيل بما جدوا فيه من احضار وشد . ووصلوا الى الفرنج والجياد قد رزحت ، والقوى قد نزحت .

فاضطروا الى القتال وقاتلوا على الاضطرار . وقتلوا جماعة من كفاة الكفار ، واستشهد ثلاثة من المماليك الخواص الكبار . وهم اياز المهراني . وجاولي الغيدي . وصارو . وسروا في جنات النعيم بما اليه صاروا . واسروا من الفرنج فارسبان معروفان واحضروا عند السلطان وانفصلت الحرب وقت الظهر وعاد حزب الاسلام عن حزب الكفر . وجلس السلطان والقلائع تعرض عليه . والخيل تقاد اليه . والاسارى يحضرون بين يديه . واخوه العادل عنده جالس . وكلاهما لآخيه مؤانس .

ذكر اجتماع العادل بملك الانكتير

وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال ضرب الملك العادل بقرب اليزك لاجل ملك الانكتير ثلاث خيام . واعد فيها كل ما يراد من فاكهة وحلاوة وطعام . وحضر ملك الانكتير وطالت بينهما المحادثة . ودامت المثاففة والمنافثة . ثم افترقا عن موافقه اظهرها ومصافقة قرراها . ومضى الملك واستصحب معه الكاتب العادلي المعروف بالصنيعة ليتفقد الاسارى الذين بيافا . ويتدارك امرهم ويتلافى . وكان قد وصل صاحب صيدا من صور برسالة الماركيس . وانه يرغب في سلوك نهج التانيس . وان يكون للسلطان مصالحا . وله على الطاعة مصافحا . حتى يقوى يده على ملك الانكتير . ويفرد هو بالملك والتدبير . وعرف ملك الانكتير بالحال . فوصل رسوله ايضا بالاحفاء بالسؤال . ومضى العدل مع صاحب صيدا . الى الماركيس على شرائط قررت ونسخ ايمان حررت واما مراسلة الملك فلم تسفر عن المقصود . ولم تجر من تلونه الا على المعهود وكلما ابرم عهدا نقضه ونكثه . وكلما قوم امرا عكسه وعلته . وكلما قال قولا رجع عنه . وكلما استودع سرا لم يصنه . وكلما قلنا يفي خان ، وانا خلنا انه يزين شان ، وعن كل خزي ابان ، وفي يوم الاحد سابع عشر عاد السلطان الى المخيم بالنظرون . واقام على الثبات والسكون وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة سار ابن قليج

ارسلان صاحب ملطيه مودعا وركب السلطان وسار معه مشيحا ، وعقد له على ابنة الملك العادل بصادق مائة الف دينار . ومضى وقد حصل على نخائر من استبشار وافتخار . واستبصار واستنصار . ويسر ويسار .

ورحل الفرنج يوم السبت ثالث ذي القعدة وتقدموا الى الرملة ونزلوا بها . وخيموا في اقطارها وسهوبها . ولم نشك في انهم على قصد القدس بأهل الرجز والرجس . وأقام السلطان وفي كل يوم له سرايا ، للكفر منها زوايا ، ولنا في كل يوم وقعة شديدة وفتكة بالكفر مبيده . وما يخلو يوم من اسرى تقاد . وغنائم تستفاد ، ثم توالى الأمطار ، وتوعرت السهول ، وتوحلت الأوعار . فعزم على الرحيل ، وامر بالتحويل .

ذكر الرحيل الى القدس يوم الجمعة الثالث والعشرين ذي القعدة.

وركب السلطان يوم الجمعة والغيث نازل . والنصر شامل وفضل الله متواصل . ونحن معه سائرون . ومن بركة الجهاد الى بركة القدس صائرون . والقاضي بهاء الدين بن شداد يسايرني . وفي مسألة من الخلاف يباحثني ويناظرني حتى وصلنا الى القدس قبل العصر . وقد نشر للسلطان لواء النصر . ونزل بدار الاقساء المجاورة لكنيسة قمامه . وذوى بها الاقامة . وشرع في تحصين المدينة . لتحصيل السكينة . وصلى يوم الجمعة مستهل ذي الحجة في قبة الصخرة . وضجت الألسنة في الدعاء له بالنصرة .

وفي يوم الأحد ثالث ذي الحجة وصل حسام الدين ابو الهيجاء من مصر ، بعسكر مجر . وتبعته بعد ذلك العساكر المصرية . ووصل الخبر بنزول الفرنج بالنظرون . وأنن ذلك بتزاحم الافكار وتراجم

الظنون وتزايد السكون . وجرت يوم الخميس سابع الشهر وقعة . تم على العدو بها صرعه . فان السلطان نفذ تلك الليلة الى اليزك قريب بيت نوبه . عدة من الفرسان مجدة لم يستصحبوا الا حصنهم المجذوبة . فوقعوا على سرية الفرنج فاستأصلوها . واسروها وقتلواها . ووصلوا بزهاء خمسين اسيرا الى القدس . وعاد ذلك منا ببرد القلب وطيب النفس . وكانت بشرى عظيمة . ونعى كريمه . وحسنى عميمه . وكذلك سابق الدين صاحب شيرز . ومن معه من العسكر واقعهم يوم العيد فقتل من مقدميهم ستة واسر اربعة . وترك بالمعركة منهم مصرعه . وكسب منهم خيلا . وكسبهم ويلا .

يوم عيد الأضحى بالقدس

كانت الوقفة بمكة يوم الجمعة في هذه السنة وتضاعفت الحسنه على الحسنه غير ان العيد بالقدس كان يوم الأحد ، فلم ير ليلة الخميس الهلال احد . ونصب السلطان خارج قبة الصخرة الخركاه الخاص . وصلى الناس في القبة العيد حواليتها العراض ، ثم انصرف السلطان وقد بر عمله . ودرامله ، ووفراجره . واسفر فجره .

وقعة

في يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة أغار على طريق الفرنج بالرملة سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر وكلاهما يجد في الجهاد ولا يقصر . واخذنا غنائم واموالا . وساقا خيلا وبغالالا . وكسبا احمالا واثقالا . واسرا ممن كان مع القافلة ثلاثين . ووقفوا بين يدي السلطان على ركب النذل جاثنين . وتوالى على الفرنج النهوض والنهوب وكسرت وكثرت منهم الكسوب . واستعرت فيهم الحروب . وزادت الكروب وضافت عليهم الارض . واستولى على

عقود عزائمهم النقض ، ورأوا انهم قهروا فقهقروا ، واحاط بهم
البلاء من الجوانب فمصاصوا . ورحلوا الى الرملة
عائدين . وبالسهول من الحزون عائدين ، فان الذلوج دامت على
ولئك العلوج . وصدتهم عن الدخول والخروج . ونزلت بهم النوازل
في تلك المنازل ، فنفروا راحلين الى السواحل . وذلك يوم الخميس
الثامن والعشرين من ذي الحجة . فطابت قلوبنا بما وضع في النصر
من المحجة . وثبت الحق على الباطل من الحجة .

ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة القدس وحفر خندقه وتجديد سورره واعادة رونقه

وفي هذا اليوم وصل من الموصل جماعة من الحجارين . وعدتهم
خمسون رجلا . اذا اجتمعوا قطعوا جبلا وقد سيرهم صاحب
الموصل الى القدس للعمل في الخندق وتعميق الحفر . والقطع في
الصخر . وقد سرفهم بنفقة . وجعلهم من الاحسان على ثقة .
واصحابهم بعض حجاب . ونداهم بندى سحابة . وسير مع المندوب
مالا يفرقه عليهم في رأس كل شهر . ويتعاهدهم في كل يوم بتفقد
بر . واقاموا نصف سنه . واتوا في صنعتهم بكل حسنة . وصمم
السلطان على حفر خندق جديد عميق . وانشاء سوروثيق وأحضر
من اسارى الفرنج قريب الفين . ورتبهم في العمارتين . وجدد
ابراجا حربية من باب العمود الى باب المحراب . وأنفق عليها من
المال ما خرج عن الحساب . بناها بالأحجار الكبار الثقال ، فجاءت
ارسي وارسخ من الجبال . وكان الحجر الذي يقطع من الخندق
يستعمل في بناء السور واذا تكملت العمارة على ما رتبته للقدس
المعمور . كان أمنا من قصد العدو المدحور . وفي عصمة الله من
المخوف المدحور . وقسم بناء السور في مواضع على اولاده واخيه
الملك العادل وامرائه . وصار يركب كل يوم ويحض على بنائه .
ويخرج الناس على حمل الحجر الى مواضع البناء . ويتولى ذلك

بذفسه وبجماعة خواصه الأمراء . ويجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية . وحواشي العسكر والاتباع والرعية والسوقية . وكنت اركب في غلماني واتباعي واحفظ قلب السلطان في نقل الحجر واراعى . فبني في اقرب مدة ما تعذر بناؤه في سنين وبذل جهده في التحصين لتأمين المؤمنين .

ذكر من توفي من الأكابر والمعروفين في هذه السنة

وفاة تقي الدين

توفي الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ابن اخي السلطان . يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان . وهو على حصار ملاز كرد من عمل ارمينية وقد سبق ذكر مسيره الى بلاد الجزيرة . لاستمداد الامداد الكثيرة واستجناد الانجاد . والاستتجاد بالاجناد . والجمع من جميع الجهات للجهاد . والعود سريعا بالحشود الجامعة والجموع الحاشدة . والجيوش المترادفة المترافدة . والجند المتوافرة المتوافده . والقواضب الفاصلة . والهواضب الهائلة . والمصافحين بالصفاح . والمختالين في اعطاف المراح باطراف الرماح . والحاملين الجبال على الرياح . والمتعطشين الى انتجاع النجيع لارواء الارواح . ومكث السلطان على انتظاره . متوجسا لأخباره . مستوحشا من ابطائه . متعطشا الى انبائه . منتظرا لوفائه . فلما اخذ الفرنج عكا نسب ذلك اليه واحتسب الله عليه .

فأما تقي الدين فانه عن له ان يمضى الى ميافارقين . واستصحب اليها عساكر ماربين . ونفذ الى السويداء وانتزعها من ايدي اصحابها . واستحوذ على جميع ما بها . وحاصر مدينة حاني فتملكها . وكانت له مقاصد في بيار بكر فأدركها . واقتطع بلادا من ولاية ابن قرا ارسلان واقطعها . وارعب القلوب بما ابتدا به

وابتدعه وروعها . وتأخرت عنا بسبب ذلك عساكر بيار بكر .
وحصلت منه على عذر وذعر . وراعت هيبتة ، وهبت روعته . ودبت
الى الخواطر مضافة اخطاره . وشبت في القلوب لوافح ناره .
وارتجت تلك الآجام من زاره . وازورت من مزاره . وبليت ذلك البلاد
ببلائه . وهابت الأعداء هبة أعدائه . وزلت الأقدام
لاقدامه ، وانخفضت الاعلام لاعلاء اعلامه . نفي عدله من جبل جور
جبله الجور ، وأنهب بـنـهايه اليهـا فـورـان
الفتنة على الفور ، وبخل قلب قلب ، وحكم في عاداتها الغلب
القضب ، وقصد عسكره عسكر بكتمر فكرسه ، ثم سرح بالاحسان
وأطلق من أسره ، فغار بكتمر واشتعل بنار الأنف أنفه ، واعتلق
بانن الشنف شنفه ، وانتخت حميته ، وحميت نخوته ، وغيرته
غيرته ، وعيرته رعيته ، وأودعته الهـم هـمته ، وحركته
عزمته ، فاجتمعت جماعته وأمه أمته ، وما رجأ له نجح رجائه
رجاله ، وما أبطأ له عن اعانتة أبطاله ، وأجناه ثمر الطاعة
أجناه ، وأنجاه بجهد الاستطاعة انجاهه ، وجر عسكرا
مجرا ، وساق الى الحرب بحرا ، وأوقد بالجمع جمرا ، وجلب
بيضا وسمرا ، ودهما وشقرا ، وصوارم بـترا ، وصواهل
ضمرا ، وانهض كمتة وكماته ، وحشد رعيته وذوي حميته
وحماته ، وساكني ولايته وولاته ، وندسوره وبغائه ، وسمانه
وغثائه ، ومتانه وراثته ، وشباعه وغراثه ، وجاء في سواد اسود
منه الجو ، وانسد بظلامه الضو ، وتحلى بنجـومه ليل
العجاج ، وتجلي بسفوره صبح الهياج ، وأبرق وأرعد ، وتحدر
وتصعد ، وسار بين الأكام بالأكام ، وضاهى الاعلام
بالاعلام ، وأنكى مذاكيه الجياد ، وأجرى ضوامره وهوايها قد
ملات الروهاد ، وأنى الى الأساد الأساد ، وأغرى بالجلاد
الاجلاد ، وجذب الجماح عرانه ، وجلب الكفاح رعانه ، وضرع
المراح رماجه ، وأطلع في سني الصباح صفاحه وماجت غدران
دروعه ، وهاجت غران جموعه ، ومالت المراز ، وجالت
الأقران ، وسال المرت ، ومرت السيول وتسهلت الوعور وتوعرت
السهول ، وانقض القضاء ، وانقض القضاء ، واشتكت الأرض من

الحوافر الحوافر وقعا فأثارت لفرط تألمها على شرط نظلمها الى
السماء نقعا ، وحدثت في وجه الفلك ترابا ، وحدث الأتراب الأتراب
طعانا وضرابا ، وخاف على خلاط واختلط من المخافة ، فقصر الى
الملك المظفر طول المسافة ، فلما عرف اصحار خارده ، وانتشار
بواده • وانتهاض قواده ، وارتكاض صلامه ، وانقضاض
شهب قواضيه ، وانفضاض دهم سلاهبه ، اصطف بمن اصطفاه
من الأنجاد الأنجاب ، وفض على الفضياء سحاب
الصحاب ، وبسط على البسيطة رداء الردي ، وأعدى بعلوه على
العدا ، وركب في كل ضرب بعد الضرب ضربا من الضرب ، وكل بطل
لحق المبطل محق الطلب ، وكل باسل سالب من كباش الأقران
القرون ، وكل عاسل بعاسل يمين بالمنى ويمون المذنون ، وكل شجاع
اشاجعه وصائل القواطع ، وكل مقدم قواده عوائق الوقائع ، وكل
طائر بأجنحه السوابق ، زائر بأسلحه البوائق ، مخلوق بخواني
الخوانق ، مطرق لطوارىء الطوارق ، وكل ذمر مشيح بالذمار
شحيح ، وكل قاس قدوسه عاطف ، وكل راع نصله راعف ، وكل
صاد عزمه صادق ، وكل رام لحظ سهمه الى المقاتل رامق ، وأيد
رجاء الرجال بأيابه ، وقوى عزائم اوليائه لأضعاف
أعابه ، ورغب بالرغائب واملى ضيوف الآمال بفيوض أمواه
المواهب ، ونخى المنتخبين ، وانتخب المنتخبين ، وأقدم في كل مقدم
مقدام ، وضيغم ضرغام ، وهمام همام ، ومعتقل اسمير يرشف ظلم
القلوب ، ومشتمل ابيض يكشف ظلم الحروب ، وكل من يخال
الطعن ضرب القداح والضرب بجد السوام ، وكل من ينال اعتزاز
الجد بجد الاعتزام ، وكل من يعيد اقاحي البيض شقائق ، ويصل
بها انا فارقت اغمادها المرافق ، وكل من عنانه في يمين
الجماح ، وسنانه مرود عيون الجراح ، وكل من ذبال سمهريه
يلتهب ، وذباب مشرفيه يضطرب ، ووجه صوارمه تبكي
وتضحك ، وعيون تفتك وتبتك ، ولحاظ سهامه عن حواجب قسيه
ترمي ، وسواعد سيوفه من أيدي الأيد تمد وتدمي ، وكل اشعث
الهامة ذي همة ، تشعب صدع كل ملمة ، وكل شهيم شيطمي • اباء
حمي • مجرب محرب • مقرب على مقرب • مظهر على

مطهم • جار بمرجم ، باز بمخدم ضار بأرقم ، جواد حلیم تحمد في الوغى جهلاته ، على جواد كريم ، تدعو الى الردى سهلاته ، وكل بحر مستلثم بغدير ، وكل من عنده اذا لبس الحديد انه لا يس حرير ، فلما بصر عسكر خلاط بعسكره اختلط وادوا استدرک الغلط ، وجاش وطاش ، ورام من عثرته الانتعاش ، وولى هزيما ، ولوى هشيمما ، وأغزم العسكر التقوي سلاحه وخيله ، وجر على تراب الذلة نيله ، وظفر الملك المظفر بالملك ، واسلم العدا الى الهلك ، وقيد اليه امراء اسروا واصحاء كسروا ، فأطلق سراحهم ، وانهض بدشريفاته جناحهم ثم رحل من صحراء موش ، وساق الى خلاط الجيوش ثم بدا له من حصارها فأقرها بسلب قرارها ، وعرج على قلعة شميران فتشمر لها ، وفتح مقلها. وكان مجد الدين بن الموفق وزير خلاط بها محبوسا ، ومن حياته يؤوسا فخلصه واستخلصه ، وكسر حتى طار منه قفصه ، وانه لمن اعجب القصص لو شرحت قصصه ، ثم راح الى ملار كرد ونازلها بالتضييق ، وقاتلها بالمنجنيق وحشد اليها الامداد ، واروى فيها من عزائمه الزناد ، وجاءته عساكر أرزن الروم منجبة من جده ، موجدة لما لها من موجدة ، تقدمها الملكة ماما خاتون بنت سلدق ، وكأنها في الأهبة والأهبة من ملوك سلجق ، ووفد الى تقي الدين الجنود ، ووافقته السعود ، وخافته في غاباتها الاسود وغربت به العقول وعلقت به العقود وتوطدت له البلاد وتوطأت وتهيبت وتهيات ، واستندته الممالك القاصية ، وأطاعته المقاصد العاصية ، وتشدفت له مسامع الاقطار بافراط السمع والطاعة ، وعم الامحال تلك المحال ففض بما افاضه من فواضله مجاعة الجماعة ، ورجي وخشي واعتفي وغشي وامتلات الطرق بالوقود والجنود ، وتوالت اليه امداد البأس والجود ، فبينما هو في غفلة من القدر ، وغفوة من الكدر ، وغرة من الغير ، وقد ألهاه حديث الدنيا عن الحادث الداني ، وجني الحياة عن الموت الجاني وزيارة الأمـال ، عن زيارة الأجـال ونزل المنى عن نوازل المنون ، وسكن الأتراب عن التراب المسكون ظهر له سر الغيب المكتوم ، وأدركه القضاء المحتوم ، ومرض اياما ثم قضى وانقرض

عهده وانقضى ، وكنتم ولده الملك المنصور ناصر الدين محمد وفاته ، الى ان خرج من ذلك الاقليم وجاوزه وفاته ، وفتحت ملاز كرد بابها ، وسلم الرب اربابها ، وخرج ولد تقي الدين بعسكره وماله سالما ، وجد في مقام والده يظهار شعاره قائما ، وجاءت رسله الى السلطان تسأله في ابقاء بلاد ابيه بيده ، حتى يبقى مستمرا على جده ، وطلب من السلطان الميثاق له بأغلاظ الايمان فلم يقبل الشرط واشتط فشط وجلب له الشطط السخط ، وأقام على التباعد ولم يتدارك بالوصول مامنه فرط ، ونسبوه في استيحاشه الى العصيان ، وسعوا له في اسباب الحرمان ، حتى انتخى له الملك العادل فمضى لاحضاره وجرى الأمر على أيثاره . وسيأتي ذكر ذلك في حوادث سنة ثمان .

وتوفي في هذه السنة حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ابن اخت السلطان

توفي بدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان يوم وفاة تقي الدين فأصيب السلطان بابن اخيه واخته في يوم واحد ، كلاهما له اقوى ساعد ، وأوقى مساعد ، فياله من حسام أغمد ، وهمام الحد ، وركن وهن . وكنز دفن ، وبحر غاض ورزء هاض ، وصبح كسف . وبدر خسف . لقد غامت الأيام لغمه ، وذكلكته الدولة ثكل امه فانه كان واحدا وعضدها ومعاضدها وهو الذي فتح نابلس وأبقاها السلطان معه ، وأبقى فيها من سنن العدل ما شرعه ، وقد سبق في الكرماء ما ذكره ، وذكر في المكارم سيفه وقـرظ حذقه ، ووصفت مقاماته ، وقمت بصفاته ، فان له مواقف في الجهاد مشكوره ، ومقاطف لحني النصر مشهورة ، فقطع الأجل عليه طريق الأمل ، وأعاد حلية الزمان به الى العطل ، وأوهن عقد شبابه الطري وحله ، وثلم حد شباه الطرير وقله ، وما زال في غزواته مثيرا للتراب الى أن سكن عليه التراب وسكنه ، وطالبه

الثرى بحق خلقه معه فاسترهنه، وغارت عليه الأرض بانطلاق سموه ، الى السماء فاعتقلته ، ووجدته في اوج الفلك في النيرات فذقلته ، وماكان انكاه وانكاه ، واصحه واصحاه ، وابهجه وابهاه ، وأضوعه وأضواه ، وأوعاه للفضائل وأحواه ، ولقد فجعت به صديقا صدوقا ، وشقيقا شقيقا ، ورفيقا رفيقا ، فلهفي عليه من شهم توطن التراب ، وسهم اصيب بعد ما أصاب.وجواد بلا حساب لم يخطر بالبال من رزئه حساب (لكل أجل كتاب) (الرعد ٣٨)

وتوفي في هذه السنة علم الدين سليمان بن جندر وقد سبق ذكره في غزواته ، ومواقفه ومقاماته ، وكان في الخدمة مقيما ، والسلطان الى الأندلس به مستنهما ، فعرض له مرض استأذن لأجله في العود الى وطنه بجلب ، وسمح له السلطان بجميع ماطلب ، وتوجه من القدس سادس عشر ذي الحجة ، واستقام على المحجة ، وقضى نحبه عند قربه من دمشق في قرية غباغب ، وستر التراب منه المناقب ، ووصل الخبر بوفاته الينا يوم الخميس ثامن عشرين الشهر .

وفي هذه السنة فتك بأتابك مظفر الدين قزل ارسلان ابن ايلد كز في همذان ليلة الأحد مستهل شعبان .

كان تولى الملك بعد وفاة أخيه المعروف ببهلوان في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ونجحت ارادته ، ورجحت سعادته ، وصلحت عاداته ، وكان السلطان السلجقي طغرل بن ارسلان تحت حكمه ، وهو ابن أخيه لأمه ، وله اسم السلطنة ولقزل حكمها ، وله سموها ووسمها ، فأذف السلطان من كونه تحت حجره ، وبحكم نهيه وأمره ، فانه لم يكن له صاحب ولا غلام الا من عنده ، ولم يذفرد منذ تولى بحله وعقده فهرب وحده تحت الليل ، واتصل به بعد ذلك من انضم اليه من الخيل ، ودام غائبا في نواحي دامغان مدة ، واشتد مصابه واصاب شده ، فاتصل به عنة من مماليك

بهلوان الخواص ، وسلكوا معه نهج الاخلاص وأعادوه الى سرير ملكه ، وانتسق امره في سلكه ، وقويت يده . وتأيدت قوته . واجتمعت كلمته . وتكلمت في الامر والنهي جماعته . ورهبه قزل ارسلان ولازم نعره . وأخذ منه حذره . وتنافس الأمراء وممالك بهلوان الذين تبعوه . وأعلوا شأنه ورفعوه . وسعى بعضهم ببعض وقابلوا كل ابرام من مكرهم بنقض . وقالوا له هؤلاء البهلوانية يفتالونك . وبالسوء ينالونك . فابطش بهم قبل أن يبطشوا . وعثرهم قبل أن ينتعشوا . فسمع مقالهم . وتبع محالهم . وقتلهم بحضرتة وهم غارون . وساءهم باغتيالهم وهم بالمغالاة فيه سارون . فذفر منهم كل أنس . وحفظ نفسه من كل منافس . وزال بشره وبقي بوجه عابس . وفارقه بنو البهلوان بجنايته على ممالك أبيهم . ولقوه بتأبهم . وقصده قزل ارسلان فأزعجه . وأخرجه من دار ملكه وأخرجه . وأجاس سلطانا آخر موضعه . وكدر عليه بالشوائب والنوائب مشرعه . وخطب لمعز الدين سنجر بن سليمان شاه وأطعمه طعمه . وأرضاه بالاسم . وأجراه على الرسم . وكاتب سلطاننا وعقد له الصداقة بصدق الاعتقاد . وانتظمت بينهما أسباب الانجاد . وكان السلطان طغرل إذا خلت همذان من قزل ارسلان يعود إليها . ويستولي عليها . ثم اذا عرف قربه بعد . واذا علم بعده قعد . وشرع يقتل أصحابه بالتهم . ويشدد في النهب لشدة النهم . فقتل فخر الدين رئيس همذان . وبث العدوان . وقتل وزيره العزيز بن رضي الدين المستوفي لأمر توهمه . ولخاطر لم يكشف مهمه . فالجأ الزمان إلى الوصول إلى الامير حسن بن قفجاق . وشكا إليه من أهله وأصحابه الشقاق . فخرج معه وأزره وضافره . وظاهره بعد أن صاهره . وزوج أخته منه . وحمى جانبه وذب عنه . وراسل سلطاننا قزل ارسلان حتى يصالحه . ويصافحه على الوفاء ويسامحه . وكاد أن يتم الصلح . ويسفر بعد ليل الفتنة الصبح . فلما تقاربا للمصالحة تحاربا . واتهم كل واحد منهما الآخر فتواتبا . وأوقع قزل ارسلان به وبالتركمان . وعادت الفتنة ملتبهة النيران . وساق السلطان طغرل الى همذان . فمضى وراءه قزل ارسلان . فخرح اليه ثقة بما سبق من الايمان . فصرف

عنايه • وقبضه وأعرض عنه واعترضه • وحبسه في بعض القلاع •
وأبعد عينه وأثره عن الابصار والاسماع • فاتسقت له المملكة •
واستقر منه السكون والحركة • وكانت أصفهان منذ توفي البهلوان
قد اضطربت واحتربت • واقتربت الساعة بها وخربت • وقتل في
ثلاث أربع سنين منها في محاربة العوام ألوف • وتوالت بها حتوف
وزحوف • وكانت الشحن من جانب قزل على الشافعية • وقدوا
أيدي الترايبية في تخريب المدرسة النظامية • فاحوجت الضرورة إلى
أن اصحابنا دعوا بشعار السلطان • ووجدوا القوة به أمام قوته
والامكان • فلما اعتقل طغرل • واستمر أمر قزل • مضى إلى
أصفهان فاخذ رؤساء الأصحاب في الحال • وأجرى عليهم القتل
والاغتيال • ثم عاد إلى همذان وقد قوي وروي • ونال ما هوي •
ونشر من أمره ما كان طوي • وجلس على سرير الملك وضرب النوب
الخمسة • ووجد بعدم من يوحشه الانس • ولها ولعب • وشرب
وطرب • وغفل عن القضاء المشتبه • ونام عن القدر المنتبه • واغتر
بالعيش الرفه • وحلم عن الخطب السفه • وبات في قصره • وقد غاب
في سكره • وهو بين خدمه • وحشمه • وعسسه • وحرصه • وعتقائه
وأرقائه • ومستخصية • ومستخلصية • فوجد على فراشه وهو
قتيل • ولم يذكر كيف قتل ولم يكن عليه سبيل • فنسب قتله إلى
الاسماعيلية تارة وإلى الخاتون الانيانجية أخرى • والله أعلم بما به
حكمه أجرى • ولما أصبحوا قتلوا صاحب بابه وحل العقاب به دون
أربابه • وجلس قتلغ اينانج بن البهلوان موضعه • وجمع له ملكه
ومتعه • ومضى أخوه نصره اللين أبو بكر إلى انزبيجان وأرانيه
سائقا إليها واستولى عليها • وأما السلطان فإنه أيس منه • وسلا
من كان يواليه عنه • فتعصبت له امرأة متولي القلعة ودبرت في
خلاصة • وهونت على زوجها أمر استصعابه واعتياصه •
واستعانت بمن أعانها • وأعلت بإعلاء شأنه شأنها • ولما برز بخل
مدينة تبريز • وكانما الكير أخرج الابريز • ثم جمع ومضى على
سمت همذان • فلقى قتلغ اينانج وعسكره بين أوه وزنجان •
فكسره وهزمه • وقل حده وتلمه • ومضى إلى همذان • وجلس على
سرير ملكه وذلك في سنة ثمان • وسياتي ذكر ذلك إن شاء الله •

وتوفي في هذه السنة بدمشق من المعروفين من أصحاب السلطان صفي الدين أبو الفتح ابن القابض وكانت وفاته في الثالث والعشرين من رجب ولقد كان سريا . وبالحمد حريا . وفي حلبة المكارم جريا . ومن الخيانة في ولايته بريا . ومن العار عريا . ولم يزل زند مضائه وريا . وكانت له سياسة ورياسه . ونفس ونفاسه . ورأي وفراسه . وفطنة وكياسه . ومروءة وفتوة . وثبات جنان وقوة . وكان قد خدم السلطان أيام عدمه . وهو في كفالة أبيه وعمه . فلما ملك مصر أمرجه في أموالها . وحكمه في أعمالها حتى نال المنى . ووجد الغنى . فقال له قد اكتفيت واستغنيت . وإن صرفت الآن ما باليت . فاصرفني عن العمل . فقد نلت غاية الأمل . فعاش غنيا . ومات جشريا . وورث السلطان بعض ماله . وذلك ما فضل عن افضاله ، فانه فرق على ممالিকে املاكه وماله ، واخفى بعد وفاته بما بذله حاله .

وفي هذه السنة في شهر ربيع الأول توفي الحكيم الموفق ابن مطران وكان بارعا طريفا ، نظيفا عفيفا ، وفقه الله في بدايته لهداية الاسلام ، ونال اسباب الاحترام ، وتقدم عند السلطان . وماشانه وهو كبير الشأن ، وكانت له دراية ودراسة ، وذكاء وفراسه ، ولم يزل متلطفا في طيه ، متعظفا بحبه ، متحببا الى القلوب . متقلبا من قبوله في المحبوب ، صبيح البهجة فصيح اللهجة ، صحيح الحجّة بوضوح الحجّة ، ولم يزل له عند السلطان وذوي الجاه جاه ، ولجده انتباه ، ولدائاته بالشفاء شفاه ، حتى حان اجله . وخان امه وبان عنه حلى حاله وبان عطله . وكانت له عندي يد اذكرها واشكرها . وعارفة اعرفها ولا أنكرها . وذلك انني في ذي القعدة سنة ثمانين كنت متوجها في خدمة السلطان وفي صحبته متوليا للانشاء منفردا بمرتبته . فلما وصلنا الى بعلبك انقطعت عنه بها لمرض عرض وشكا جوهرى العرض ، وانتهى اليه بدمشق ما الم بي من الألم ، فتنقسم فكره من خبر السقم ، وركب ووصل في يومه حتى ادركني ، ومرضني وما تركني وداواني حتى

أبالت ، وأزال الله انحراف مزاجي بطبه فاعتدلت ، وصحبتني الى دمشق وسبق الى أوليائي بالبشرى وشكرت الله على النعمي ، وكذلك كان يطلب مرضاتي ، في جميع مرضاتي ، فلما مرض الطبيب لم ينجع في مرضه الطب ، وتوفاه الرب .

وفي آخر هذه السنة توفي الفقيه العالم الزاهد نجم الدين الحبوشاني بمصر وهو الذي بنى المدرسة عند ضريح الامام الشافعي رضوان الله عليه وأحيا شعار التوحيد ، وبنى امره على التشديد والتسديد ، وحفظ شمل الشافعية من التبديد ، وكان السلطان مجيبا له الى كل ما يستدعيه ، ويقضي له من الدوائج ما يقتضيه ، ووقف على المدرسة التي بناها ووقفا واعطاه في بنائها الوفاء فلما توفي طلب المدرسة جماعة من العلماء ، فلقوا بالاباء ، ثم شفع الملك العادل في صدر الدين علي بن حموية وهو شيخ السيوخ ، ويعرف في العلم والعمل بالرسوخ ، فكتب بها له ، ورتب بوقتها وتدريسها استقلاله ، وذلك في اواخر سنة ثمان وثمانين ثم صرف بعد السلطان عن المدرسة ، وبذلت الوحشة من الانسه .

فصل كتب الى بعض الأكابر في الدخول الى القدس

اتفق بخول الشتاء وتواتر الأنداء ، وتوفر الأنواء وسح الأرض وشح السماء وانقطاع الجلب واتصال الغلاء ، وبعد الراحة لقرب الأعداء ، وملل العساكر لدوام الهيجاء ، والمقارعة واللقاء وكانت مدينة القدس محتاجة الى توفر الهمم على شحنها بالرجال والميرة والقوة والعدة والخيرة ورأيناها من أحسن المدن واحصننها واحكمها واوجدنا بها جدتها بعد عدمها ، ورتبنا بناء سوارها على جوانب اودية وسفوح ، متى تم لم يبق فيها لطمع من طموح ، وهذا امر الله وفي طاعته ولدحفظ بيته ولنصرة بينه ولاعلاء كلمته ، ولحماية امته ، ومالنا فيه الا السمسرة ، وما رجأؤنا الا الاجر والمغفرة ، وما نصيب الا نصيب واحد من المسلمين المجدين .

والمؤمنين المعين للبين . فما اسعد من ساعد فيه . ووفى باسعاف
عافيه . هذا والكفر قد اناخ بكلكله . وحفل بجذله ويرزالي
الاسلام بكليته . وعراه ببليته . وقامت قيامته لقيامته . وثار لنار
قيامته ، ورمى مهجته على الموت لمقبرته ، والبيت المقدس الذي
شرفه الله وكرمه ، وعصمه كما عصم وحرم حرمه ، مقام الأنبياء
المرسلين ، ومقر الأولياء والصديقين . وموضع معراج سيد
المرسلين ورسول رب العالمين . وفيه نزل جبريل بالبراق . وصعد
المصطفى صلى الله عليه وسلم . الى السبع الطباق . واهدى الله
ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيه الاشراق الى الافاق . وهؤلاء
الملاعين قد اغذوا لقصده ، واعدوا لورود رده ، وقد فرض في هذا
الأوان رفض التواني ، واستدعاء ذوي الحمية من الاقاصي
والاداني ، وان لم يتساعدوا في الربيع القابل ، على انهاض
الجافل ، صعب الامر واشتد واحتدم الخطب واحتد ،

فصل في شكر صاحب الموصل على انفاذ الجصاصين لحفر الخندق

قد اصبح البيت المقدس يقدس ويسبح ، ويعرف عن فضيلة
منجده ، ويفصح ، فقد وصل الرجال الواصلون بالنجح
ارجاءه ، الحامون بحفر خندقه ارجاءه ، وما فيهم الا من ابان عن
جده ، وابان بحده والان الشديد بشده ، وثلم الحديد بذلم الصخر
وهده ، وهذه لاشك مقدمه لما وراءها من نتائج النجدات ، وجدوى
سابقة للواحق في مناهج الجدات . وعارفة معرفة في قمع العداة
باجراء العادات في انجاز العداة ، والعدو انتظار لنجدات بحرية
وارتقاب . وومضات جمر تحت رماد كيده يوشك ان يكون لها
التهاب ، والهمة السامية لا تفتقر في هذا الباعث الى باعث ، وعند
عزائم حديث كل حادث .

وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة كتبت منشور حسام الدين
سياروخ النجمي بولاية القدس .

وكانت ولاية مديسر الله فتحه ، وحقق للأمل فيه نجحه ، واطلع
للليل النصر صبحه ، الى الفقيه ضياء الدين عيسى مروضه .
وصعاب اعماله وشعاب احواله بنصرة آرائه ونصرة الآئه
مروضه ، وقد استناب فيه اخاه الظهير ظهيرا ، ولم يزل رواؤه
وبهاؤه به شهيا شهيرا الى ان استشهد في شعبان سنة خمس
وثمانين ، وتوفي الفقيه عيسى في ذي القعدة منها وانتقل الى
عليين . فأبقى السلطان نوابه من بعده ، محافظة على عهده ، وكان
الأمير سياروخ بالقدس مقيما . والنظر في مصالحه
مستديما . ويضم من امره ما يراه منشورا ، وكتبت له في التاريخ
المذكور باستقلاله منشورا :

الحمد لله الذي اقصى من المسجد الأقصى من دانا من الكفر
وذنسه ، ونزه البيت المقدس من رجس اعدائه المشركين بأيدي
اوليائه الموحدين وطهره وقدس ، وانطق محرابه ومنبره بتلاوة
الذكر المبين وأسكت الناقوس واخرسه نحمده على ما عصمه من
الدوزة وحرسه . وفرجه من الشدة ونفسه ، ونسأله ان يصلي على
نبيه محمد المصطفى الذي شرع الدين وشرحه، ومهد الشرع
واسسه . وبطل الكفر وعطله . وارغم الشرك واتعسه ، وعلى آله
 واصحابه الذين اعلى الله بهم منار الحق . واضفى ملبسه واصفى
مورده ، وازكى مفرسه ، وبعد فانا مذ فتح الله لنا بيته المقدس
وخفض باعلاء اعلامنا راية الكفر ونكس ، وكسا بأيامن ايامنا وجه
الدين البشر من بعد ما كان تعبس ، وخصنا بفضيلة فتحه وجعل لنا
به الحظ الاجزل الافضل الأكرم الانفس ، مانزال نطلب وليا لله
يكون له واليا ، ويعود عاطله بتأثير احسانه وحسن آثاره وايثاره
حاليا ، ويرجع بنظره الشافي وتدييره الكافي ما انخفض من منار
الهدى عاليا ، ولا يزال على بال منا ان نحبي به من رسوم الايمان

ونجد من معالنه ماضل بمقام اهل الضلال فيه دارسا باليا ، وقد
اختبرنا الامير حسام اللين فألفيناه لاهلية هذه الولاية
جامعا ، والى مضمار السبق في هذه المكرمة مسارعا ، ووجدناه
بأعباء الأمانة ناهضا ، ولزبد المناصحة والصحة فيه ماخضا
ماخضا ، فاستخرنا الله تعالى وعولنا عليه في ولاية مدينة القدس
وأعمالها ، وعذقنا برأيه الراجح وسعيه الناجح مهام
اشغالها . وحكمناه في تحصيل مصالحها ، وتسهيل
مناجحتها ، وسداد ثغرها ، وسداد امرها . ورعاية امورها
وعماره حريمها وسورها ، وتطويل باع ساكنها ، وتأهيل رباع
اماكنها ، واسكان مواطنها ، وتوطين مساكنها ، وتطهيرها من
اناس ابني الناس . وتعميرها بالعدة والعدة والشدة والقوى
والباس . فليتول ذلك بقوة ناهضة ونهضة قوية وروية مبصرة
وبصيرة روية . وليستشعر تقوى الله التي تقوى بها العزائم .
وتتوفر منها المحامد وتكمل المكارم . جاريا على مقتضى الشرع في كل
ما يحله ويعقنه . ويقدره ويمهده . ويصدره ويورده . والله عز وجل
يوفقه ويسعده ويعضده .

ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمسائة والسلطان مقيم بالقدس في
دار الاقساء جوار قمامه ، واظهر بها لتقوية البلد الاقامة ، وقد
قسم سور البلد على اولاده ، واخيه واجنانه ، فشرعوا في انشاء
سور جديد ، محقق به منيد ، وكان يركب كل يوم مصح ، مشمس
مضح ، فينقل الصخر على قاربوس سرجه ، فيستن الاكابر
والامراء في نقل الحجارات بنهجه ، فلو رأيتوه وهو يحمل حجرا في
حجره . لعرفت ان له قلبا كم حمل جبلا في فكره . ولقد جد في حماية
الصخرة المقدسة حتى حمل لها الصخور ، وانشرح صدره
لانضمامها الى صدره حتى باشر صدور ممالكه به الصدور ، وما
تغلو دار بينيها في الجنة بنقل حجارتها ، ليكون ملاكا في دارها
وقمرا في دارتها ، وكل بناء قفلت حجارتها ، ووقفت عمارته ، ركب
وبكر اليه ، وجمع الحجر بنفسه واجناده عليه ، فإذا اكتفى انتقل
الى موضع آخر ونقل اليه الحجر ، ولقد بنى به في غرفات الجنات

الحجر . وأثر رواة سيرته الحسنة منها الأثر ، وما أعمرا احسانة واحسن ماعمر . وداوم البكور بالركوب وعرض وجهه الكريم للشحوب ، والتزم الأمر التزام الوجوب ، ولان له الصخر لين الحديد لداود . وجد في فض جدته وأفاض الجود . وكان حجر الخندق صلباً لايتأتى قطعة . ولايتها بكل آلة صدعه . فاتخذ من الفولاذ قطاعات . واخترع على الحدادين آلات . فأمكن الصلب ووهن الجلد . وتيسر الصعب ولان الصلب . وصرخ الصخر لما حاف الحفر ، وضج الحديد لجلد الجلمود ، وصفا قلب الصفا لاصاخة الصيخود ، واعولت المعاول ، وجدلت الجنادل ، وسمعت الصماء صوت السطو ، وخرج جرج الاساءة اليها عن الاسو . وفلقت القطع وقطعت الفلق ، واتسع الضيق وتعمق الخندق ، وطاب العمل وطال الأمل ، وحز الحزم وحزن الحزن ، وركنت القوة وقوي الركن ، فلا ترى الا سورا يعلو وخندقا يسفل ، وبناء يسمو وحفرا ينزل ، وبرجا يسقف ، وبنينا يشرف ، وحجارة تبني ، وعمارة تثني ، وكاسا يحرق ، وأسا يوثق ، وطاقا يعقد ، ورواقا يمهده ، وطلاقات تطلق ، ومرامي تخرق ، وستائر تحجر ، وحفائر تقهر ومصاعد تهندس . وقواعد تؤسس . ومعارج تسفح . ومخارج

تفسح . وموالج تسرب ومدارج ترقب . حتى احكم المكان بكل ما في الامكان . واتصلت الابراج بالابدان مشيدة الاركان . والسلاطن يشرف في كل يوم . على عمل قوم . فيمدحهم باحسانهم ويجازيهم باحسانه . ويعير جنان المتولي من قوة جنانه . ويدركه بما يستأنفه من عمله . ويحلي بالفضل مايبدو له من عطله ، وكان ذلك دأبه مدة اقامته ، وقد جد غرامه بغرامته بل يرى ان كل مال يذفقه نخر باق . وانه إن فاق كريم فيانفاق ، وماعنده خشية املاق . بل يده جاريه باطلاق جوائز وارزاق . وانه تتجلى له اعماله الصالحة يوم يكشف عن ساق ، وان وفق الله واستمر مادبره في حفر الخندق وبناء السور ، بقي بيت الله المقدس مع الاسلام على ممر الدهور . ولايبقى عليه لمسلم فزع . ولافيه لكافر طمع . ولو عاش بخت نصر لعرف عجزه . وسلب عز الاسلام عزه . ورأى من المعجزات

ماحيهه . وقهقر عن البأس الذي ان ثبت له قهره . فسبحان الذي
اقدرا السلطان على ما عجز عنه الملوك، وهذاه من الفضل الى نهج
ضلوا فيه السلوك .

ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنة

رحل الفرنج يوم الثلاثاء ثالث المحرم من الرملة الى عسقلان
ونزلوا يوم الاربعاء بظاهرها . وتشاوروا في اعانة عمائرها ، وكان
سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر والاسدية نازلين في بعض
اعمالها ، مجدين في نقل غلالها ، وركب ملك الانكثير عصر يوم
الخميس ، ومعه حزبه من جند ابليس ، فشهد بخانا على البعد ،
وما عرف ما عنده من العسكر المعد ، فساق متوجها الى تلك الجهة
وجد ، وتبعه عسكره وامتد . فما شعر اصحابنا الا بالكيسة وقد
بغتت ، فما ارتاعت قلوبهم بل ثبتت ، وذلك وقت المغرب وهم
مجتمعون على الافطار . فارغة الافكار من شغل الكفار ، وكانوا
نازلين في موضعين ، مقيمين في منزلين ، فلم ير العدو الا احد
القسمين فقصده بحزبه ، واطلق عنانه لحزبه ، فعرف القسم الاخر
هجوم العدو ، فهجروا مهاد الهدو ، وركبوا الى العدو فدفعوه حتى
ركب رفقاؤهم المقصودون ، واجتمعوا وهم المسعدون ، وردوا العدو
شوطا . وصبوا عليه من عذاب القراع سوطا ، ثم تكاثر الفرنج
عليهم ، وتواصلوا وسبقوا اليهم ، فاندفعوا من بين ايديهم ،
والفرنج تباريهم ، وساقوا اذقالهم قدامهم ، وقد ثبت حفظها على
الاقدام اقدامهم . وما فقد من اصحابنا ممن عرف الا اربعة : ونجا
الباقون وخواطرهم لاجل اولئك متوزعة ، وكانت ذوبة عظيمة دفع
الله خطرها ، وهون ضررها ، وبتاريخ الثلاثاء عاشر المحرم ركب
السلطان على عادته في نقل الحجارة ، والجد في العمارة ، ومعه
الملوك اولاده والامراء . والقضاة والعلماء والصوفية والزهاد
والاولياء . وخرج كل من بالبلد . وجاء المدد بعد المدد . وهو قد حمل
على سرجه . واستوى في نهجه . والناس ينقلون معه على خيولهم .

في قفافهم وندولهم . ولما دخل الظهر نزل في خيمة ضربها ولده الملك
الظافر بالصحراء . واحضر فيها السماط لمن يدعوه من الامراء .
فحضر على ذلك السماط . واحضر طعام مطابخه وبسطه على ذلك
البساط . وكنت قد مضيت فرني . وبتقريبه امديني . فلما فرغ
وفرغنا . وبلغ مراده وبلغنا . صلى هناك الظهر وركب عائدا الى
داره . آيبا بآثاره وحسن آثاره . فائزا بسرور اسراره . وخير
اختياره .

ذكر ثلاث سرايا سرت وبرت وبرت

كان عز الدين جريدك تجرد في سرية سرية . بارية رقاب ذوي
الغلول من الغل بريه . فاغارت يوم الاربعاء الحادي عشر من المحرم
على يبني . وفيها الفرنج بنية السكني . فغنمت اثني عشر اسيرا .
وخيلًا ودواب واثاثا كثيرا .

وفي يوم الثلاثاء ثاني صفر اغارت السرية وفيها جريدك . وعسكر
القدس وجماعة من المماليك . على ظاهر عسقلان . ووفدت
بتناصرها على الكفر الخذلان . وغنمت ثلاثين اسيرا قيبت في
الاغلال . سوى ماكسبته من الخيل والبغال .

سرية فارس الدين ميمون القصري

باتت ليلة الاحد رابع عشر صفر . بتل الجزر . وسرت حتى اصبحت
على يبني وكمنت . وصبرت الى ان استرسلت الفرنج الى الطريق
وامنت . ثم ظهرت على قافلة للفرنج عبرت . فكسبت وكسبت .
وكسرت واسرت . واخذتها بأسرها مع رجالها . وبغالها واحمالها
واثقالها . ثم اغارت على يافا فقتلت وقتكت . وسفكت دماء
وهتكت ، وعادت بالغنيمة والسبايا ، واستغننت بنقودها عن

الذساياء . وعجز جماعة من الاسارى عن المشى فضربت اعناقهم ،
واوجب ذلك للباقيين فى المسير اعناقهم ، وعادت سائمة ساليه ، غائمة
غاليه .

ذكر خروج سيف الدين علي بن احمد المعروف بالمشطوب من الاسر

قرر على نفسه قطيعة خمسين الف دينار فادى منها ثلاثين .
واعطى رهائن على عشرين ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان
يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر . فقام اليه واعتنقه وتلقاه
بالوجه الباشر ، واقطعه نابلس واعمالها ، وحلى بباياله لها
احوالها ، وعاش الى اخر شوال من هذه السنة ، وتوفى الى رحمة
الله باعماله الحسنه ، فعين السلطان ذلت نابلس واعمالها لمصالح
البيت المقدس . وتشيد ركن سوره المؤسس ، وابقى باقيها على
ولده . وتركه فى تصرفه ويده .

ذكرة

لما خرج المشطوب من الاسر . تلقاه ولده روى الأسرى قوي الازر .
فوجده على زي اولاد الاتراك مضفور الشعر . فبدأ منه الانكار
والاكبار . وقال ماللاكراد فى شعورهم هذا الشعار . فقطع
ضفيرته ، وقصر وفرته ، فتطير الناس من قطع شعره على ابيه ،
وقالوا هذا دليل مصابه الذي يأتية .

هلاك الماركيس بصور

اضافة الاسقف بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الاخر فاستوفى
رزقه لموافاة اجله ، ووصل الى الباب قاطع امله ، وقد دعي الى

جهنمه ، ومالك على انتظار مقدمه ، والجحيم في ترقبه ، والدرك الاسفل من النار في تلهبه . والسعير في تسعره ، ولظى في تلظيها لتنظره . وقد قرب ان تكون الهاوية له حاويه ، والحامية عليه حاميه ، والزبانية في ايقاع العذاب به لمنزل الرجز بانيه ، وقد فتحت النار له ابوابها السبعة . وهي جائعة الى التهامه وهو ملته بالاكل يستوفي الشبعة . فاكل وتغذى ، ومادري انه يتربى ، واكل وشرب ، وشبع وطرب ، وخرج وركب ، فوثب عليه رجلان . بل نئبان امعطان . وسكنا حركته بالسكاكين ، ودكاه عند تلك الدكاكين . وهرب احدهما وبخل الكنيسة ؛ وقد اخرج النفس الخسيسه : وقال المريكيس وهو مجروح وفيه بقية روح . احملوني الى الكنيسة فحملوه ، وظنوا انهم حاطوه لما نقلوه . فلما ابصره احد الجارحين . وثب اليه للحين . وزانه جرحا على جرح . وقرحا على قرح ، فاخذ الفرنج الرهيقين ، فالقوهما من الفدائية الاسماعيلية مرتين ، فسألوهما من وضعكما على تدبير هذا التدمير . فقالا ملك الانكثير ، وذكر عنهما انهما تنصرا منذ ستة اشهر ، وبخلا في ترهب وتطهر . ولزما البيع . والتزما الورع . وخدم احدهما ابن بارزان والاخر صاحب صيدا لقربهما من المريكيس . واستحكما بملازمتها اسباب التأسيس ، ثم علقا بركابه ، وفتكا به . فقتلا شر قتله . وجهل عليهما اشد جهله . فياله من كافرين سفكا دم كافر . وفاجرين فتكا بفاجر . فلما ظل المريكيس مركسا . وفي جهنم منكبا منكسا . تحكم ملك الانكثير في صور . وولاها الكندهري وعذق به الامور . وبخل بالملكة زوجة المريكيس في ليلته . وادعى انه احق بزوجه . وكانت حاملا فما منع الحمل من نكاحها . وذلك افطع من سفاحها ، فقلت لبعض رسلم : الى من يذنب الولد . فقال يكون ولد الملكة ، فانظر الى استباحة هذه الطائفة المشركة ولم يعجبنا قتل المريكيس في هذه الحالة . وان كان من طواغيت الضلالة . لانه كان عدو ملك الانكثير ، ومنازعه على الملك والسرير ، ومنافس في القليل والكثير ، وهو يرسلنا حتى نساعده عليه ، وننزعه ما اخذ من يديه وكلما سمع ملك الانكثير ان رسول المريكيس عند السلطان ، مال الي المراسله بالاستكانة والاذعان ، واعاد الحديث في قرار الصلح ،

وطمع في ليل ضلاله باسفار الصبح ، فلما قتل المريكيس سكن روعه وروعه ، ونهب ضوره وضوعه ، وطاب قلبه ، واب ليه ، واستوى امره ، واستشرى شره ، وكان قد تعصب لمضايبة المريكيس للملك العتيق . فظهر له ود الشفيق الشقيق . وولاه جزيرة قبرس واعمالها وسدد بسداه اختلالها . فلما هلك المريكيس عرف انه قد اخطأ في تقويته . وخشي انه لايسلم من عابيته . ولايأمن من غائلته . فلما عدم عدوه . وجد هدوه . واب سكونه . وثاب جنونه . ولم يحدث مقاطعته . ومري رسل مراسلته ورمى سهم مخاطعته ومخائلته . ولم ينزل عن ادعاء صداقة الملك العادل وتصديق دعوته . وراسل في طلب المناصفة على البلاد سوى القدس فانه يبقى لنا بمدينته وقلعته . سوى كنيستهم المعروفة بقمامه . فانهم يعتقدونها ملتهم الدعامة . فابى السلطان أن يقبل هذا القرار . وأبدى لهم الانكار وسامهم ان ينزلوا عن يافا وعسقلان . ويأخذوا على مايبقى في ايديهم الامان .

ذكر استيلاء الفرنج على قلعة الداروم

وهذه قلعة الداروم على حد مصر . وكانت منها مضرة كبيرة لما كانت مع الكفر فلما فتحت حفظت وتركت وابقيت . وبساليره والنخائر والرجال مليت . وخربت عسقلان وغزة دونها . وتسالمها علم الدين قيصر على ان يصونها . فلما شرع الفرنج في اعادة عمارة عسقلان تردوا مرارا اليها . وداروا حولها وأشرفوا عليها . وأنفق السلطان في جماعة وقواها بها . وشد بالنجدة قلوب اربابها . ثم نزل الفرنج عليها . دقضهم وقضيضهم . وسعهم وبيضهم . وفارسهم وراجلهم . وصارمهم ونابلهم . وراجهم ونابلهم . واشتد زحفهم عليها . ونهوضهم اليها . عشية السبت تاسع جمادى الاولى بعد ان اخذوا فيها نقبا وحرقوه . وحشوه واحرقوه . وطلب اهلها الامان فلم يجدوا . وطلبوا من قيصر وجماعته النجدة فلم ينجدوا . ولما عرف الوالي انهم مأخوذون . وانهم موقومون . عمد الى الخيل

والجمال والدواب فعرقبها . والى النخائر فاضرمها والهيبا .
وفتحوها بالسيف . وعرضوا اهلها على الحيف ، واسروا منهم عدة
يسيرة . وكانت هذه الذوبة على الا سلام كبيرة . ثم لم يلبثوا بها ولم
يرغبوا فيها . ورحلوا عنها وتنحوا عن نواحيها . ونزلوا على ماء
يقال له الحسي . وقد طاش بهم الغي والبغي . وذلك في يوم الخميس
رابع عشر الشهر . وقد انسوا بما ظنوه من اسباب الغلبة والقهر .
ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة يقال لها مجدل الحباب .
فخرجت عليهم اسد اليزكية المكنة من الغاب . فقاتلتهم قتالا
شديدا . وتركتهم بحد الحديد بييدا . وغادرت حبل قصدهم الجيد
جديدا . وكرت عليهم فكررت في ردهم عن جهتهم تريدا ، وقتل منهم
في جملة من قتل كند كبير . واتاهم من مباريها لهم مبير . وعادوا
مفلولين مذلومين . مخذولين مهزومين . مذلولين مهضومين . ثم
رحل الفرنج من الحسي يوم الاحد سابع عشر الشهر وتفرقوا فريقين .
وبعضهم عاد الى عسقلان وبعضهم جاء الى بيت جبرين . فقدم
السلطان الى العساكر والامراء بان يكونوا لهم مبارين . وفي يوم
السبت الثالث والعشرين نزلوا بتل الصافية ، بجموعهم الوافرة
الوافية . ونزلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين بالنظرون .
فأرجفت الاسنة بانهم على قصد القدس على حسب تـراجـم
الظنون . وسرت اليهم السرايا . وتوالت عليهم البلايا . وظهر
السلطان مقامه بالقدس . لتبعد وحشة المقيم فيه من قربه بالانس ،
وفرقت الابراج والابدان على الامراء والاجناد . وذوي القوة
والاستعداد . وامرهم بنقل الازواد . ثم زال الرعب . وطاب القلب .
وخرج الناس الى خيامهم يتخطفونهم . ويعسفونهم
ويتحيفونهم ، وجرت وقعة بعد وقعة ، وكبسناهم دفعة بعد
دفعة ، ومن ذلك ان بدر الدين دلدرد كان في اليزك ليلة الجمعة
التاسع والعشرين . فبعث من أصحابه والعسكر الى طريقهم من يافا
من لزم الكمين ، فجازت بهم فرسان من الفرنج مستقيمون على
النهج ، فخرجوا عليهم وقتلوا وأسروا ، وفازوا ونصروا ، وفي يوم
السبت نزل الناس اليهم وقتلوهم في خيامهم ، والهيبـوهم
بضرامه ، وركب العدو ساق الى قلونية وهي ضيعة من القدس على

فرسخين ، ثم عاد بأيد الشأن يادي الشين ، وعساكرنا قد ركبت
اكتافه ، وهي تقطع اطرافه ، وتهز اعطاف البيض لتحز
اعطافه ، وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة ، خرج كميننا في
طريق يافا على السابلة العابرة ، فظفروا وفازوا ، وحووا وحازوا
وكسروا واسروا .

ذكر كبسة الافرنج عسكر مصر الواصل

كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله . ويدعوه نجدة
لاهل القدس على الكفر واهله ، فضرب العسكر خيامه على بلبيس
مدة حتى اجتمع الرفاق ، وتهيأ لمن تأخر عن السابق
اللاحق ، وانضم اليهم التجار ، وحصل لهم بكثرتهم
الاغترار ، وللعو لقدمهم الانتظار ، وعنه بجواسيسه
الاخبار ، فجاء الخبر من اليزكية الى السلطان ليلة الاثنين التاسع
من جمادى الآخرة ان العدو ملك الانكتير ركب في سبعمئة فارس
وألف تركبول ومعه ألف راجل ، وسار عصر يوم الأحد سير مخادع
مقاتل ، ولايدري اي جانب قصد ، ولاي نائب رصد ، وجرى
السلطان اميرا آخر اسلم ، خوفا على الواصل ليسلم ، وندب معه
الطنبة وعدة من العادلية ، وأمرهم بأن يأخذوا بالناس في طريق
البرية ، فعبروا على ماء الحسي ، قبل وصول العدو اليه ، واتصلوا
بالقوم وأخبروهم بأنهم كشفوا الماء وليس أحد عليه ، وكان مقدم
العسكر المصري فلك اللين أخو العادل ولم يسأل عن المراحل
والمنازل ، وقصد اقرب البرك ، وغفل عما يعرفون من الفرق
والفرق ، وترك الاحمال على برك اخرى سائرة ، ورأى الامنة
ظاهرة وأوجه السلامة سافرة ، وجاء ونزل على ماء يعرف
بالخويلفة ، والاماني تغره بالواعيد المخلفة ، ونادى تلك الليلة انا
جزنا مظان المخافة ، وفزنا بالسلامة من الآفة ، فلا رحيل الى
الصباح ، فساغتر الناس بالنداء الصراح ، وناموا
مسترسلين ، وبادوا متغفلين ، فصبحهم العدو عند انشقاق الصبح

بالصدمة الشاقة والخدمة الحاقة ، وعاق ابن نكاه بانكاه بنت
الداهية العاقية ، فجاءهم فجأة ، والصبح لم يبد اضاءة ، والخيط
الأبيض من الخيط الأسود لم يتبين ، وهبوب الأعين من هبوة
الغبوة لم يتعين ، وكل غرار في جفنه قار ، وكل قلب بـأمنه
سار ، وكل جنب على فراش ، وكل عاش له النعاس غاش ، فلما
يغتموا بهتوا ، وطلبوا ان يفلتوا فما التفتوا ، وركب كل منهم على
وجهه . وربما كرهه ، وفيهم من ركب بغير عدة
حصانه ، واسلم اخوانه وغلمانه ، وانهم زموا نحو
الأثقال ، فاقعوا العدو وهو وراءهم على الجمال والأحمال . فوقع
العدو في سوابقها ، واشتغل بها عن لواحقها ، فتفرقت في البرية
وعاد معظمها الى النيار المصرية ، ومنهم من عاج الى طريق
الكرك ، فلم يقع في الشرك ، ولم يحصل في الدرك ، فأخذ الكفار
جمالا لاتعد ، وأحمالا لاتحد ، وكانت هذه نكبة عظيمة ، ونائبة
عميمة ، ونوبة ذات نبوة ، وكبة ذات كبوة ، ووقعة ذات
روعة ، وعولة ذات لوعة ، فظنت الظنون وارجفت
المرجفون ، وقالوا قد حصل للفرنج من الظهر ما يحملهم
وينهضهم ، ومن المال ما يبطرهم ويحرضهم ومن الآن
يقابلهم ، وبأي عسكر وعدة نقاتلهم ، ووصل الجند
مسلوبين ، ومذكوبين منهم وبين ، فسلاهم السلطان عن
أموالهم ، بما قوى من أمالهم ، وحضهم على الحظ من الأخذ
بثأرهم ، والجد في دمار القوم وبوارهم ، ولها الملاعين بما ملا
العين من المال ، عن القيل والقال والقتل والقتال ، وحلا لهم
ما حاولوه من الحال ، وجرى هذا كله والملك الأفضل والملك العادل
غائبان ، وعساكر الموصل وسنجان وبيار بكر متباطئة في الاتيان .

ذكر سبب غيبة العادل والأفضل وما جرى لهما من الأول

كان الملك الأفضل طلب من والده البلاد قاطع الفرات ، ونزل عن جميع ماله من الولايات ، وأنه اذا عبر الى الرها وحران ملك تلك البلدان ، وعنا له من بها من ملوك الأطراف ودان ، ورحل من القدس في ثالث صفر وقد ازمع السفر ، ووجه عزمه الماضي المضي قد سفر ، وأقام في دمشق حتى استعد ، واستجدي من ابيه مآكل به الخزانة واستجد ، واطلق له السلطان عشرين الف دينار ، سوى ماأصحه برسم الخلع والتشريفات من مستعملات ثياب ومصوغات نضار ، ثم سار في مجر مجر سيل خيله جار نيل ذقعة على المجرة ، شاغل بالسير والسرى اسرار ذوي الأسرة ، بساية على صفحات صفاحه نصره النصره ، ووصل الى حلب ، وقد مرى افانيق التوفيق وحلب ، واحتفل اخوه الملك الظاهر لقدمه ، وقام له بسنن الكرم ورسومه ، ورحب للترحيب به صـدره وجنابه ، وسحب على روضه صحابه ، واصحب فيض فضله صحابه ، ووقف لخدمته مائلا ، وهز عطف الابتهاح اليه مائلا ، واحضر له مقاتيح بلده ، وقدم له كل ما في يده ، ولم يبق من الجميل شيئا الا عمله ، ولانوعا من الفضيلة الا كمله ، وعرض عليه الحصن العرب ، والتحف والثياب ، وخلع على خواص اصحابه وعوام اجناده ، وخصهم وعمهم من الجود بامداده ، وعول ان يسير معه الى الجهة التي يقصدها ، ويساعده على الضالة التي يذشدها ، وسمع ناصر الدين بن تقي الدين بما اقلقه ، ودفع منه الى ماأرجه وأرهمه ، ووصل رسوله الى الملك العادل وهو بالقدس لاجيا الى ظله ، وراجيا لفضله ، ولائذا يجنابـه ، عانئا ببابه ، مستجيرا بارعائه ، مستجيبا لدعائه ، مقوضا ماحل به الى أنوار آرائه ، مـروضا ماحل بانواع الآئه ، فـاحتمى له واحتمله ، وقوى على تقويته امله ، وخاطب السلطان في حقه واستعطفه ، وشفع في امره واستشفعه ، وقال أنا أمضي اليه

وأستحضره وأؤمنه مما يحذرة ، وتبقى هذه السنة عليه حران
والرها ، وتشد من رجائه بذلك ما وهي ، وتعطيه في السنة الاخرى
حماة والمعرة ، وتكفي المضرة والمهرة ، ثم قرر السلطان مع أخيه
العادل ان يأخذ تلك البلاد ويحويها ، ويملك حوزتها
ويحميها ، ويكف عنها ويكفيها ، واستقر ان ينزل عن اقطاعه
بمصر ونصف خاصه ، واذا اخذ تلك البلاد فما يجاوره يجتهد في
استخلاصه ، فأبدى على الرضا بذلك وجهه كراهيته
واعتياصه ، واستزاد قلعة جعبر ، فتمنع الملك الظاهر من تسليمها
حتى استظهر من ابيه بأضعافها واستظهر وتقرر مسير الملك العادل
في العشر الاول من جمادى الاولى . وكتب السلطان بعود الملك
الأفضل ف جاء هذا راجعا ، وذهب ذاك مسارعا ، ووصل الى حران
والرها ، ففاز من تدبيره بالنجح المشتبه ، وبلغ من مراده الى أمد
الامل المنتهى ، وعاد في آخر جمادى الآخرة وقد استصحب ابن تقي
الدين ، ووصل في هذا الشهر الى دمشق ابن صاحب الموصل مجاهد
الدين يرزقش ، واجتمعت بدمشق في هذا الشهر عساكر بها الاسلام
يأذس ، والكفر يستوحش ، وأقامت تنتظر مسير الملك العادل لتسير
في خدمته ، وتتجلى راياتها في مطالع رايته .

ذكر رحيل ملك الانكثير صوب عكا مظهرا أنه على
قصد نغر بيروت

لما تعذر على الفرنج قصد القدس ، وعرفوا أن مرضهم به في
النكس ، ورأوا ان نغر بيروت قد براهم ، وعراهم من القوة مامنه
عراهم ، وأنه قد قطع عليهم طريق البحر بمراكبه ، وقد فجعوا
بمصائبه ونوائبه فقالوا أخذ هذا البلد هين ، وقصده متعين ، واذا
حاصرناه جذبنا السلطان وعساكره الى جانبه وخلا القدس من
جملة كتائبه وجمرة مضاربه ، فنبادر اليه من يافا وعسقلان ، من
يجد في تملكه الامكان ، فلما عرف السلطان ما عزموا عليه من